بسم الله الرحمن الرحيم

تم رفع هذه المادة العلمية من طرف أخوكم في الله: خادم العلم والمعرفة (الأسد الجريح) بن عيسى قرمزلي. ولاية المدية

الجنسية جزائرية

الديانة مسلم

موقعي المكتبة الإلكترونية لخادم العلم والمعرفة للنشر المجاني للرسائل والبحوث على

www.Theses-dz.com

للتواصل: رقم هاتف 00213771087969

البريد الإلكتروني: benaissa.inf@gmail.com

حسابي على الفيسبوك: www.facebook.com/Theses.dz

جروبي: https://www.facebook.com/groups/Theses.dz

تويتر https://twitter.com@Theses_DZ

لا تنسوني بدعوة صالحة بظهر الغيب: ردد معي 10 سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

اللهم صل وسلم على نبينا محمد .... بن عيسى قرمزلي 2016.

.../...

Ainsi l'arrêt attaqué a violé les articles susvisés; - Par ces motifs casse.

DU 2 fév. 1921 -Ch.réun MM. Sarrut, 1er Petitier, rap. Bulot, proc. c. conf de lavergne, av.

2e Espéce : - (Min.publ. C. Kroll.)

- ARRET.

La Cour ; - Vu les art. 8 n°4, et 12, § c. civ. et l'art 1er du décret du 10 août 1914 ; - Attendu que les régles relative à l'acquisition et à la perte de la nationalité, bien qu'elle soient inscrites au code civil, relévent du droit public ; qu'elletouchent au recrutement de l'armée et que la défense nationale est intéressée, principalement en temps de guerre, à ce qu'elles soient strictement observées; - Attendu que le Gouvernement autorisé par la loi 5 août 1914 à prendre par décret, dans l'intérêt général, les dispositions moratoires nécessitées par l'état de guerre, a, par le décret du 10 août suivant suspendu les délais en matière civile, commerciale et administrative ; mais que les délais prescrits pour la répudiation de la qualité de Français, n'appartenant pas à ces matières, sont demeurés lors des prévisions du décrét précité ; que la loi de 3 juill. 1947, relative à la facu'té d'option pour les fils, nés en Franc, d'étrangers, loin d'impliquer le contraire, marque la volonté qu'à eu e le législateur de restreindre pendant la durée de la guerre la répudiation de la nationalité française ; - Attendu, en fait que Kroll Bernard est né à New-York le 8 juill. 1894 de parents russes ; qu'il est devenu Français pendant sa minorité, par suite de la naturalisation de son pére, prononcée par décret du 2 nov. 1912 ; qu'il a déclaré, par acte du 14 juin 1917, décliner la nationalité française, mais que la Chancellerie a refusé d'enregistrer sa déclaration, comme faite aprés l'expiration du délai fixé par l'art. 8, n°4, c. civ., et qu'il a été inscrit au tableau de recensement ; qu'il a assigné le préfet de la Seine, comme représentant l'Etat, pour entendre dire qu'il n'est pas français - Attendu que la cour de Bourges (arrêt du 18 mai 1920) a décidé que Kroll, Bernard, avait régulièrement répudié la qualité de Français par l'acte du 14 juin 1917, par les motifs que la suspension des péremptions, prescriptions et délais édictée par l'art. 1er § 2, du décret du 10 août 1914 s'applique sans exception à tous les actes qui, en matière civile, commerciale et administrative doivent être accomplis dans un délai déterminé, et, dés lors, à ceux qui ont trait à l'acquisition ou à la perte de la qualité de Français et que prévoit le titre I du livre 1er c. civ. ; qu'en outre la loi du 3 juill. 1917 implique, par son silence à l'égard des fils, nés en France. d'étragérs et âgés de plus de Vingt - deux ans lors de sa promulgation que ces individus peuvent se prévaloir à bon droit de la suspension des délais éductée par le decret du 10 août 1914 qu'en statuant ainsi l'arrêt attaqué a violé les articles susvisés; Par ces motifs, casse. Du 2 févr. 1921 - Ch. réun MM Sarrut, 1er pr- letitier rap Bulot, proc gén. C. CONT MORILLOT

الجزء الثاني

الدراسة

جامعة قسنطينة

معهد الآداب والثقافة العربية

نثر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

في الفترة

من 1929 إلى 1939 م

جمع وتوثيق ودراسة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث

إعداد

محمد العيد تاورته

إشراف

الدكتور شكري محمد عياد

1399 - 1400 هـ / 1979 - 1980 م

مدخل

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

1. حياة الإبراهيمي حتى تأسيس جمعية العلماء

2. الإبراهيمي بعد تأسيس جمعية العلماء

3. قيمة فترة هذه الدراسة في حياة الجزائريين

1- حياة الابراهيمي حتى تأسيس جمعية العلماء

قال أحد هم[1] انه ((عسير على من يكتب في حياة رجل كالابراهيمي أن يفيه حقه، لأنه حياة متعددة النواحي متسددة الأطراف، وقد جمع الله له من الصفات ماتفرق في غيره من معاصريه، فهو عالم وكاتب وشاعر ورجاز وراوية ومفسر ومحدث ... وأصدق كلمة تطلق عليه أنه دائرة معارف اسلامية ...)) .

وقال آخر:[2] ((ان الابراهيمي علامة تحد وآية اعجاز ... وهو بذلك يعتبر ظاهرة ثقافية قد تجاوزت المتعارف المألوف عند المثقفين قديما وحديثا)) .

وأمام مثل هذه الاقوال قد يجد الباحث المبتدئ نفسه بحاجة الى كثير من الحذر ازاء وضع خطواته الأولى على طريق موضوع يتعلق بالابراهيمي، كما قد يجد الباحث - المبتدئ - في أحد جوانب الشيخ الابراهيمي نفسه أمام موقفين: موقف الحذر من الموضوع خشية عدم ايفائه مايستحق، وموقف الولوج في الموضوع. وحسبه في هذه الحالة مايصل اليه. وخير للمرء أن يبدأ في التسلق من أن يظل ينظر الى القمة من السفح وليست عملية الكتابة في الموضوعات الانسانية، كما يصفها

1- حمزه بوكوشه : ((الاستاذ الامام محمد البشير الابراهيمي)) : مقال، ضمن كتاب: الامام الرائد الشيخ محمد البشيرالابراهيمي في ذكراه الأولى ، جمع محمد الطاهر فضلاء ونشر مطبعة البعث بقسنطينة سنة 1967، ص : 140

2- العربي سعدوى: المرجع السابق . ص : 47 .

أحـدهم[3]، الاعملية وقحه .

قال الابـراهيمي : ((ان الاعمـار هـي الأعمـال ، وبالاحسان فيهاتتفاوت قيمـة الـرجـال))[4] .

وهـذا هو المقيـاس الذى نأمل أن يكون رائـد ناصن وراء الخـوض فـي حياة الابـراهيمي ، ولكن لـن يضيرنا شيئا التعريف بالـرجل مولدا ونسبـا وموطنـا ونشأة ، فقد ولـد يـوم الخميس عنـد طلوع الشمس في الثالث عشـر من شـهـر شـوال سنـة 1306 هـ ، ويوافـق الرابـع عشـر من شهر يونيوسنـة 1889 فى قبيلـة تعـرف بأولاد ابـراهيـم[5] بن يحي بن مساهل ، ويرتفع نسبهـا الـى ادريس بن عبـد اللـه الجـذم الأول للأشـراف الأدارسـة ، وادريس هـذا

3- شكرى عياد (دكتور) : حـوار جماعي معـه فـى جـوان سنة 1979 بمدينـة قسنطينة .

4- محمد البشير الابراهيمى : ((خطبة جمعية)) . الشهاب: ج 2 م 6 . قسنطينة شـوال 1348 هـ - مارس 1930م . ص 78 .

5- وتـعرف هـذه القبيلـة كذلـك بقبيلـة ريغـة ، أو دوار ريغـة ، ينظـر: حفلـة دينيـة : الشهـاب : ج 1 م 6 غـرة رمضـان 1348 هـ فيفـرى 1930 م ص : 50 . وكـذلك : الامـام الـراشـد محمـد البشيـر الابـراهيمي ...)) . ص 25 .

- ويعرف بادريس الاكبر[6] هذا الذى خلص الى المغرب الاقصى بعد ((وقعة فخ)) [7]، بين العلويين والعباسيين ، واليه ترجع أنساب الاشراف الحسينين فى المغربين : الاقصى والاوسط[8] ، والموطن الصغير للابراهيمي هو

6- خرج ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسين المثنى بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه من الشرق ، لمايئس من نجاح مطلب الطالبيين هناك ، ونجا بنفسه من اضطهاد العباسيين الى المغرب الاقصى . . . ونزل منه بمدينة ((وليلي)) فصادف تعطش المغاربة الى تأسيس دولة اسلامية مستقلة عن الشرق كمافعل أهل الاندلس . . . ولذلك فقد بايعته حكومة المغرب البربرية غرة ربيع الاول 132هـ أوت 788 م ، ينظر (عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائرالعام،ج1. المطبعة العربية الجزائرية 1373 هـ 1954 م . ص 213 .) .

7- النزاع بين كل خليفة عباسي وبين العلويين سمة بارزة فى الحياة السياسية العباسية، فلما تولى الخليفة العباسي (الهادى سنة 169هـ - 785 م من بعد أبيه المهدى خرج عليه الحسين بن على بن الحسن بن أبي طالب ((بالمدينة)) وخرج معه جماعة من أهل بيته فأرسل (الهادى اليه جيشا قاتله فقتلة بموضع يقال له"فخ" بين مكة والمدينة وحمل رأسه الى الهادى ، (ينظر: أحمد أمين . ضحى الاسلام ج 3 ط 10 . دار الكتاب العربي بيروت لبنان ص : 392

8- محمد البشير الابراهيمي : ((انا)) . مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 21 . سنة 1966 م . ص135 .

((لا أنسى بعد ثلاثين سنة ، ولن أنسى ما حييت موقف الوداع بمحطة البرامكة والاستاذ الخضر يكفكف العبرات وتلامذتي الأوفياء : جميل صليبا ، وبديع المؤيد ، ونسيب السكرى ، والأيوبي ، يقدمون الي بخطوطهم كلمات فى ورقات مازلت محتفظا بها احتفاظ الشحيح بماله))

وعاد الابراهيمي الى الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى وكانت أنياب الاستعمار الفرنسي قد تمكنت فى جسم الأمة وسرت سمومه فى عروقها ، وكان الجهل قد ضرب أطنابه ، والبدع قد انتشرت وأصبحت مقدسة.(16)

ومع أن ابن باديس كان قد شرع فى تنفيذ الخطة التي اتفق عليها مع الابراهيمي فى الحجاز ، الا أن فرحته بمقدم الابراهيمي كانت أكثر من أى أحد . أملا فى الاسراع بالخطة واتمامها .

يقول الابراهيمي عن مساهمته فى اتمام تلك الخطة : ((وحللت بيدى وبدأت من أول يوم فى العمل الذى يؤازر عمل أخي ابن باديس . . . وكانت أعمالي . . . فاترة أحيانا لخوفي من مكائد الحكومة الاستعمارية ، اذ ليس لي سند آوى اليه كما لأخي ابن باديس)) (17) .

---

15 – محمد البشير الابراهيمي : عيون البصائر . ط 2 . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1971 ص: 650 .

16 – ينظر : السعيد الصالح : الامام الابراهيمي وحركة الاصلاح . ضمن كتاب : الامام الرائد الشيخ محمد البشير الابراهيمي فى ذكراه الأولى ، ص : 54

17 – محمد البشير الابراهيمي : "أنا" ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؛ ج21 . سنة 1966 م ، ص : 142 .

وكانت خطة الابراهيمي في بداية العشرينيات في ((رأس الوادي)) وما حولها تعتمد الهدم والبناء معا ، فبعد أن أوهم الاستعمار بامتهان التجارة أحيانا واستصلاح الارض مرة أخرى[18] وبعد أن تعرف الى الناس وتعرفوا اليه أخذ يبث في الاوفياء منهم قصائد نقدية (بلغة شعبية) عن الاوضاع الاجتماعية ، كما يبث بعض النكت الساخرة عن الأوضاع الادارية الاستعمارية ، وعن تصرفات موظفي الادارة من الجزائريين ازاء مواطنيهم وعن الطرقيين واستغلالهم لاتباعهم الجاهليين[19] وبذلك أصبحت تسري في الناس تساؤلات عن موعد الخلاص من هذا البلاء الذي حل بهم وعن السبل الموءدية الى الخلاص . ومن هنا تنطلق عملية البناء التي تتمثل في الاهتمام المتزايد بما يلقيه اليهم الابراهيمي وأمثاله من العلماء ، من نصائح وتوجيهات في الخطب الجمعية[20] وفي تجمعات المناسبات الاجتماعية كالزواج والوفاة والصلح بين الجماعات[21]، والأفراد وفي تجمعات الاحتفالات بانشاء الموءسسات الدينية والثقافية[22] .

18- محمد الصالح رمضان : حديث خاص معه . بمنزله بالعاصمة الجزائرية . بتاريخ 17/10/1978 م

19- احمد بن ذياب : محمد البشير الابراهيمي ونضال الكلمة . الثقافة ، (مجلة تصدرها وزارة الاعلام والثقافة بالجزائر) السنة السادسة . العدد 33 . جمادى الثانيه - رجب 1396 هـ - يونيو ، يوليو 1976م . ص : 61 .

20- ينظر : خطبة جمعية الشهاب : ج 2 . م 6 : ص 77 .

21- محمد الطاهر فضلاء : حديث خاص معه بمكتبة قصر الحكومة بالعاصمة الجزائرية بتاريخ 23/10/1978 ، وذكر لي خلالها أن الابراهيمي قد اشتغل فترة مقتصدا في زاوية (بن علي الشريف) ، في منطقة الصومام ، كما كان يقوم مقام القاضي بين النـاس .

22- ينظر: ((حفلة دينية)) : الشهاب: ج1 م 6 ، ص 51 .

وحوالى منتصف العشرينات استقر الابراهيمي فى مدينة سطيف (23) وبدأ يركز أكثر على تعليم الصغار ، وتوجيه الشباب الى العناية باللغة العربية وبالمبادئ الاسلامية الصحيحة وبالمعارف المختلفة التى تمد منهم جيشا قويا للمستقبل ، وذلك بعد أن هيأ الجو العام لهذا العمل ولاقبال الناس عليه .

وكانت الطريقة التي اتفق عليها الابراهيمي مع ابن باديس فى الحجاز هي التركيز للناشئة على الفكرة الصحيحة مع قليل من العلم ، اذ لا مجال للتوسع فى العلوم .

وخلال فترة العشرينيات كلها كانت الصلة مستمرة بين الابراهيمي فى سطيف وبين ابن باديس فى قسنطينة ، من ذلك أن ابن باديس زار الابراهيمي فى سطيف سنة 1924 م وأخبره بعقده العزم على تأسيس جمعية باسم (الاخاء العلمي) وطلب اليه أن يضع لها قانونا أساسيا ففعل الابراهيمي ذلك فى ليلة واحدة (24) ! !

ويرى أحدهم (25) أن هذه الجمعية لم تظهر الى الوجود فى حينها لانشغال ابن باديس بصحيفة المنتقد فالشهاب الصحيفة بعدها ،

---

23 - ينظر النجاح (كتاب مفتوح الى أهالى سطيف) .
المولود بن الصديق الازهرى الحافظى .
العدد 182 تاريخ 1924/11/14 ص : 1

24- ينظر: سجل مؤتمر (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لسنة 1935م . المطبعة الجزائرية الاسلامية . قسنطينة
ص 46 .

25- ينظر: الثقافة (الجزائرية) . العدد 33. ص 62 .

وبذلك تعطلت - حسب هذا الرأي - جمعية العلماء التي قدر لها أن تظهر سنة 1931 م . كما أن الابراهيمي يرى في فشل جمعية (الاخاء العلمي) سببا في نجاح جمعية العلماء بعد ذلك (26) .

ومن الاتصالات بين الرجلين أيضا ماقاما به من دعاية سرية قبيل سنة 1930 وأثنائها ضد احتفالات القرن الاستعمارية التى لم تدم نتيجة لجهود المصلحين والوطنيين الا شهريين ، وقد كان مقررا لها أن تدوم ستة أشهر كاملة ، وماقاما به من دعاية علانية في سبيل التفاف الشعب حول فكرتهما (27) .

* وهكذا كان العقد الثالث كله اعدادا لتكوين جيش من الشباب يحمل فكرة واضحة عن الوطن وعن الشعب الجزائري من ناحية ، وعن الاستعمار وأعوانه كالطرقية وغيرها من ناحية أخرى .

وما كاد الاستعمار ينعم باحتفالات مرور قرن على وجوده في الجزائر ، وماكاد القرن الثاني يبتدىء حتى تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من شهر ماي 1931 .

ولم تكن الجمعية في اجتماعها الاول خاصة بالمصلحين من العلماء وحدهم ، ولا كانت الدعوة موجهة الى فريق من الفقهاء دون آخر ، وانما ((دعونا فقهاء الوطن كلهم . وكانت الدعوة التى وجهناها اليهم صادرة باسم الأمة كلها ؛ ليس فيها اسمي ولا اسم ابن باديس ؛ لان أولئك الفقهاء كانوا يخافوننا لما سبق لنا من الحملات الصادقة على جمودهم ...

26- ينظر : السجل : ص : 48 .

27- ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ج 21 . ص : 143 .

فاستجابوا جميعا للدعوة واجتمعوا في يومها المقرر. ودام اجتماعنا في نادي الترقي بالجزائر العاصمة أربعة أيام، كانت من الأيام المشهودة في تاريخ الجزائر.)) (28)

ومع أن ابن باديس لم يحضر الا في اليوم الثالث (29) من تلك الاجتماعات الا أن المجتمعين انتخبوه رئيسا في غيابه (30)، كما انتخبوا الابراهيمي نائبا عنه، وانتخبوا في المجموع ثلاثة عشر عضوا هم أعضاء الهيئة الادارية للجمعية. (31)

28- محمد البشير الابراهيمي : "أنا" ، المصدر السابق ، ص: (143-144).

29- يقول الابراهيمي : ((ثم أفاض الاستاذ (ابن باديس) في الاعتذار لنفسه عن عدم حضوره في اليومين الأولين . . .)) ؟ ينظر: (الشهاب: ج 5 م 7 - غره المحرم: 1350 هـ - ماي 1931 م ، ص 343).

30- غير أن الاستاذ احمد توفيق المدني يزعم ان : "ابن باديس كان عظيما هائلا شامخا كالطود الأشم، وقد هيمن بشخصيته الفذة وبساطته المثالية وتواضعه الجم على ذلك الاجتماع)) ، أي اجتماع اليوم الأول من الجلسة التمهيدية !! بل انه يذهب الى أبعد من ذلك فيقول : ((وهيأت لابن باديس خطاب الافتتاح بطلب منه ملح - فالتأم العلماء وكانوا يزيدون على المائة)) = (حياة كفاح (مذكرات) القسم الثاني ، في الجزائر (1925 - 1954) م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، سنة 1977 م ، ص (179 - 180) .

31- ينظر: الابراهيمي : الشهاب : ج 5 م 6 ، ص 341 .

وبتلك الانتخابات ، وبانتهاء اليوم الرابع من الاجتماعات ، كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حقيقة واقعة بعد أن ظلت فكرة تراود أذهان المصلحين من العلماء الجزائريين — وخصوصا ابن باديس والابراهيمي — مايقارب عقدين من الزمان .

وفيمايتعلق ب (واضع) القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين — فان الابراهيمي لم يثبت على صيغة واحدة فيما كتبه عن هذا الموضوع ، فهو في المقال الذى كتبه نيابة عن جمعية العلماء حول ((الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين)) لم ينسب وضعه الى نفسه ؛ وانما قال : ((كان اجتماعهم (أبى العلماء) بصفة جمعية عمومية لوضع القانون الأساسى للجمعية ، وعينوا للرئاسة المؤقتة الشيخ ابايعلى الزواوى ، وللكتابة الاستاذ محمد الأمين العمودى ، ووضع القانون ، وتلاه كاتب الجلسة على رؤوس الاشهاد ؛ فأقرته الجلسة العمومية بالاجماع ، وانفضت الجلسة))(32)

لكن الابراهيمي بعد ذلك بحوالي ثلاثين سنة ، قد نسب (وضع) القانون الأساسى (لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الى نفسه اذ قال : ((فأعلنا تأسيس الجمعية فى شهر ماى سنة 1931م ؛ بعد أن أحضرنا لها قانونا أساسيا مختصرا من (وضعي)(33) ؛ ادرته على قواعد من العلم

32— محمد البشير الابراهيمي : المصدر السابق : ص : 341 .

33— ويزعم الاستاذ احمد توفيق المدني أنه هو الذى وجه الدعوة الى عقد جمعية العلماء ، وأنه هو الذى حرر لها قانونها الاساسى ، (ينظر: حياة كفاح (مذكرات) ؛ القسم الثانى ؛ ص 178) .

— وعلى كل حال فان الدكتور أبا القاسم سعد الله قد نسب وضع القانون الاساسى لجمعية العلماء — الى الامام عبد الحميد بن باديس ؛ (ينظر الحركة الوطنية الجزائرية (1900—1930) ؛ ج 2 دار الآداب — بيروت سنة 1969 م ؛ ص:504 .

احمد توفيق المدني

والذين لا تثير شكا ولا تخيف . وكانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين باعمال العالم المسلم، وتعتقد أننا لا نضطلع بالأعمال العظيمة ؛ فخيبنا ظنها والحمد لله)) [34] !

واذا كنا قد لاحظنا شيئا من عدم استقرار الابراهيمي حول (واضع القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ، فاننا لم نجد من ينسب الى نفسه (وضع) اللائحه الداخلية لهذه الجمعية غير الابراهيمي اذ قال :

((كلفني اخواني أعضاء المجلس الاداري في أول جلسة أن أضع للجمعية لائحة داخلية تشرح أعمالها كما هي في أذهاننا لا كما تتصورها الحكومة وأعوانها المضللون منا ، فانتبذت ناحية ووصلت طرفي ليلة في سبكها وترتيبها ، فجاءت في مائة وسبع وأربعين مادة ، وتلوتها على المجلس لمناقشتها في ثماني جلسات من أربعة أيام ، وكان يحضر الجلسات طائفة كبيرة من المحامين والصحفيين العرب المثقفين بالفرنسية ، فأعلنوا في نهاية عرض اللائحة ايمانهم بأن العربية أوسع اللغات ، وأنها أصلح لغة لصوغ القوانين ومرافعات المحامين)) [35]. كما قال الابراهيمي حول هذه القضية أيضا :

((وخطب الرئيس [36] عند تمام مناقشة اللائحة واقرارها بالاجماع خطبة مؤثرة أطرافي فيها بما أبكاني من الخجل ، وكان مما قال : عجبت لشعب أنجب مثل فلان أن يضل في دين ، أو يخزى في دنيا أو يذل لاستعمار ، ثم خاطبني بقوله : وري زناد هذه الجمعية)) [37] .

34- محمد البشير الابراهيمي : "أنا" ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج21 ، ص 147 .

35- محمد البشير الابراهيمي : "أنا" ، المصدر السابق ، ص 144 .

36- رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد ابن باديس .

37- محمد البشير الابراهيمي : "أنا" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج 21 ، ص144 وحول قضية وضع اللائحة الداخلية لجمعية العلماء ينظر كذلك : الشهاب : ج 9م7 سبتمبر 1931 م ، (المقدمة) .

2 - الابراهيمي بعد تأسيس جمعية العلماء.

ان تأسيس جمعية العلماء ليس الا نقطة متقدمة فى الخطة التي رسمها كل من ابن باديس والابراهيمي منذ التقيا في الحجاز. واذا كان عملهما فى العقد الثالث يعتبر تمهيدا ووضعا للقاعدة الاساسية - وهو عمل صعب لامحالة -لتنفيذ تلك الخطة ، فان أعمال الجمعية - والابراهيمي في الصدارة منها - فى العقد الرابع ليس الا التنفيذ بعد تحضير الجزء الاساسي من الوسائل .

واذا كان عمل الرجلين قبل تأسيس الجمعية يتسم بمايشبه السرية فان العمل بعد تأسيس الجمعية أصبح مدعوما بشرعية موافقة الادارة على القانون الاساسي للجمعية .

لقد آمن الرجلان منذ تعارفا فى الحجاز أن مايعانيه الجزائريون آت من مصدرين أساسيين هما : استعمار مادى يتمثل فى الادارة الاستعمارية، واستعمار روحي يتمثل فى الطرقية ؛ ونتيجة لذلك فقد وضعا خطة تهدف الى القضاء - على المدى البعيد . . . على هذين الاستعمارين . والسبيل الى تنفيذ هذه الخطة يكمن فى : (التوعية والتعليم) ، والتوعية تشمل تبصير المسلمين بجوهر الاسلام الصحيح وكشف الخرافات الطرقية التي تعارض الاسلام الصحيح ، كما تشمل مطالبة الادارة الاستعمارية، باعادة أوقاف المسلمين ومساجدهم لتستخدمها الجمعية في تعليم الجزائريين دينهم ولغتهم .

وأول عمل قامت به الجمعية فى سنتها الأولى أنها وزعت أعضاءها على كامل مدن وقرى البلاد للتعريف بالجمعية وأهدافها .

وفي الاجتماع العام الثاني لجمعية العلماء(38) تم توزيع المسؤوليات على كبار العلماء ؛ فكلف كل واحد منهم بقطاع من القطاعات الكبرى الثلاثة ، الطيب العقبي بالعاصمة ، وعبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، والابراهيمي بوهران .

يقول الابراهيمي عن قيمة أعماله في هذه الفترة وما تلاها مما انها : ((مناط فخري وتاج أعمالي العلمية والاجتماعية ، والأفق المشرق من حياتي ، وهذه هي المرحلة التي عملت فيها لديني ولغتي ووطني أعمالا أرجو أن تكون بمقربة من رضا الله ، وهذه هي المواقف التي أشعر فيها كلما وقفت أرد ضلالات المبتدعة في الدين أو أكاذيب الاستعمار ، أشعر كأن كلامي امتزج بزجل الملائكة بتسبيح الله))(39) .

انتصب الابراهيمي بتلمسان ولم يلبث أن وسع نشاطه الى كامل القطاع الوهراني ؛ فكان يشيد المدارس والمساجد والنوادي ، وكان يخطب في المساجد ويحاضر في النوادي وكان يدرس لكبار التلاميذ ، ويشرف على بقية معلمي مدارس الجمعية ، وهكذا أصبح الابراهيمي في الغرب الجزائري ((مدرسة عصرية متنقلة))(40) في دائرة تتسع وتأتي كل يوم بالجديد . ولم يكتف الابراهيمي بالتدريس والخطب والمحاضرات ، وهي الأعمال التي تتسم بمايشبه الرسميات ، بل تغلغل في الاوساط الاجتماعية للمواطنين ؛

38- تم ذلك بنادي الترقي بمدينة الجزائر على الساعة التاسعة من صبيحة يوم الاثنين 17 محرم 1351 هـ . 23 ماي 1932 م ، ينظر : (ابن باديس حياته وآثاره ، اعداد وتصنيف : عمار الطالبي . دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر . ط1 ، سنة 1968م . ج 3 . ص 476

39- مجلة مجمع اللغة العربية ج 21 . ص 144 .

40 - احمد بن نعمان : الثقافة (الجزائرية) ، العدد 33 ، ص 63 .

فكانت له الجلسات الخاصة فى الأحياء والقرى وهي الجلسات التي استطاع من خلالها أن يوحد بين مواطني تلك النواحي، وخصوصا تلمسان الذين فرق شملهم الاستعمار والطرقية بتشجيع الخلافات بين ((الكراغلة))(41) والعرب.

وكان للابراهيمي فى هذه المنطقة دور كبير فى تحبيب الناس فى اللغة العربية ؛ فكان يلقي محاضراته بالفصحى . ومع أنه كان على علم بأن الكثيرين لا يفهمونه بالفصحى الا أنه كان يرى أن أى لغة يمكن أن يتعلمها الأميون باستمرار سماعها، واللغة العربية ليست بدعا بين اللغات.(42)

كما كان له دور فى تعريف الناس بجوهر الاسلام وبتاريخه الصحيح ؛ فألقى فى الحقبة الموالية لظهور الاسلام الى مبدأ الخلافة العباسية بضع مئات من المحاضرات فى التاريخ الاسلامي.(43)

ولم يكن الابراهيمي - الى جانب ذلك - يتأخر عن المساهمة في أى نشاط آخر يمكن أن يخدم المصلحة العامة ؛ ففي الاسبوع الثانى من شهر سبتمبر سنة 1935 انعقد بتلمسان المؤتمر الخامس لجمعية طلبة المغرب العربي، ومع أن تلك الفترة كانت فترة اضطرابات ومظاهرات عنيفة فى كامل القطر الجزائرى وخصوصا بعد أحداث قسنطينة سنة 1934 بين المسلمين واليهود(44)، ومع مايمكن أن تغسر به مشاركة الابراهيمي فى ذلك المؤتمر من قبل الادارة الاستعمارية، الا أنه افتتح المؤتمر الذى ساده حماس شديد واستبشار بالمستقبل.(45)

41- المنحدرون من آباء أتراك وأمهات جزائريات . ينظر (أحمد توفيق المدنى ،(حياة كفاح القسم الثانى) . ص 124.) .

42- ينظر: الشهاب: ج 9 م 10، اوت 1934 م- جمادى الاولى 1353هـ -ص: 394.

43- ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 21 ، ص 146 .

44- حول هذه القضية ينظر: ابن باديس حياته وآثاره، ج 4 ،ص 38.

45- ينظر: الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945) م. ج 3 ،معهد البحوث والدراسات العربية . سنة 1975 م، ص 19 .

وكما كان للا براهيمي نشاط علمي وثقافي في أثناء هذه الفترة، فان له نشاطا سياسيا أيضا تمثل في مشاركته في المؤتمر الاسلامي الجزائري.

((واذا كان الشعب الجزائري قد رحب بقرار المؤتمر الاسلامي سنة 1936، فذلك لأن البشير الابراهيمي قد هاجم دعاة الاندماج في فرنسا، ووصفهم بأنهم ليسوا من الأمة، وان ادعوا لأنفسهم دهاء الساسة، في حين أن العلماء هم من الأمة، وأنهم يعبرون عن مطالبها في النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤلف كلا لا يتجزأ)) (51).

وعندما بدأ المؤتمر في الجدال حول أي المشاريع تكون المطالب مبنية على أساسه، كان من رأي الابراهيمي أن تلغى كل المشاريع والبرامج السابقة (52)، وأن تكون مطالب المؤتمر مبنية على برنامج جديد منتزع من الواقع الجزائري الجديد، وسرعان ماوجدت هذه الفكرة استحسانا لدى المؤتمرين، وبذلك يكون الابراهيمي قد ساهم بحل أكبر معضلة كانت تواجه المؤتمر. (53)

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية طلبت الادارة الفرنسية من الابراهيمي أن يكون لسانا لها على أعدائها، وقد تعرض لضغوط واغراءات كثيرة لكي يقبل ذلك، الا أنه رفض عرض الادارة الفرنسية. وفوق ذلك، فان أعضاء جمعية العلماء اتفقوا على ايقاف صحفهم في أثناء تلك الحرب، حتى لا يطلب منهم مالا يرضاه لهم شرف العلم والصحافة. وعندها قررت الادارة العسكرية الفرنسية نفي الابراهيمي الى منطقة (آفلو) في الصحراء الوهرانية، وما كاد يستقر في منفاه حتى جاءه نبأ وفاة الامام عبد الحميد بن باديس يوم 16 أفريل سنة 1940 م.

51- محمود قاسم (دكتور) / الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف بالقاهرة، سنة 1968م، ص: 30

52- ينظر : ابوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1930- 1945)، ج 3، ص: 13 وما بعدها.

53- ينظر : الشهاب: ج 4 م 12 - ربيع الثاني 1355هـ - جوليت 1936م، ص 206 .

واجتمع المجلس الاداري لجمعية العلماء يوم وفاة ابن باديس وانتخبوا الابراهيمي رئيسا للجمعية خلفا لابن باديس (54) وبذلك تنتهي مرحلة من حياة الابراهيمي وتبتدئ مرحلة أخرى .

وليس من غرضنا أن نتتبع جهود الابراهيمي ونشاطه في أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ؛ ولكننا نكتفي بأنه قضى معظم أيام الحرب في المنفى أو في السجن . وبعد الحرب عاد الى الساحة واستلم قيادة جمعية العلماء ، ووسع نشاطها ؛ فكان لا تهدأ له حركة في هذا السبيل .. يقول الابراهيمي عن ذلك : ((وقد تمر الليالي ذوات العدد من غير أن أطعم النوم ، وقد أقطع الألف ميل بالسيارة في الليلة الواحدة (55))) .
وفي سنة 1952 ، خرج الابراهيمي من الجزائر الى المشرق العربي موفدا من قبل جمعية العلماء للسعي لدى شعوبه وحكوماته لمساندة الجمعية التي اتسعت مجالاتها وأصبحت بحاجة الى تلك المساندة ، كما سعى الى قبول أبناء الجزائر في معاهد وجامعات المشرق العربي .

والخلاصة أن الابراهيمي كان سفير شعب الجزائر الى المشرق العربي والاسلامي قبل الثورة ، كما كان خير مندوب للثورة بعد قيامها لدى الحكومات العربية والاسلامية وجهاز اعلام بليغ في أوساط شعوبها.. الى أن كان الاستقلال فعاد الى الجزائر ، وأم المسلمين في أول جمعة بمسجد كتشاوه الذي كان الاستعمار قد حوله الى كنيسة خلال فترة الاحتلال ، وأعادته الجزائر الى أصله بعيد الاستقلال .

وعلت سن الابراهيمي فلازمه مرض اعياء السنين وضعف الشيخوخة ، وانتقل الى رحمة الله في العشرين من شهر ماي سنة 1965 - التاسع عشر من شهر محرم سنة 1385 هـ وتحققت أمنية الابراهيمي في (مقام) تمناه في أرض الجزائر الحرة .

54- ينظر : محمد البشير الابراهيمي : " أنا " ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج 21 ، ص 147 .

55- المصدر السابق : ص 149 .

3 - قيمة فترة هذه الدراسة في حياة الجزائريين

1 . 3 ملامح بداية النهضة الجزائرية

ينبغي ألا تعتبر الفترة (1929 - 1939) فترة قائمة بذاتها ، ولا مقطوعة العلائق بما قبلها ، وانما هي جزء من فترة (مابين الحربين) التى يراها الابراهيمي أماللنهضة العربية فى الجزائر (1) ، كما أن غير الابراهيمي من الدارسين الجزائريين يجمعون على أن البداية الحقيقية للنهضة الجزائرية تعود الى الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى (2) ؛ ففي العقد الثالث من القرن العشرين ظهرت حركات سياسية مثل ((كتلة النواب)) التي تزعمها الأمير خالد ونادى من خلا لها بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين ، كما ظهرت جمعية ((نجم شمال افريقيا)) التي نادت بالاستقلال والتي عاودت الظهور بعد ذلك تحت أسماء مختلفة .

((والحق أن الفترة مابين الحرب العالمية الأولى واحتفال الاستعمار الفرنسى بالعيد المئوى لاحتلال الجزائر هي بداية النهضة السياسية التى أثرت في الثقافة فبدأت تنهض هي الأخرى ، بعد أن كانت الثقافة العربية التقليدية قد وصلت الى تدهور مريع . (3))) .

2 . 3 - الحركة التعليمية والاصلاحية

وكانت الحركة التعليمية والاصلاحية النشيطة التي بدأها عبد الحميد ابن باديس منذ سنة 1913 م رافدا سهما لهذه النهضة ، بل أن ماقام به

1- ينظر: تصدير الابراهيمي لكتاب: الدكتور أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائرى فى العصر الحديث. ط 2 . دار المعارف القاهرة سنة 1975 ص. 7

2- ينظر : صالح خرفى (دكتور) : الشعر الجزائرى . ص: 5 وكذلك : احمد شرفى (دكتور) الشعر الوطنى الجزائرى (1925-1954) . مخطوط رسالة دكتوراه ((الحلقة الثالثة)) . معهد اللغة والادب العربى . جامعة الجزائر . سنة (78-79) ص 7

3- عبد الله الركيبي (دكتور) : القصة القصيرة فى الأدب الجزائرى المعاصر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة سنة 1969 . ص . 11

ابن باديس كان عملا أساسيا فى نهضة التعليم والأدب والثقافة على وجه العموم. يقول الابراهيمي عن دور ابن باديس فى هذه النهضة : ((انتهت الحرب، ورجعت أنا الى الجزائر ... ورأيت بعيني النتائج التي حصل عليها أبناء الشعب الجزائرى فى بضع سنوات من تعليم ابن باديس ، واعتقدت من ذلك اليوم أن هذه الحركة العلمية المباركة لها مابعدها ، وأن هذه الخطوة المسددة التي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس فى نهضة عربية فى الجزائر)) (4).

واذا كان الهدف الآني لابن باديس فى تلك الفترة من وراء حركته التعليمية والاصلاحية هو تعليم اللغة العربية للجزائريين ، وتفسير القرآن لهم ، ومكافحة الخرافات والأمراض الاجتماعية بينهم، فان هدفه البعيد كان وطنيا وسياسيا (5). ولا جدال فى أن : ((علاقة السياحة بالثقافة واسعة وقوية ، فكما تتأثر الحياة السياسية بآراء المثقفين وأفكارهم عن الأوضاع والمشاكل الاجتماعية ، فان السياسة تؤثر فى الحياة الثقافية ، وتهيئ الأوضاع المؤدية الى ازدهارها ونموها ، أو تضطهدها وتدفعها الى الجمود)) (6).

وعلى الرغم من الاضطهاد الاستعمارى لكل أنشطة الجزائريين منذ الاحتلال ، فان فترة مابعد الحرب العالمية الأولى قد شهدت انتعاشا ملحوظا من قبل الجزائريين فى معظم مجالات الحياة . صحيح أن الطريق لم تكن معبدة أمام ذلك الانتعاش ولكن الاهم هو أنه كان فى تصاعد مستمر، ولم يتجمد تحت ضغوط المستعمر؛ فمثلا عندما أوقفت الادارة الاستعمارية جريدة ((المنتقد)) (7) بعد عددها الثامن عشر اصدر ابن باديس بعدها مباشرة الشهاب ((الجريدة)) لتخلف أختها ((المنتقد)). هذا مع ان بعض المؤسسات الثقافية استطاعت أن تستمر مدة طويلة لأنها كانت موالية للادارة الفرنسية ، أو لأنّ مؤسسيها كانوا من الطبقة التي لا تحرك ساكنا

4- مجلة مجمع اللغة العربية جـ 21 . ص 142 .

5- ينظر الحركة الوطنية الجزائرية (1900 - 1930)

6- أحمد شرفي : الشعر الوطني الجزائرى ص : 34 .

7- جريدة أسبوعية صدر عددها الأول يوم 21- 7- 1925م وصودرت يوم : 31-10-1925

ضد تلك الادارة ، فجريدة النجاح مثلا كانت ـ فيما عدا فترتها الأولى ـ موالية للادارة . ونادى الترقي أسسه جماعة من كبار العائلات الغنية[8] . وفيما عدا ذلك فان ((الصحافة الوطنية الجزائرية تعرضت دائما للحجز والمصادرة ، حتى أن الصحيفة كانت لا تستمر أكثر من بضعة أشهر[9] ؛ فللسلطة الادارة أن تعطل أى جريدة عربية فى الجزائر بسبب أو بلا سبب هذا فى المجال الثقافي ، وفى المجال السياسى لم تتوان الادارة فى شل ((كتلة النواب)) التي لم تطالب بأكثر من المساواة . أما تعطيلها لحركة جمعية ((نجم شمال افريقيا)) فانه لم يكن مستغربا لمناداته بالاستقلال ، ومع ذلك فقد استمر يعمل فى الخفاء حتى عاود الظهور بعد ذلك فى فرنسا أولا ، ثم فى الجزائر فى 11 مارس سنة 1937 تحت اسم ((حزب الشعب)) .

وفى الناحية الاجتماعية فان عمل المصلحين من العلماء لم يكن أقل أهمية مما قاموا به فى مجال التعليم والثقافة ؛((فطيلة العشرينيات نادى العلماء أو شاركوا بآرائهم فى عدد من القضايا التي شغلت الحياة الجزائرية عدة سنوات ، وهذه القضايا تضم : التجنيس ، والمرابطة ، والتمثيل النيابي ، والاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال ، والقوانين الاستثنائية وما شابه ذلك))[10] .

والواقع أن هذه اليقظة فى جميع المجالات كانت تسير متوازية مع ارتقاع درجة الضغط المنصرى الاستعمارى ؛ اذ كان يحضر ، فى أواخر العقد الثالث ، للاحتفالات بالعيد المئوى لاحتلاله الجزائر . ولكن كان التحضير المادى للمستعمر بهذه المناسبة يقابله تحضير معنوى من قبل المصلحين والوطنيين الجزائريين بتقوية روح الصمود عند المواطنين الجزائريين من ناحية ، وبمقاطعة تلك الاحتفالات من ناحية أخرى

8- ينظر : أحمد توفيق المدنى : حياة كفاح (القسم الثانى) ،ص: 100 .

9- عبد الله الركيبى : القصة القصيرة فى الأدب الجزائرى المعاصر ص . 40 .

10- أبو القاسم سعد الله (دكتور) الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930) ص : 460 .

3.3 - أهم الاحداث في هذه الفترة

واذا أردنا أن نحصر الأحداث التي أثرت في حياة الجزائريين في فترة الدراسة (1929 - 1939) [11] فان الواقع يفرض علينا أن نقول : ان أحداث العقد الثالث قد تجمعت في بوتقة (الاحتفال المئوى) ، وبالمقابل فان أحداث العقد الذي يليه كانت في معظمها نتيجة . أورد فعل لتلك الاحتفالات ، ففي سنة 1929 م صدر قرار بحل (نجم افريقيا الشمالية) [12] وليس هذا القرار الا مقدمة تدخل في سياق التحضير للاحتفالات التي كان مقررا لها أن تنطلق في بداية يناير سنة 1930 وتستمر الى 5 جويلية من نفس العام وهو اليوم الذى دخلت فيه جيوش الاحتلال الى الجزائر.

واذا كان الفرنسيون قد اعتبروا سنه 1930 م بداية عهد جديد من انتصاراتهم في الجزائر لاعتقادهم أنهم سيظلون بها الى الأبد ،فان معظم الجزائريين على اختلاف منظماتهم واتجاهاتهم قد شعروا بصدمة مرور مائة سنة على الاحتلال الفرنسي للجزائر [13]. وصدرت بهذه المناسبة بعض التعليقات التي مفادها أنه لن يحتفل الفرنسيون بهذه المناسبة مرة ثانية .

ومن الطبيعي أن يشعر الجزائريون بصدمة هذه المناسبة لأنّ غلاة الاستعماريين كانوا يرددون في تلك المناسبة شعارات معادية للعرب وللمسلمين ، وشعارات مفادها أنهم افتكوا الجزائر من الحضارة العربية الاسلامية وأعادوها الى الحضارة الأوربية المسيحية التي ينتسبون اليها .

11- كان من الصدف أن تلتقي هذه الفترة مع عمر الشهاب ((المجلة)) ، فقد تحولت من صحيفة الى مجلة في شهر فيفرى سنة 1929 وتوقفت في صيف 1939 م .

12- ولد النجم سنة 1926م في باريس، وكان رئيسه الشرفي الأمير خالد ورئيسه الفعلي السيد علي حاج عبد القادر . وكان للنجم هدفان : بعيد ، وهو تحقيق الاستقلال الكامل،وقريب : وهو الدفاع عن مصالح عمال شمال افريقيا في أوروبا . ينظر الحركة الوطنية الجزائرية ، حـ 3 . ص : 425.

13- ينظر الحركة الوطنية الجزائرية ، حـ 2 . ص : 469 .

ومن الطبيعي كذلك أن يشعر الجزائريون بالصدمة المنيفة بهذه المناسبة ، لانه فى الوقت الذى كان فيه الفرنسيون يحتفلون بمرور قرن على وجودهم فى الجزائر، فان سياستهم نحو الجزائريين كانت((التجويع والتجهيل والطرد الى حافة الصحراء، أو توجيه الالوف منهم الى ميادين القتال أو نحو أحط أنواع العمل فى مصانع فرنسا)) (14) .

ومما يزيد من مرارة احتفالات القرن عند الجزائريين أن الفرنسيين لم يقتصروا على الاحتفال بمناسبة دخولهم الى مدينة الجزائر فقط ، وانماكانوا يحتفلون بذكرى دخولهم لكل مدينة من مدن القطرالجزائرى ، وبذلك أصبحت فترة الثلاثينيات كلها استعراضا موءلما لمأساة الاحتلال من جديد .

((واذا كانت هذه الاحتفالات قد نكأت جرح المواطن ، فانها قد عمقت استملاء الدخيل . . . والامر الموءكد هو أن المتردد قد راجع نفسه ، والمستمر أهدافا وطنية قد جهر بها)) (15)

والخلاصة أن احتفالات القرن قد كشفت أوراق الجميع .

ولعل أهم رد فعل لصدمة الاحتفالات هو ظهور تجمع العلماء الجزائريين فى شكل جمعية هي ((جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)) التي أدارت الصراع ضد الاحتلال الفرنسي طوال الثلاثينيات بل والى مابعد ذلك حتى اندلاع ثورة 1954 م ، وكانت فى ادارتها لهذا الصراع تمثل الشعب الجزائرى (16) فى تصديه للاستعمار من ناحية ، وفى تعرضه لغضب ذلك الاستعمار من ناحية أخرى . وبالاضافة الى العلماء ، فان النواب الجزائريين اصبحوا يلحون فى المطالبة بالحقوق والمساواة .

14- محمود قاسم (دكتور) : الامام عبد الحميد بن باديس . . . ص: 121 .

15- صالح خرفي (دكتور) : الشعر الجزائرى . ص : 22 .

16- يقول الدكتور ابو القاسم سعد الله : ((ان جمعية العلماء ، والنجم ، ثم حزب الشعب الجزائرى كانوا يمثلون العمال والفلاحين والمثقفين الفقراء)). الحركة الوطنية الجزائرية . جـ 3 . ص 124 .

ولعل مشروع (موريس فيوليت) سنة 1931 م لم يكن الا نتيجة لهذا الوضع الجديد فقد كان صاحب المشروع على علم تام بما يجري في الجزائر، وكان من دهاة الساسة الفرنسيين الحريصين على مصلحة فرنسا قبل كل شيء. وتدور فكرة المشروع الأساسية على أنه اذا لم تقم فرنسا ببعض الاصلاحات في الجزائر، فانها سوف تخسرها نهائيا.(17)

وكان من حسن الحظ أن عارض المعمرون في الجزائر تلك الاصلاحات، وبذلك أخفق المشروع وصحت نبوءة (موريس فيوليت).

واذا كانت الأهداف الرئيسية لجمعية العلماء خلال فترة الثلاثينيات وهي في الوقت نفسه أهداف كل الجزائريين - تتلخص في: الاسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا، فان أهداف فرنسا في الجزائر. وقد حاول (موريس فيوليت)، أن يعبر عنها في مشروعه - هي: التنصير، والفرنسة، والادماج.(18)

ولذلك، فانه عندما اخفقت الادارة الاستعمارية في أن تستولي على جمعية العلماء في اجتماعها الثاني سنة 1932 م بواسطة أتباعها من الطرقيين ورجال الدين الرسميين الذين أوحت اليهم أن يؤسسوا "جمعية علماء السنة"، فانها سنت قرارين عن طريق (ميشال)(19) في السادس عشر والثامن عشر من فبراير سنة 1933 م يقضيان بمراقبة العلماء والتضييق عليهم ومنعهم من أداء مهمتهم الدينية في المساجد، ومنعهم من فتح المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية.

17- المرجع السابق: ص: 17.

18- ينظر: رابح تركي (دكتور): التعليم القومي والشخصية الوطنية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر سنة 1975. ص: 110-113.

19- وقد كان يشغل منصب الشؤون الأهلية، والكاتب العام لولاية الجزائر العامة، ينظر: الحركة الوطنية الجزائرية. ح 3. ص: 20.

كما أن الأوامر صدرت بمنع صحف الجمعية من الصدور، فتوقفت نتيجة لذلك جرائد الجمعية: السنة والشريعة والصراط ، التي أصدرتها الجمعية بالتوالي ، وأوقفتها الادارة الفرنسية بالتوالي فى سنة واحدة هي سنة 1933 م .

وفى أعقاب هذه الاجراءات ضد نشاط جمعية العلماء، ولماكانت الأوضاع الاقتصادية متدهورة فى الجزائر بالاضافة الى الوضع الاجتماعي ، فقد سافر وفد من النواب الى فرنسا . لكن وزير داخلية فرنسا آنذاك (شوطان) رفض مقابلة وفد النواب ؛ ((فرجع الوفد خائبا خيبة مريرة مما زاد الشعب حماسا لمطالبه، وكان الشعب آنئذ يردد كلمة (فاقوا)) (20)

وكانت شرارة تفجير الموقف ابان سنتي 1934 و 1935م هي أحداث قسنطينة التي سرعان ما انتشرت منها الى بقية أجزاء الوطن الأخرى ؛ فوقعت مظاهرات ضخمة فى بداية سنة 1935 فى مدينة سطيف، كما وقعت فى نفس السنة أحداث أخرى مشابهة لها فى العنف فى الغرب الجزائري . أما أحداث قسنطينة فتعود الى أن أحد اليهود المجندين اعتدى على المسلمين فى الجامع الأخضر يوم الجمعة ، ووقعت نتيجة لذلك مشادات بين المسلمين واليهود جرت على اثرها مظاهرات شارك فيها حوالي عشرة آلاف مواطن . (21)

وعلى اثر الاحداث السابقة زار السيد (رينيه) وزير داخلية فرنسا الجزائر أوائل سنة 1935 م ، وبدلا من أن يدرس أوضاع الجزائريين ويخفف من الضغط عليهم أصدر على العكس من ذلك - قرارا فى 30 مارس 1935م يقضي بالتضييق عليهم .

---

20 - المرجع السابق ص : 46.

21 - المرجع السابق ص : 50.

وفي صيف 1936 تنادت القوى المختلفة في الجزائر لعقد مؤتمر اسلامي تحضره جميع الجمعيات والأحزاب لدراسة أوضاع الجزائريين وتقديمها في شكل مطالب عاجلة الى سلطات فرنسا . وخلال نفس السنة جاءت الجبهة الشعبية الى الحكم في فرنسا ، فأصبحت الظروف أكثر ملاءمة لعقد ذلك المؤتمر وتلبية مطالبه . كما أن مشروع (فيوليت) قد أعيدت اليه الحياة من جديد بعد أن جمدته ضغوط المعمرين في الجزائر .

وانعقد المؤتمر الاسلامي في 7 جوان سنة 1936 ، وكان لجمعية العلماء دور مهم فيه ؛ فالدعوة الأولى لعقد ذلك المؤتمر كانت من ابن باديس،(22) كما أن الابراهيمي كان وراء فكرة وضع برنامج جديد من واقع الجزائر وطرح كل المشاريع السابقة .(23)

ومع أن المؤتمر قد عقد ، والمطالب قدمت ، والظروف المتمثلة في الأحزاب اليسارية الحاكمة في فرنسا آنذاك كانت متوفرة فان الاستجابة لمطالب الجزائريين ظلت رهن الوعود .

((وكان المؤتمر الاسلامي أشبه بتصفية أخرى بعد الاحتفالات ومواجهة شاملة لسياسة حسن الظن . وعندما تبرهن هذه السياسة عن فشلها مرة أخرى أمام أكثر العناصر ادعاء للاشتراكية في فرنسا سيتحول مجرى الأحداث كلها الى وجهة جديدة(24))) .

وهكذا ، لم يختلف الفرنسيون الاشتركيون عن غيرهم من الفرنسيين السابقين، بل لعلهم كانوا أكثر لؤما - في معاملتهم للجزائريين - عندما التجأوا الى المكايد الخفية ؛ فدبروا اغتيال المفتي كحول وألصقوا التهمة

22- ينظر : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج 4 م 12 . ص : 198.

23- ينظر: المصدر السابق : 206 .

24- صالح خرفي (دكتور) : الشعر الجزائري . ص : 25.

بالشيخ المقبي .. وأصابوا عصفورين برمية واحدة ؛ فقد أفسدوا المؤتمر الاسلامي ، واستطاعوا - بصعوبة بالغة - أن يبعدوا الشيخ المقبي عن الجمعية ، وذلك عندما قدم استقالته اثر الاختلاف حول ارسال برقية تأييد الى فرنسا قبيل الحرب العالمية الثانية .

وظل الفرنسيون متمسكين بنغمة الاحتفاظ بالجزائر عن طريق القوة ؛ من ذلك أن (أوبو) وكيل وزارة الداخلية الفرنسية زار الجزائر ابان مارس سنة 1937 م وصرح بأن الاحتفاظ بالجزائر يقتضي شيئا من الشدة وفرض الاجراءات القاسية .(25)

ومعلوم أن فرنسا كانت فى هذه السنة تستعد للاحتفال بذكرى الاحتلال المئوى لمدينة قسنطينة ، ولذلك فلا غرابة أن تسارع الى حل ((نجم شمال افريقيا)) فى فرنسا تماما كما حلته قبيل احتفالات القرن سنة 1929 م .

وبعد شهرين فقط من حل النجم فى فرنسا استطاع رئيسه ((مصالي الحاج)) أن يعود الى الجزائر ليكون (حزب الشعب الجزائرى) فى 11 مارس سنة 1937 ، وبعد ذلك بشهرين كتب ابن باديس مقالا فى الشهاب تحت عنوان : ((هل ان أوان اليأس من فرنسا .))(26) ففي عنوان المقال ومحتواه دعوة الى التخلي عن أسلوب المطالب ، لأن فرنسا تعد ولا تفي .

ويبقى أن نفهم أن فى الدعوة الى التخلى عن أسلوب المطالب دعوة الى انتهاج أسلوب الثورة.ولعل ذلك يتضح من أنه فى نوفمبر سنة 1937م وقبيل الاحتفال بذكرى احتفال فرنسا لمدينة قسنطينة أصدر ابن باديس نداء فى الشهاب دعا فيه مسلمي قسنطينة الى مقاطعة الاحتفال . وقد جاء فى نهاية ذلك النداء : ((قاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها . كونوا فى هدوء وسلام ... عبد الحميد بن باديس)) .(27)

25- ينظر : الحركة الوطنية الجزائرية .ج 3.ص : 33 .

26- ينظر: ابن باديس حياته وآثاره : ج 3 . ص : 364 .

27- المرجع السابق . جـ 3 . ص (387 - 388) .

وفى الوقت الذى كانت فيه فرنسا تحتفل بذكرى احتلالها لمدينة قسنطينة كان أعضاء جمعية العلماء يحتفلون بافتتاح مدرسة ((دار الحديث)) بتلمسان ، ومما قاله ابن باديس فى تلك المناسبة أنها (يوم عيد النهضة الجزائرية)، ولا يخفى ما فى هذه التسمية من معارضة للاستعمار الفرنسي .

وكان لابد أن تنتقم الادارة الفرنسية من ابن باديس ومن الجمعية فأصدر، (شوطان) وزير الداخلية الفرنسية قرارا فى : 8 مارس سنة 1938 م يقضيى :

1- باعتبار اللغة العربية فى الجزائر لغة اجنبية ، ولذلك فانه يمنع تعليمها بدون رخصة . وعندما يطلب الجزائريون تلك الرخصة، فان الادارة الفرنسية تضع كل المراقيل فى سبيل صدهم عن ذلك !

2- كما يقضي ذلك القرار كذلك بتضييق حرية السفر الى فرنسا فى وجه العمال الجزائريين ، وذلك باشتراط بطاقة الخدمة العسكرية مع بقية الأوراق الأخرى .

وقد أثار هذا القرار سخط الجزائريين ولاسيما أعضاء جمعية العلماء وأنصارها.(28)

ولا يتمثل خصوم جمعية العلماء - خلال الثلاثينيات - فى الادارة الفرنسية فقط ، وانما هنالك الطرقيون ، و(المرابطون) ،لأن الجمعية حاربت فكرهم وخرافاتهم، وهنالك النخبة ؛ لأن الجمعية تركز على اللغة العربية وهم قد افتتنوا باللغة الفرنسية وهنالك بعض النواب ؛ لأن الجمعية حاربت التجنيس، وقد كانوا أنصاره ، وهنالك الرسميون من رجال الدين ؛ لأن الجمعية لاترضى عن وظائفهم ..

---

28 - ينظر : الحركة الوطنية الجزائرية . ج : 3 . ص 35 .

ومع أن الجمعية وقفت صامدة في وجه كل أعدائها ، الا أن ذلك لا يمنع أنها تعرضت لأزمتين خطيرتين على مستوى مجلسها الاداري : أما الأولى فتتعلق باتهام الادارة للشيخ الطيب العقبي بالاغتيال أو التحريض عليه ، وكان العقبي يرى أن أعضاء الجمعية لم يقفوا الى جانبه بالقدر الكافي . وأما الثانية فهي الخلاف الذي وقع بين أعضاء مجلسها الاداري حول ارسال برقية تأييد للسلطة الفرنسية قبيل الحرب العالمية الثانية (29) .

ولأن أغلب الأصوات رفض فكرة ارسال البرقية فقد استقال الشيخ الطيب العقبي من الجمعية ، وعلق على قراره بالاستقالة بأنه يعني المحافظة على وحدة الجمعية . ولعل السبب هو رفض الأغلبية لفكرته تلك .

والواقع أن حجة الشيخ الطيب العقبي باقتراحه لارسال البرقية ، ثم باستقالته ، لا يقنعنا اليوم ونحن مجرد متصفحين لأحداث الصراع الذي دار بين الجمعية وخصومها - والادارة الفرنسية على رأس أولئك الخصوم - فكيف كان يمكن أن يقتنع بها أولئك الذين جابهوا ذلك الصراع بصورة عملية ؟

الحق أن الاستعمار قد أثبت لأولئك العلماء ، ولكل الذين عرفوه ، أنه لون واحد لا يتغير ، ولكنه أبدا شديد القتامة .

ولكي لا تضع الجمعية نفسها في موقف لا يتفق مع مبادئها ، كما هو الحال مع قصة البرقية ، ولكي لا تضع أعضاءها في موقف المساومة ، بالترغيب أو الترهيب ، كما هو الحال عندما طلبت فرنسا من الابراهيمي أن يكون لسانا لها في بداية الحرب ، في صحفها واذاعاتها ؛ فقد قررت السكوت منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية خلال صيف 1939 م .

تلك هي الساحة التي كان الابراهيمي - ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - يتحرك فوقها ، وهي ساحة لزجة ولا شك ؛ فقد عجمت بأحداث

29- ينظر : المرجع السابق ص : 107 - 109 .

واهتزت بصراعات قوى مختلفة الهوى والمطامح . وذلك هو الجو الذى كان يهيمن فيه الابراهيمي عندما خط قلمه أو فاه لسانه بالنصوص التى استطعنا العثور عليها، والتى سوف نحاول - ما استطعنا - عرض أفكارها فى ضوء ماسبق من أحداث حياة الابراهيمي من ناحية، وأحداث الفترة الزمنية من ناحية أخرى .

القسم الأول

فكر الإبراهيمي من نثره في الفترة

من 1929 إلى 1939م

آراء الإبراهيمي (١) حول الإسلام

2 . 1 - الاســــلام الصحيــــح .

سبقـت الاشـارة الى أن الابـراهيمي أقـــرب مـايكــون ـ فى اتسـاع أفقـه الفكـرى ـ الـى دائـرة معـارف اسـلا ميـة .(1)

ولما كانـت المعارف الاسـلامية تفـرعـت فى الاسـاس عن الفكـرالديني الاسـلا مى الصحيــح ؛ فطبيعــي اذن ان يقـوم فكـر الابراهيمى على هـذا الاسـاس نفسـه ؛ فالابـراهيمي يـرى انـه اذا كانـت الاوطـان جـامعة للابدان ، واللغـات جـامعـة للالسنة ، فان الاديـان هـي الجامعـة بيـن الارواح ، وهـي المؤلفـة بيـن نكـرات القلــوب . ومن بيـن النقـاط المهمـة التي تلتقي فيهـا الاديـان السمـاويـة جميعهـا أنهـا تجمـع البشـر على الهدى والحـق .(2)
لكن الابـراهيمي يميـز نـزعتيـن مـن النـزاعات المفسـدة للاديـان ، وهمـا : التعطيـل والشـرك .(3) وقـد جـاء الديـن الاسـلامي بـالدواء الشـافى منهمـا ، وتمثـل ذلك الـدواء فى : ((التـوحيـد)) الخـالـص المـؤيـد بالادلـة الـتي يـدركهـا الانسـان بفطـرتـه والتى تبتـدئ مـن النفـس الانسـانيـة ذاتهـا ،(4) كمـا قـد جـاء الاسـلام لاصـلاح الاديـان التى جاء بهـا الانبيـاء والمـرسلــون ، والشــرائـع التى قـررهـا الحكمـاء والمصلحـون بعـد أن غيـرتهـا الوثنية الـتى وقفـت فـى طـريـق الفكـر .(6)

واذا كـان الابراهيمي قـد مجـد (العقـل الانسـانى) فى الفكـرة السابقـة ، فذلـك لانـه يـرى أن العقـل السليم هـو الذى يأتي بما يطابـق الشريعـة الاسلامية

1- راجـع فيمـا سبـق ص : 416

2- ينظـر : (تصدير) سجـل جمعيـة العلمـاء . ص : 13

3- التعطيـل : يعـني نفـي الصفـات عـن الالــه .

4- ينظـر : (تصدير) السجـل : ص : 9 ، 10

5- فكـر الابراهيمي ليـس قائما على تجريـد الدين مما علق بـه من (الزوائد) الـتى ليست منه والعودة به الى الكتاب والسنة فقـط ، وانما يحمل أيضـاشيئامن آثـار المذاهـب الاعتزاليـة التى تجعـل للعقـل مكانا كبيرا فى فهـم الدين ، فمن أقوال المعتزلة مثلا ان الانسان مكلف حتى لو لم تأتـه رسالة من رسول ، لان (العقـل) هـو الرسـول الاول .

6- ينظـر (تصديـر) السجـل . ص : 9

فى الجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد جميعا ؛ اذ ان فى الجمع بين مطلبيهما سعادة الانسان فى الحياتين .

ولا يعد من قبيل التناقض فى فكر الابراهيمي بعد ذلك أن يقول :
((واذا كان فى الديانات السماوية قبل الاسلام مالا يفي بحاجة البشر من تحصيل السعادتين ، فكيف بالقوانين الوضعية ، ونحن نرى أرقاها فى أرقى الأمم موجهها الى استصلاح البدن ، ونراها لا تحمل من جراثيم الاصلاح الروحي الا قليلا لا يشفي ولا يكفي)) (7) .

فالأحرى بنا - وفق هذا السياق - أن نقول ان الابراهيمي يقف هنا موقف (الناقد) للعقل البشرى الذى أصبح لا يهتم الا بجوانب الانسان المادية ، وكان عليه أن يهتم بالجانبين (المادى والروحي) معا .

وكما حرر الاسلام العقل الانساني وفتح أمامه ميادين التفكير والاعتبار ، فقد حرر أيضا الأرواح والأبدان ، وقرر مبدأ المساواه بين البشر ، وهو المبدأ الذى لم يسبقه اليه سابق ولم يلحقه فيه لاحق (8) .

والاسلام ليس دين حرية فقط ، ولكنه الى جانب ذلك دين وحدة تلاشت فى جامعته جميع الأجناس ؛ لأنه لا يعرف جنسا وجنسا ، وانما يعرف الانسان لأنه انسان ، يترقى بمواهبه ، ويكرم بتقواه .

ولأن الاسلام دين وحدة فقد انتظم أمما مختلفة الأجناس واللغات والطبائع والألوان ، وفى هذا دليل على فطرية الاسلام وشموليته (9) .

7- الابراهيمي : مقال : (الاسلام والمسلمون) السنة النبوية المحدية . العدد 4 . ص 3 . قسنطينة : الاثنين : 6 محرم 1352هـ . اول ماي 1933 .

8 - ينظر : (تصدير) السجل . ص : 7 .

9- ينظر مقال : الاسلام والمسلمون السنة النبوية المحمدية العدد : 4 . ص: 3 .
وينظر كذلك : (تصدير) السجل : ص 9 .

ولأن الاسلام دين وحدة وحرية ، ولأن الاسلام - فوق ذلك - مجمع للفضائل الانسانية ، فهو حقيق أن يقود العالم - بله - أبناءه الى عمل واحد والى غاية واحدة .

والاسلام بعد ذلك عقائد وعبادات ومعاملات : فأما العقائد والعبادات فلا مدخل لغير المعصوم في اثباتها ، وأما المعاملات في الاسلام فهي تراعي مصالح البشر في حياتهم الاجتماعية . ومن حكمة الاسلام أن المعاملات جاءت كلية في القرآن ، وفي ذلك دليل على صلاحيتها لكل زمان ومكان ؛ فلقد طبق أسلافنا (معاملات القرآن الكلية) بما كان يتلاءم مع ظروفهم ، ويبقى على من يأتي بعدهم أن يستعمل القياس والعقل في تطبيق المعاملات بما يتلاءم مع الشريعة الاسلامية من ناحية ، ومع ظروف الحياة الجديدة من ناحية أخرى . (10)

2 . 1 - أحوال مسلمي الجزائر في فترة الدراسة .

ولكن ماهي صورة ظروف الأمة والبيئة في فترة هذه الدراسة كما تظهر من خلال فكر الابراهيمي ، وما علاقتها بالدين ؟

يرى الابراهيمي أن حلول النهضة قد صادف أوضاع الجزائريين متدهورة في كل شيء ؛ فالأمة غشاء من البشر يعيش في غفلة عن العالم الذي يتحرك في كل شيء ، وهذا الغشاء جامد كأنه قد ورث من العالم قطعة لا تتحرك - والوطن مستغل من الكتائب المغيرة تنهب خيراته ، في حين أن أهل الوطن في فقر مهين . واللغة أصبحت مجموعة من الرطانات التي لا تؤدي معنى ولا تبين عن مقصود . والأدب لا يعدو أن يكون سفاسف من القول لا يعبر ولا يثير . والدين مسلوب الخصائص

---

10 - ينظر : (محاضرة 7 رمضان 1347هـ) ، الشهاب ج 6 م 5 ، صفر 1348 هـ - جوليت 1929 م ، ص : 6 .

المؤثرة من ايمان وعقائد وعبادات ومعاملات، ومايتبع ذلك من أخلاق .(11)

ولأن الابراهيمي كان على وعي تام بما يردده المستعمرون من أن الاسلام هو سبب تأخير المسلمين،(12) فقد بين زيف هذه الدعوى بالرجوع الى التاريخ اذ يرى : إنه قد آمن المسلمون الأولون ايمانا كاملا ، لأنهم اتبعوا القرآن والسنة الصحيحة، وآمنا - بدلا من ذلك - بالخرافات والخوارق الباطلة .(13) ويرى أنه لذلك قد اختلت عقائدنا وعباداتنا ومعاملاتنا ومايتبع ذلك من أخلاق، وحل بدلا من ذلك كله، ظلام من المعتقدات والخرافات والأوهام الباطلة، ومايتبع ذلك من أخلاق هي أخلاط من مساوئ النفوس .

وهكذا تحطمت محاسن الدين وأصبحت أنقاضا تسيء اليه ولا تنبيء عنه . ونتج عن ذلك كله فقدان للاحساس ، واختلال فى المجتمع أوقعه فى كثير من المصائب والويلات .(14)

ان الاسلام دين وحدة وحرية . ((وسبق أن كان الاسلام سبب تقدم وعمران .. . والسبب الواحد لا تنشأ عنه مسببات متناقضة ، فالاسلام الذى كان سببا فى الصلاح لا يكون سببا فى الفساد ، والاسلام الذى من مقاصده اسعاد البشر لا يكون أبناؤه أشقى الناس به ، والاسلام الذى حرر العقل من قيوده ليفكر ويدبر لا يكون سببا

11- ينظر مقال : (لا يبنى مستقبل الامة الا الامة) ، البصائر . العدد: 26 . الجزائر . الجمعة 13 ربيع الثاني 1355هـ - 3 جوليت 1936م . ص: 4 .

12- ينظر مقال : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية المحمدية . العدد 4 .ص4 . وكذلك مقال : (تمثلوا نسائلكم: الحلقة 2) . السنة النبوية المحمدية . العدد 9 . قسنطينة: الاثنين 11 صفر1352هـ . 5جوان 1933 . ص 2 .

13- ينظر : (كلمة التصدير لهذا العدد) : الشهاب جـ 4 م 14 ، ربيع الثاني جمادى الأولى 1357هـ - جوان جوليت 1938 م . ص 165 .

14- ينظر: (الجمعية دعوتها وغايتها) : الشهاب جـ 9 م 9 ربيع الثاني 1352هـ . اوت 1933 م . ص : 351 .

في تقييده والحجر عليه .)) (15)

واذن فما هو السبب في كل ما حل بالاسلام والمسلمين من أدواء في هذه الفترة ، وفي هذه البيئة ؟؟

3 . 1 - أعداء الدين الاسلامي في الجزائر

((ان محاسن هذا الدين كونت له أعداء من غير المنتسبين اليه يرمونه بكل نقيصة ، وان حقائقه ومقاصده السامية كونت له أعداء من المنتسبين اليه يرمونه بكل معضلة ... وليسوا سواء في القصد ، ولكنهم سواء في الاثر)) (16) . ولقد انصبت آثار هؤلاء جميعا على الامة ودينها ووطنها ، ومن هؤلاء الاعداء :

1 . 3 . 1 - الطرقية :

ان الصراع بين الطرقيين من ناحية وبين المصلحين من علماء الاسلام من ناحية أخرى ليس بالموضوع الحديث، كما أنه ليس من الموضوعات التي انحصرت في بيئة دون أخرى من رقعة العالم الاسلامي .

ولكن موضوعنا ينحصر في صراع فكر الابراهيمي المصلح مع فكر الطرقيين،وفي فترة محدودة هي فترة هذه الدراسة .

ومنهج الابراهيمي في صراعه مع طرقيي الجزائر هو أنه يبدأ بعرض موضوعات لا خلاف عليها ، كأن يبدأ ببيان أن كتاب الاسلام هو القران، وأن رسول الاسلام هو محمد (ص) . ثم يتطرق الى الامور العديدة التي كانت سببا في تفريق المسلمين وخراب الاسلام ، كالتأويل، وكالاختلاف في المذاهب الفقهية والكلامية .. ثم يتطرق الى التصوف، وكيف أن : ((التصوف شئ غامض

15- محمد البشير الابراهيمي : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية . العدد 4 . ص: 4 .

16- الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم: الحلقة 2) : السنة النبوية المحمدية . العدد : 9 . ص : 2 .

يسعى اليه بوسائل غامضة ، ويسهل على كل واحد ادعاؤه والتلبس به ، فان خاف مدعيه الفضيحة لم يعدم سلاحا من الجمجمة والرمز وتسمية الاشياء بغير أسمائها ، ثم الفزع الى لزوم السمت والتورع بالصمت والاعراض عن الخلق والانقطاع والهروب منهم[17] مادام هذا كله معدودا فى التصوف وداخلا فى حدوده))[18] . وهكذا يسدد الابراهيمي منفذ التصوف على الطرقيين الذين يزعمون أن الصوفية - ومن ورائهم الطرقية - أناس صالحون اذ يبين لهم أن هناك من يسمونهم (صوفية) وهم بالفعل صالحون ولكن صلاحهم لم يأتهم من هذا الاسم ، وانما أتاهم من اتباعهم للشرع . فهم صالحون بالتدين وليس بالتصوف . ثم ان ((هذا التصوف الذى لا عهد للاسلام الفطرى النقي به ... لانقره مظهرا من مظاهر الدين ... وان كنا نقره فلسفة روحانية جاءتنا من غير طريق الدين))[19] .

ثم ان التصوف قلعة قد يحتمى بها كل فاسق وكل زنديق ... فلا صوفية فى الاسلام[20] .

وبعد أن يصل الابراهيمي الى هذه النتيجة التي قطع بها الحبل الذى يصل الطرقية بالصوفية يتوجه الى نقد الطرقيين فيبين كيف أنهم أبعدوا المسلمين عن القرآن (دستور الاسلام) وكيف نتجت عن ذلك كل المفاسد التي حلت بالمسلمين ؛ فقد كتبوا لهم كتيبات تحمل قراءتها - فى رأيهم - محل قراءة القرآن وتفوقه فى الأجر والثواب !

17- فى محاورة مع الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائى حول بعض القضايا اللغوية ذكر أنه لا يوجد مصدر (هروب) فى اللغة العربية وانما الصحيح هو(الهرب) . وفى (المعجم الوسيط) : هرب يهرب هربا وهروبا وهربانا بمعنى : فرّ يفر فرارا .
أما المحاورة مع الدكتور السامرائى فقد كانت فى جامعة قسنطينة عند زيارته العلمية لها ربيع سنة 1979 م .

18- الابراهيمي : (تصدير) السجل : ص:17 .

19- الابراهيمى : المصدر نفسه ، ص 30 ، 31 .

20- ينظر : المصدر السابق : ص : 31 .

((فاذا كان ... القرآن يتعبد بتلاوته اللفظية وهو ستون حزبا ، فان تلاوة (انجيل التيجاني) القصير وهو (صلاة الفاتح) مرة واحدة تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن ... !!

واذا كان القرآن يفرض الحج ، وفيه مافيه من مصاعب ومتاعب ، فان (انجيل التيجاني) تعدل تلاوته ، آلاف المرات من الحج ، ومآت الآلاف من الصلاة كما هو منصوص في كتب التيجان وكتب أصحابهم!)) (21) .

وكما بين الابراهيمي أسلوب الطرقيين في افساد القرآن،فانه يبين كذلك أسلوبهم الخطير في استغلالهم للعلماء ، وتدرجهم في ذلك من الاستغلال الى الاذلال .. عن طريق المال ؛ ((فقد ابتلت هذه الطرق علماء الأمة في القديم بوساوسها وأوهامها حتى سكتوا لها عن باطلها ... وابتلتهم في الحديث بدريهماتها ولقمها حتى زادوا على السكوت والاقرار ، الاتباع والانتساب ... حتى أصبحنا نرى العالم المؤلف يعرف نفسه للناس في صدر تأليفه بمثل قوله: فلان المالكي مذهبا ، الأشعري عقيدة ، التيجاني طريقة ، .

وفي وقتنا هذا بلغ الحال بالطرق أنها أذلت العلماء اذلالا واستعبدتهم استعبادا ولم ترض منهم بمارضيه سلفها من سلفهم من حفظ الرسم واللقب وابقاء السمة والمكانة بين العامة ، بل أغرت العامة بتحقيرهم واذلالهم)) (22) .

ومن بيان افساد الطرقيين للقرآن واستغلالهم للعلماء ، يتجه الابراهيمي الى محاربة الطرقيين في أوساط العامة من الناس ؛ فيبين أن أسلوب (الطرق) في استغلال العامة يعتمد على تجهيلها ، وتفريقها بين الطرق المختلفة ، ثم ايهامها بأن شيوخ الطرق هم وحدهم القادرون على ايذائها او نفعها ، حتى أصبح العامي من الأمة يقسم بكل الايمان ، ولكن الموت أهون عليه من أن يقسم بالشيخ أو بالضريح . بل ان الطرقيين أوهموا العامة من الأمة أن حق (شيخ الطريقة)

---

21 - الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 25 .

22 - الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 23 .

23 - احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر . دار المعارف بمصر سنة 1963 . ط :2 . سنة 1963 . ص : 351 .

قبل حق الزوجة والاولاد والآباء والاجداد ، وأن حق (الشيخ) فى المال قبل حق الفقير والمسكين .. ((لعمرك ان الطرقية فى صميم حقيقتها احتكار لاستغلال المواهب والقوى ، واستعمار بمعناه المصرى الواسع، واستعباد بأفظع صوره ومظاهره)) . (24)

وهل كانت الطرق الا حليفا للإدارة الاستعمارية فى الجزائر، وهل كانت الا عونا لها على استغلال الجزائريين ، وهل هناك دليل أوضح من أن يترأس عامل العمالة أو نائبه فى المقاطعات الفرعية اجتماع الطرق والمشايخ ؟ (25) !

ولما أحس الطرقيون أن المصلحين - ومن بينهم الابراهيمي - بدأوا فى حربهم، راحوا يؤلبون عليهم العامة التي استطاعوا جمعها واستعبادها أمدا طويلا ، لخلو الساحة لهم.. فكانوا يصورون المصلحين للعامة بصور مختلفة، كأن يصفوهم بالوهابيين أو المبداويين، وعندما يسأل العامي المسكين عن معنى (الوهابي) ؟ فيكون الجواب : انه الكافر بالله وبرسوله ! يقول الابراهيمي : ((ان دين أصحابنا هو (البدعة وماتفرع عنها)، ومن كفر ببدعهم فهو الكافر فى اصطلاحهم، وعليه فالوهابيون كفار، والمصلحون كافرون !)) . (26)

وعندمالم يستطع الطرقيون اضعاف قوة المصلحين بهذه الوسيلة، أجمعوا أمرهم ونفذوا ماأوحى لهم الاستعمار به وهو : تأسيس جمعية تحمل اسم ((جمعية علماء السنة)) . واجتماع الطرق فى جمعية بهذا الاسم ان هو الا أسلوب جديد فى

24- الابراهيمي : (تصدير) السجل : ص :(26 - 27) .

25- ينظر مقال : (الى الطرقيين بمناسبة رسالتهم الى جمعية العلماء) . البصائر السنة الثانية . العدد : 80 . الجزائر - الجمعية 26 جمادى الثانية 1356 هـ . ديسمبر : 1937 م . ص : 2 .

26- الابراهيمي : (مقالوا نسائلكم : الحلقة 2) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 9 . ص : 6 .

فى التدجيل على الأمة باسم (السنة) من ناحية، ووقوف فى وجه علماء الاصلاح من ناحية أخرى، كما أنه عون للاستعمار على الجميع من ناحية ثالثة.

وقد صنف الابراهيمي العناصر التي كونت تلك الجمعية فرأى أنها : شيخ (مزور)، وعالم مأجور، وعامي مغرور ثم بين أن مجموع هذه العناصر ينتج عنه : شعوذة (غالية) من الأول، يؤيدها علم (رخيص) من الثاني كل ذلك لايقاع الثالث في الفخ ؛ فهو الذى يدفع ثمن الغالي والرخيص وهو المغبون أولا وآخرا.(27)

ولهذا فقد وقف الابراهيمي بعنف في وجه أعضاء تلك الجمعية ؛ فمن أقواله فى حربهم أن : ((علماء السنة يتسمون باسم لا يلتقون مع معناه فى طريق ولا يقوم عليه شاهد من أقوالهم، ولا ينزع عليه دليل من أفعالهم ...

وانما هي الشعوذة لبستهم فأنكرناهم فيها، فلبسوها فأنكرناها عليهم ؛ فخرجوا من باب اللباس الى باب التلبيس))(28).

وسخر الابراهيمي من التقاء (شيوخ الطرق) فى جمعية واحدة ؛ وهم الذين يحرم الشيخ منهم على اتباعه أن يصلوا خلف شيخ طرقي آخر، كما سخر من فقدان أولئك الشيوخ لألقابهم بانـدماجهم فى تلك الجمعية اذ ذكر بان من طبيعة الجمعيات أنها تطغى على الأسماء والألقاب ؛ وهى رأس مال شيوخ الطرق وأنها تقضى على الشهرة والصيت وهي حبائلهم وشباكهم التى يصطادون بها العامة.

ولم يكتف الابراهيمي بالسخرية من أقطاب (جمعية علماء السنة) فقط، وانما سخر من جميع أعضائها مهددا اياهم بأن الله قد فتح عليه فى فهمهم وفهم تعقيداتهم،

27- ينظر مقال : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 1) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 7 . الاثنين 27 محرم 1352 هـ . 22 ماي 1933م ، ص : 4 .

28- الابراهيمي : المصدر السابق ، ص : 1 .

29- ينظر: (تعالوا نسائلكم: الحلقة 2) : السنة النبوية المحمدية العدد 11، الاثنين- 29 صفر 1352 هـ - 19 جوان 1933 م ، ص : 3 .

وأنه سوف يفضح أمرهم للعامة، ويبين لها افتراء (الطرقية) على الاسلام باسم ((السنة))(30) .

يقول في هذا السبيل :

((ان هذه السنة المطهرة تأبى لنا الا أن نسميهم بأسمائهم ونكشف سوآتهم وننزع عنهم هذا الثوب المستعار، ونظهرهم للأمة كما هم في الحقيقة والواقع لاكما هم في الزعم والدعوى ويومئذ يتبين للناس أن بين هؤلاء وبين السنة بعد المشرقين))(31) .

ان عقيدة الابراهيمي - التي هي عقيدة المصلحين من العلماء - هي أن الطرق منبع الشرور وأول علل الافساد في الامة ؛ فهم سبب جهلها وهم عون الاستعمار على استغلالها، وهم لصوصها ولكن باسم الدين الذي عطلوا أركانه وشوهوا عقائده .

والمصلحون من علماء الأمة يعلمون أنه ((لا يتم في الامة الجزائرية اصلاح في أي فرع من فروع الحياة مع وجود هذه الطرق المشئومة))(32) .

والمصلحون من علماء الأمة يعلمون كذلك أن أعضاء جمعية علماء السنه هم ((سنيون من قوارير)) ، ولذلك ، فلا بد - لاصلاح حال الأمة وللحفاظ على كيانها ودينها من تحطيم هذه القوارير .

30- ينظر : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 2) . السنة النبوية المحمدية العدد : 9 . ص: 2 .

31- ينظر: (تعالوا نسائلكم: الحلقة 1) . السنة النبوية المحمدية العدد : 7 . ص: 2 .

32- الابراهيمي : (تصدير) السجل : ص 55 .

33- الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 1) . السنة النبوية العدد 7 . ص : 2 .

2 . 3 . 1 - القيادات الدينية (الرسمية)

وكما تعرض الابراهيمي للطرق وشيوخها لأنهم أفسدوا الدين وضللوا الأمة ، فانه تعرض كذلك للقيادات الدينية الرسمية ؛ لأنها تساهلت فى الدين او حرفته ، لجهلها أو لخدمة السلطة أو لارضاء العامة .

واذا كان الابراهيمي فى مواجهته للطرق قد استخدم جميع طاقاته من علم بالدين ومن ذكاء ومن قدرة فائقة فى السخرية منهم وفضحهم أمام العامة ، فانه فى مواجهته لرجال الدين (الرسميين) كان حذرا ويبدو هذا الحذر فى قلة ماكتبه عنهم فى فترة هذه الدراسة اذا ماقورن بما كتبه عنهم فى فترة الأربعينيات ، ومع ذلك فلقد كتب مقالا بعنوان (أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين ؟؟) تعرض فيه الى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى تونس الذى كان قد أصدر فتوى حول (حكم قراءة القرآن على الجنازة) . كما تعرض الابراهيمي كذلك الى ماكان يقوم به الأزهريون فى القاهرة . وتعرض فى البيئة الجزائرية الى نموذج من احتفالات رجال الدين (الأزهريين) فى مساجد العاصمة الجزائرية .

وعندما تعرض الابراهيمي الى فتوى ابن عاشور ، ترك الفتوى ومحتوياتها جانبا والتفت الى لقب (شيخ الاسلام) الذى يحمله ابن عاشور ، فأخذ يقارن حال هذا اللقب بما كان عليه فى الماضى وكيف أصبح فقال :

((أما أننا لانكبر هذا اللقب فلأننا لم نكبره يوم كانت تمطيه المؤهلات الحقيقية ، ويمنحه الرأى العام العلمي فيقال : شيخ الاسلام "ابن القيم" وشيخ الاسلام " ابن حجر" مثلا ، فما أغنى هذا اللقب عندنا عن الاول معشار ماأغنى عنه (أعلام الموقعين) وغيره من كتبه . ولا أغنى عن الثانى معشار ماأغنى عنه (فتح البارى) وغيره من آثاره

34- ينظر فى هذا الصدد : عيون البصائر . ط 2 ، صفحات: 70، 169، 473 ، 613 . . وغيرها .

35- يوجد نص هذه الفتوى فى : البصائر السنة الأولى بالعدد 15 . الجزائر الجمعة 25 محرم 1355هـ . 17 أفريل 1936 . ص : 3 .

- فكيف نتبره الآن وحاله هي حاله ؟ !)) (36)

وفي اعتقاد الابراهيمي أن لقب شيخ الاسلام عند امثال "ابن القيم" و "ابن حجر" كان يؤدي معنى الائتمان على حقائق الاسلام أن تقلب، وعلى دلائله الصريحة أن تزور ؛ لأن شيخ الاسلام من أمثال هؤلاء انما هو ناشر حقائق الاسلام في المسلمين ارضاءً لله، لا ناشر أهواء المسلمين في الاسلام ارضاء لهم. (37)

ولهذا فانه يقرر رأيه بكل وضوح في لقب (شيخ الاسلام) الذي يحمله الطاهر بن عاشور اذ يقول : ((قولوا ماشئتم ، فانني لا أدعوه بعد اليوم الا شيخ المسلمين في غير ظلم ولا تحيز... لأنه آثر رضاهم على رضى الحق ، وارضاءهم على ارضاء الدين)). (38)

ومع أن الابراهيمي يرى أن فتوى (ابن عاشور) قد جاءت بصريح التناقض وأنها خالية من الدليل، الا أنه لم يبين لنا التناقض الوارد في محتويات الفتوى، كما أنه لم يقم الدليل العلمي ضدها. والحق أن مالم يقم به الابراهيمي ازاء محتويات هذه الفتوى قد قام به ابن باديس ، فقد حلل محتوياتها ، وبين - بالدليل العلمي - مواضع تناقضها مع الشريعة الاسلامية. (39)

والخلاصة أن الابراهيمي قد ترك نقد الفتوى، واهتم - بدلا من ذلك - بانتقاد الشيخ الطاهر بن عاشور ، وبتشريح تاريخه العلمي والعملي . وانتهى من ذلك الى عدم أهلية ابن عاشور للقب شيخ الاسلام .

36- الابراهيمي : (أشيخ الاسلام هو ام شيخ من المسلمين ؟ ؟)) : البصائر السنة الاولى العدد : 20 بالجزائر. الجمعة ربيع الاول 1355هـ 22 ماى 1936 م . ص 1 عمود 2 .

37- ينظر المصدر السابق . ص 1 عمود 3 .

38- الابراهيمي : المصدر السابق : ص 2 عمود 1 .

39- ينظر : ابن باديس حياته وآثاره . ج 3 . ص 113.

وهاجم الابراهيمي رجال الدين فى الأزهر الذين لا يحركون ساكنا ازاء عكوف سواد الأمة على الأضرحة ؛ يقيمون حولها الاحتفالات ويرجونها الامداد ، بل ان رجال الدين فى الأزهر يزيدون فى عمى سواد الامة بسكرتهم من ناحية ، وبتقبيل شيخ الأزهر لمقود جمل المحمل من ناحية أخرى.(40)

وكما انتقد الابراهيمي رجال الدين (الرسميين) فى كل من تونس والأزهر، فانه انتقد كذلك رجال الدين فى الجزائر ؛ فقد حضر مرة احتفالا مولديا بالعاصمة ، وسمع عالما أزهريا يقرأ على الناس قصة مولدية . ومما علق بذهن الابراهيمي وانتقده أن ذلك العالم الأزهرى كان يقول للناس:ان النبي (ص) كان يرى من خلف كما يرى من أمام ، وذلك لأن الله خلق له عينين فى قفاه !

وكان يجلس الى جانب الابراهيمي فى ذلك الاحتفال الديني أحد رجال الدين السلفيين الذين لا يرضون عن مثل تلك الضلالات ، فقال للابراهيمي هامسا: ان لدينا من هذا النوع من رجال الدين من يقول للناس ان النبي(ص) لم يولد من السبيل الذى يولد منه كل البشر.(41)

واذا كانت الاشارة قد سبقت الى أن الابراهيمي كان فى فترة الثلاثينيات أكثر اهتماما بكشف الطرقيين منه برجال الدين (الرسميين) ، فان العكس هو ما حدث فى فترة الأربعينيات.(42)

40 - ينظر : (كلمة فى الاحتفالات) : الشهاب ج 4 م 14 . ص: 174 .

41- ينظر: المصدر السابق . ص 176 .

42- ينظر: فقرة (القيادات الدينية الرسميه) ص (458) من هذه الدراسة .

ولانـه ليس من همنا أن نتابع هجومه على الرسميين من رجال الدين في الأربعينيات فان المثال التالي يكفي بيان ما نريده ، فعندما أرادت الادارة الفرنسية أن تضيف جانبا من جوانب التفرقة الى الهيئة الاجتماعية والدينية في الجزائر عينت مفتيا للمذهب الحنفي على الرغم من عدم وجود أتباع لهذا المذهب في الجزائر .

وقد فضح الابراهيمي هذا الاجراء، كما فضح المفتي الحنفي (العاصمي) على قبوله لذلك المنصب . ومما قاله في ذلك: ((ان نسبة الحنفي ، تشترك في بني حنيفة وأبي حنيفة، فلينظر العاصمي أشبه النسبتين به . وبنو حنيفه هم قوم مسيلمة الذين آووه ونصروه ؛ ومن غرائب الشبه أن مسيلمة الحنفي كان تشويشا على النبوة الحقة وأن المفتي الحنفي كان تشويشا على مطالب المسلمين الحقة)) (43) .

والسمة التي يمكن ملاحظتها عند الابراهيمي - في هذا السياق هي أن السبب الذي هاجم من أجله الطرقية ورجال الدين (الرسميين) في الثلاثينيات ، هو نفس السبب الذي هاجمهم من أجله في الاربعينيات، وهو نفس السبب - وزيادة - الذي سوف يهاجم من أجله المبشرين الاستعماريين ؛ ذلك هو الحفاظ على الدين الاسلامي من ناحية، وحماية الأمة من الفرقة والتضليل من ناحية أخرى .

3.3.1 - المبشرون

وكان التبشير هو العدو الخارجي للاسلام في هذه البلاد ، وقد جاء في جناح الغزو العسكري ؛ فالحملة الفرنسية كانت صليبية واقتصادية في آن واحد .

وقد ظهرت الروح الصليبية للغزاة منذ أيامهم الأولى في الجزائر ؛من ذلك ما صرح به سكرتير الجنرال بيجو في بدء الغزو اذ قال: ((ونحن اذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فاننا لانشك في أنها قد ضاعت من الاسلام

43- الابراهيمي : عيون البصائر . ط:2.سنة 1971 . ص : 73 .

الـى الابـــــد)) (44)

ولـم يتخـلى الاستعماريـون الفرنسيـون عن هذه الروح الصليبية طوال وجودهم فى الجزائر ؛ فقد صرح أحدهم فى أثناء احتفالات القرن فقال : ((ان احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا للجزائر، ولكنه احتفال بتشييع جنازة الاسلام فيها)) (45) . كما صرح وزير خارجية فرنسا ابان ثورة الجزائر التحريرية عن امكانية التفاوض مع الثوار فقال : ((لن ندع الهلال ينتصر على الصليب)) (46) .

والتبشير كما يقول الشيخ الابراهيمي : ((نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح ... وأداة من أدوات السياسة فى ثوب ديني ... دفعته ليكون رائدها فى الفتح ، وقائدها الى الاستعمار)) (47) .

ولا شك أن هدف المبشرين البعيد هو القضاء على الاسلام وتمكين الأوروبيين من الاستقرار الابدى فى الجزائر.

وكان ((الكاردينال لافيجرى)) أول من وضع أساس التبشير فى الجزائر ؛ فمن أهم المراكز التبشيرية التي وضعها (لافيجرى) فى القطر الجزائرى : مركز ((ورقلـه)) فى الجنوب ، ومركز ((بني اسماعيل)) قرب بجاية ، ومركز ((ايفيل علي)) ، ومراكز ((زواوه)) فى الشمال (48).

((وكان من الممكن أن ينجح التبشير فى الجزائر لتقادم عهده ولصولة الاستعمار، ونشوا الجهل والامية ، ولانتشار الطرقية ، ولسكوت العلماء من المقاومة)) (49) .

44- صالح خرفى (دكتور) الشعر الجزائرى ص : 11 . هامش رقم 1 .

45- موسى الاحمدى : (الشيخان) . ضمن كتاب : الامام الرائد محمد البشيرالابراهيمي فى ذكراه الاولى . ص : 88 .

46- عمر الحكيم : (رجل فقدناه) . ضمن المرجع السابق . ص :142 .

47- الابراهيمي : (تصدير) سجل جمعية العلماء . ص : 65 .

48- ينظر: المصدر السابق : ص :65 .

49- الابراهيمي : المصدر السابق : ص: 66 .

- لولاتمسك العامة بالاسلام ، ولو لا أن أعمال الاستعمار أعطت عكس ما أراده منها ؛ فعلى طول فترة الاستعمار فى الجزائر لم يدخل فى حسابه أن يعلم الشعب ، بل ان العكس هو ما حدث ؛ فقد شجع الطرقية على تجهيله وتضليله وتحالف معها فى استغلاله حتى أصبحت شعوذة الطرقية هي المرآة التى يرى من خلالها الغرباء والجاهلون صورة الاسلام فى الجزائر.

ولهذا السبب كان هجوم الابراهيمي على الطرقية عنيفا من ذلك قوله مخاطبا اياهم: ((ان منكم من يرقص أمام اولئك الاجانب رقص القرود وتلبسه شيطانيته فيلتهم الزجاج والحديد والافاعى وهم يضحكون ولا رأى لهم الا أن هذا هو الاسلام، وهذه تعاليمه وهذه آثاره... ألا تدرون أن هناك محاضرات تلقى ، وخطبا تتلى وكتبا تطبع وتنشر، وجمعيات تقوم بجميع ذلك - كل ذلك للطعن فى الاسلام بكم وبأفعالكم، واتخاذكم حجة على الاسلام..؟ ... فما أنحسكم على الاسلام))(50).

وكما كانت الطرقية حجة للمبشرين فى تشويه تعاليم الاسلام فقد كان (الرسميون) من رجال الدين وسيلة لازلال الاسلام، فما منهم الا له مقام معلوم فى الجهل والجوسسة والخضوع .. وقد شهد بذلك السيد "بيرك" أحد كبار الاداريين الفرنسيين فى الجزائر اذ قال: ((ان خطأنا الفاحش فى سياستنا الدينية ... هو أننا تساهلنا فى وجود موظفين دينيين فى المساجد يسيطر عليهم الجهل المركب والطمع ، وعدم التهذيب... فعدم الكفاءة، والمبالغة فى الخضوع والانقياد ، هي الشهادات الوحيدة التى يمكن لهم أن يعتزوا بها))(51).

وازاء ذلك، وفى غيبة المال والعلماء فقد بقي العامي الاسي وحيدا فى الميدان أمام أعداء الاسلام من طرقيين ورسميين ومبشرين .

50- الابراهيمى : (تعالوانسائلكم: الحلقة 2) . السنة النبوية المحمدية، العدد 9. ص: 3 .

51- الابراهيمى : (وشهد شاهد) ، ضمن كتاب : (عيون البصائر) ص : 210 .

ولعل الابراهيمي كان على حق عندما نسب الى العامي السبب الأكبر في عدم نجاح التبشير في الجزائر [52] وأستدل على ذلك بأفتراصه أنك : ((تقول لتارك الصلاة مثلا - أنت لا تصلي ، فيقول لك نعم . و تمير مانع الزكاة بالشح وقبض اليد ، فيقول لك قد كان ذلك . وتقول للمبتدع أنت مبتدع، فلعله ينصف ويعترف ، ولكن اياك أن تقول لواحد من هؤلاء أنت لست بمسلم ولو قلت لرأيت التنمر والتنكر، وسمعت الجافي المكروه من القول!)) [53] .

ومن الطبيعي ألا يخلو هذا الصراع بين الاسلام وخصومه من نتيجة، وأسوأ نتيجة هي الفرار من هذا الصراع والالتجاء الى الالحاد . ولكن ماهي الصورة التي ظهر بها الالحاد في الجزائر؟

* * *

4 . 3 . 1- الالحاد

لقد نتج الالحاد - على قلته - في الجزائر عن تنويم الطرقية للعامة من ناحية، وعن تعصب المسيحية ضد الاسلام من ناحية أخرى .

كما أن الثقافة الاوربية اللاتينية، وغفلة الآباء عن أبنائهم، ومجانبة العلماء الجامدين للشبان قد أدت كلها الى ماظهر من الحاد في هذه البلاد [54] .

كان من الممكن أن يظهر (الالحاد) على نطاق واسع بين الشبان الذين نالوا قدرا من الثقافة الأوربية ، لولا أن التعصب الاوربي قد دخل معهم الى صفوف الدراسة.ان الأطفال - وهم أكثر الناس حساسية - عندما يجدون المعلم في المدرسة يعاملهم معاملة من الدرجة الثانية ، لانهم (أهالي) سوف يزداد حقدهم على كل خصائص الجنس الاوربي ، كما يزداد في الوقت نفسه تمسكهم بالخصائص الوطنية بما في ذلك الدين الاسلامي .

فالسر اذن في عدم انتشار الالحاد -على نطاق واسع- بين الشباب

52- ينظر : (تصدير) سجل جمعية العلماء . ص : 66 .

53- الابراهيمي : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية المحمدية .العدد 4.ص5

54- ينظر: (تصدير) سجل جمعية العلماء . ص : 62 .

المتعلمين تعليما أوروبيا يرجع بالدرجة الأولى الى التمييز الاوروبي حتى في صفوف الدراسة (55)!

كما كان من الممكن أيضا أن يظهر الالحاد بين بعض النواب ، أو بعض أعضاء النخبة الذين كانوا ينادون بالاندماج، بالاضافة الى ثقافتهم الغربية ، لولا أن التعصب الاوروبي أيضا قد لاحقهم حتى وهم يغالون في المطالبة بالاندماج في فرنسا ، لقد تطوع الصيدلي فرحات عباس الذى كان من النواب المتحمسين للديمقراطية الفرنسية - في جيش فرنسا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ولكن سرعان ما تكشفت له الديمقراطية الفرنسية على حقيقتها عندما وجد ان التفرقة العنصرية متغلغلة حتى بين افراد الجيش الفرنسي نفسه ، فالخبز الذى كان يعطى لعباس ليس من الصنف الذى يعطى لاقرانه من الضباط الفرنسيين (56)!

وهكذا كان التعصب الاوروبي ضد الجزائريين سدا منيعا بينهم وبين اعتناق المسيحية او اللجوء الى الالحاد ، بل انه كان سببا في زيادة تمسكهم بوطنيتهم التى كان الاسلام يشكل احد دعائمها .

وعندما ظهرت جمعية العلماء في بداية الثلاثينيات كان من أهم أهتماماتها اعادة التوعية بالدين الاسلامي الصحيح المطابق للعلم والعقل - بين كل المواطنين ، وخصوصا بين الشباب.

هذا ، بالاضافة الى أعمال أخرى للجمعية سوف يأتي الكلام عنها في الصفحات التالية .

55- ينظر: المصدر السابق .ص: 63.

56- ينظر : الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945) .ص: 198.

2

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

2 — جمعية العلماء المسلمين الجزائريين*

2.1 — تمهيد :

لقد أشرنا فيما سبق الى ان بداية نهضة الجزائريين كانت منذ حوالى الحرب العالمية الاولى ، كما اشرنا كذلك الى الدور المهم لافراد علماء الاصلاح في تلك النهضة ، وخصوصا في جانبي : (التعليم ، والتوعية بالدين الصحيح).(1)

ويرى الابراهيمي ان اهم سمة كانت عليها حياة الجزائريين قبل النهضة هي : اعتمادهم في دنياهم على الحكومة ، وفي آخرتهم على (المرابطين) وشيوخ الطرق(2) .

والحق ان ذلك لم يكن الا نتيجة لسياسة السيطرة والتجهيل وتشويه الدين .

ولذلك ، فلاغرابة ان يكون (قيام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) هو الرد الطبيعي على الظروف التي ادت الى تلك النتيجة .

---

* - ينسب الابراهيمي وضع (اسم الجمعية) الى ابن باديس ، اذ يصفه بان له ذوقا في وضع الاسماء من هذا النوع ، ولهذا فهو يقرن بين وضع ابن باديس لاسم جمعية (الاخاء العلمي) سنة 1924 ، وبين وضعه لاسم جمعية العلماء سنة 1931 ، (ينظر: (تصدير) السجل .ص: 48 .
- بينما ينسب الاستاذ احمد توفيق المدني وضع (اسم الجمعية) الى (محمد العاصمي .) ، ويصفه بقوله : " كان له فضل السبق في هذا المقال".
(ينظر كتاب : حياة كفاح .القسم الثاني .ص: 175) .

(1) ينظر ص : (435) وما بعدها من هذه الدراسة .

(2) ينظر : (تصدير) السجل .ص : 50 .

2.2 — ضرورة قيام الجمعية :

اذا كان عدم نجاح جمعية (الاخاء العلمي) سنة 1924 يعني عدم بلوغ العلماء الى درجة متقدمة من التأثير في افراد المجتمع الجزائري ، كما يعني ان استعداد العلماء انفسهم لمثل هذا العمل لم ينضج بعد ، لان" عملا عظيما كهذا لا يثبت على الفكرة الطائرة والخطرة العارضة ،ولا يتم في الخارج الا بعد استقراره في الاذهان ، ولابد له من زمن واسع حتى يتخمر وتأنس اليه نفوس ألفت التفرق حتى نكرت الاجتماع(3)

- فان نجاح هؤلاء العلماء في التأثير على استعدادات الادارة الفرنسية لاحتفالات القرن سنة 1930 يعني انهم بلغوا من التأثير في اوساط المجتمع درجة عالية ، ((فقد دب في الامة الجزائرية دبيب الحياة ، وقوى فيها الشعور بسوء الحال ... ومن الحق ان نقول : ان اكثر الفضل في تنبيه ذلك الشعور في الامة يرجع الى ما كان يبثه رجال الاصلاح الديني فرادى بين الامة ،فلم يمض الا قليل من الزمن حتى غمر الامة شعور عام بلزوم اصلاح عام يشمل الدين والعلم والاجتماع ،ورأت نهج الاصلاح في هذه المقومات الثلاث واضحا . فكانت دواعيه اسبق وأسبابه أوثق . وأصبحت فكرة تأسيس جمعية من علماء الامة لتشرف على هذا الاصلاح وتتولى تخطيط مناهجه عقيدة راسخة مستولية على عقول العوام والخواص ، وأصبحت بواعث تأسيسها صادرة من الامة ، لا من العلماء وحدهم، فانقاد الجميع (امة وعلماء) الى تأسيس هذا المشروع العظيم بما يشبه الاضطرار، وتم ذلك بكل سهولة.(4))).

---

(3) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 47 .

(4) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 50 .

وظهرت هذه السهولة في مجريات وقائع الجلسة التمهيدية للجمعية ، فقد اجتمع في نادي الترقي بالعاصمة الجزائرية صبيحة يوم الثلاثاء الخامس من ماي سنة 1931 — 17 ذو الحجة 1349 هـ — اثنان وسبعون عالما من علماء الجزائر، وكان الاجتماع اجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متألفة من جماعة من فضلاء العاصمة يترأسها السيد عمر اسماعيل (5) .

وقد سبقت الاشارة الى ان دعوة عقد اجتماع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت باسم الامة كلها (6) .

وعلى كل حال فقد اجتمع العلماء في جلسة عمومية عينوا في بدايتها للرئاسة المؤقتة الشيخ أبا يعلى الزواوي ، وللكتابة العامة الاستاذ الامين العمودي . وقد تم خلال جلستي الصباح والمساء الاتفاق على القانون الاساسي ، وعلى أعضاء الهيئة الادارية .

ولم يبق بعد اليوم الاول — لمتابعة الاجتماع — الا أعضاء الهيئة الادارية الذين تداولوا بعد ذلك في تنقيح القانون الاساسي وترجمته ، وفي توزيع المناصب الادارية .

وهكذا ، فقد انتخبوا للرئاسة غيابيا الاستاذ عبد الحميد ابن باديس وللنيابة عنه الاستاذ محمد البشير الابراهيمي ، ثم بقية المناصب (7) . وفي صباح اليوم الثالث انعقدت اول جلسة للهيئة الادارية برئاسة الاستاذ الامام عبد الحميد بن باديس ، وفي مسائه أقامت اللجنة التحضيرية حفلة خطب من خلالها ابن باديس فشكر الجميع واعتذر عن تخلفه في اليومين الاولين .

---

(5) ينظر مقال : (الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين) الشهاب ج 5 م 7 . قسنطينة غرة محرم 1350 هـ . ماي 1931 م . ص: 341 .

(6) ينظر : ص (424) من هذه الدراسة .

(7) ينظر مقال : (الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين) الشهاب ج5 م7 . ص : 342 .

" تم تكلم على الجمعية ومقاصدها فذكر من تاريخها انها فكرة قديمة دعا اليها الكتاب في الصحف العربية الجزائرية ، وتداولها المفكرون بالبحث في المحافل الخاصة والعامة ، وكتب فيها كتاب الشهاب عدة مقالات[8] ،وبقيت محتاجة الى رجل او رجال ذوى ارادة واقدام يخرجونها من القوة الى الفعل[9] ". وهذا ما فعله اعضاء اللجنة التأسيسية برئاسة السيد عمر اسماعيل ، فتحقق بذلك تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

لقد كان الرجاء ضعيفا في ان يتحقق اجتماع عدد كبير من علماء الامة من تلقاء انفسهم اذا لم يدفعهم دافع قوى من استعداد الامة ، وقد وجد هذا الاستعداد[10] .

صحيح ان هذا الاستعداد كان ثمرة جهود افراد العلماء الذين عملوا من اجله طويلا ، ولكنه عندما وجد كان عاملا قويا في اجتماع العلماء ." بان الامة الجزائرية استيقنت سفه الايدي التي كانت تقودها باسم الدين ، فصممت على التفلت منها والقاء المقادة الى ايدى العلماء لتبتدىء السير في نهضتها على هدى وبصيرة ،فقالت للعلماء اجتمعوا فاجتمعوا[11] "،ومعنى ذلك ان الجمعية قد اصبحت حاجة من حاجات الامة استدعتها مرحلة التطور التي وصلتاليها ، والا فلماذا لم تنشأ قبل ذلك ؟

---

(8) ينظر حول هذا الموضوع : الشهاب (الجريدة) : العدد :3. بتاريخ 26 نوفمبر 1925م. وكذلك العدد :9. بتاريخ 7 جانفي 1926م ، ففي كل منهما دعوة الى تأسيس جمعية العلماء .

(9) الابراهيمي : (الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين) .الشهاب ج 5 م7. ص : 343 .

(10) ينظر : (تصدير) السجل . ص: 49 .

(11) الابراهيمي : المصدر السابق .ص : 51 .

وجمعية العلماء قد اعتمدت منذ البداية على جانبين : (فكرة ومشروع) ، فاما الفكرة فقد عمل لها العلماء وبثوها بين افراد مجموع الامة . واما المشروع فهو احتضان الامة لفكرة العلماء ثم العمل من اجلها وحمايتها.(12)

وجمعية العلماء كذلك (مظهر ومخبر : فاما مظهر الجمعية فهم الاعضاء العاملون الذين تظهر وحدة الامة من خلال تماسكهم ،واما مخبر الجمعية فهم بقية اعضاء الامة الذين يؤيدون الجمعية بالمال والتضامن معها في كل انشطتها.(13)

ولا شك ان تأسيس جمعية العلماء لم يكن خفيف الوقع على اعداء الامة من استعماريين وطرقيين وغيرهم ،لانهم تعودوا تجهيل الامة والعيش على استغلالها وشقائها .. والجمعية لن ترضى عن ذلك لان طريقها غير طريقهم وأهدافها غير اهدافهم .

واذا كان الاستغلال المادى والروحي للامة هو هدف الاستعمار وأعوانه ، فما هي اهداف الجمعية كما يصورها الابراهيمي ؟

---

(12) ينظر : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب : ج 9 م 10 . ص : 406.

(13) ينظر : (الجمعية دعوتها وغايتها) . الشهاب : ج 9 م 9 . ص : 351 .

2.3 - الاهداف والوسائل

جاء في الفقرة السابقة ان تأسيس جمعية العلماء المسلمين كان نتيجة لحاجة الجزائريين الملحة اليها، ولذلك فلا يمكننا ان نبحث عن اهداف الجمعية بعيدا عن تلك الحاجة . فاعداء الامة الجزائرية قد جهلوها وشوهوا دينها فسهل عليهم استغلالها ، ولذلك فقد نص شعار جمعية العلماء على انها : " جمعية علمية دينية تهذيبية (14) " ، فهي تدعو الى العلم وترغب فيه ، ولكنها تبدأ من تعليم (الدين والعربية) وترغب فيهما لانهما شيئان متلازمان في حياة الجزائريين . والجمعية تنحو في تعليم الدين منحاها الخصوصي وهو العودة به الى نقاوته الاولى . والجمعية تهذيبية ، لانها تدعو الى مكارم الاخلاق التي حض عليها الدين والعقل جميعا .

لقد عبر شعار الجمعية بصيغة ذكية عن اهداف المواطنين الجزائريين من ناحية ، وعن اهداف الجمعية من ناحية اخرى . وان الاهداف الاساسية التي ترمي الجمعية الى تحقيقها لتتلخص في النهاية في نقطة اساسية واحدة هي : السير بالجزائريين الى الحياة الحرة الكريمة من طريق العلم والدين .

وقد بدأت الجمعية طريقها الى ذلك من منطلقين هما : " احياء مجد الدين الاسلامي ، واحياء مجد اللغة العربية (15) " . وقد توسلت لهاتين الغايتين من الوسائل بكل ممكن ، من محاضرات ودروس عامة ، ودروس خاصة وتنشيط وارشاد .. (16) .

---

(14) ينظر : (تصدير) السجل . ص : 69 .

(15) الابراهيمي : (الجمعية دعوتها وغايتها) . الشهاب، ج9 م9 ، ص: 351 .

(16) ينظر : (الجمعية دعوتها وغايتها) . الشريعة . العدد : 4 . قسنطينة .
الاثنين 15 ربيع الثاني 1352 هـ .
17 اوت 1933م . ص : 2 .

واعتمدت الجمعية في تحقيق ماكانت تقوم به على اعانة كل من يصله صوتها من الجزائريين الذين لم تكن تستغني الجمعية عن اعاناتهم مهما قل شأن تلك الاعانات .

فاما عن منهج الجمعية في احياء مجد اللغة العربية فسيأتي الكلام عنه في مكانه من هذا البحث . واما عن منهجها لاحياء مجد الدين الاسلامي : " فباقامته كما امر الله ان يقام بتصحيح اركانه الاربعة : العقيدة ، والعبادة ، والمعاملة ، والخلق "(17). وذلك بالدعوة اليه على السنة الاولى بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونشر حقائقه وتقريبها من اذهان الامة ، ثم السعي الى قناعتها بأن : " الدين الاسلامي دين عملي فلا تستغرق معرفة احكامه هذه العشرات من السنين التي يضيعها طلاب العلم الديني منا "(18).

على ان سعي الجمعية الى احياء مجد الدين الاسلامي ، واحياء مجد اللغة العربية ، لا يعني انها تعرض عما سواهما من العلوم ، بل انها تسعى لهما وتسعى الى كل العلوم التي اصبحت جزءا من الحياة .

ولكن الجمعية ترى ان : " الاصلاح الديني ... هو الذى يجعل النفوس مستعدة لتقبل الاصلاح العلمي . وبنجاح الجمعية في الاصلاح الديني تكون قد فرغت من وسيلة من افضل الوسائل واعصاها على الصلاح وهي : اعداد النفوس لانطباع الملكات العلمية الصحيحة فيها "(19).

---

(17) الابراهيمي : المصدر السابق : ص : 2 .

(18) الابراهيمي : (محاضرة الاستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي بنادي الترقي بالعاصمة : الحلقة 2) .
الشهاب : ج 6 م 5 ، جوليت 1929 . ص : 6 .

(19) الابراهيمي (عرض الحالة العلمية) الشهاب ج 9 م 10 .
ص : 388 .

والجمعية تهدف – في اعمالها من اجل الدين – الى الارتباط بالعالم الاسلامي ارتباطا ذاتيا طبيعيا ، وتعتقد ان هذا النوع من الارتباط يماثل ارتباط العقلاء بما هو معقول من الاشياء .

والجمعية بعد ذلك كانت تعتمد في كل اعمالها على النظام الدقيق ، وعلى المبادئ الصادقة .

ويبقى ان نحاول تتبع مفهوم الجمعية للمبادئ ، ولكن من خلال فكر الابراهيمي كدأبنا في هذا البحث .

2.4 – مبادئ الجمعية كما يفهمها الابراهيمي .

يرى الابراهيمي ان المبادئ تستمد حياتها من العناصر الخالدة في حين تستمد الكائنات الحية حياتها من العناصر الفانية .(20)

وعلماء الجمعية لم يغيروا مبادئهم في الاصلاح ، فقد كانوا يؤمنون – قبل تأسيس الجمعية – بالاصلاح الديني بأوسع معانيه وهي الفكرة التي استمروا عليها بعد دخولهم في جمعية العلماء .(21)

والاصلاح بأوسع معانيه هو الاصلاح الذى لا ينحصر في الاصلاح الديني فحسب ، وانما يهتم بالاصلاح الديني كما يهتم بالاصلاح الاجتماعي في كل جوانبه ، فالاسلام عند علماء الجمعية دين واجتماع معا .

---

(20) ينظر : (تلخيص الخطبة الاولى في يوم الاجتماع الاول) . الشهاب ج 9 م 16 . ص : 403 .

(21) ينظر : (تصدير) السجل . ص : 54 .

ولان قوانين الجمعية تسير وفق قوانين الاسلام فانها تسع الاصلاحين الديني والاجتماعي ، ومن هنا فان من مبادئ الجمعية محاربة البدع والخرافات والاباطيل والضلالات ومقاومة الشرور من أي جهة كانت . والجمعية ترى ان كل محدثة في الدين بدعة ، وان كل بدعة ضلالة ، والجمعية تتمسك بمبادئها ولا تتنازل عنها خصوصا اذا كانت تتعلق بجوهر الاسلام وبمصالح الامة ، وقد ينتهج افرادها التسامح مع خصومهم اذا تعلق الامر بأحوالهم الشخصية . فقد اعطى رجال الجمعية المثل في تسامح رجالها عندما سلم ابن باديس احد اتباع العليويــة الى الشرطة مع انه كان مبعوثا الى قتله .(22)

وان من مبادئ جمعية العلماء انها لا تضمر عداوة للافراد حتى وان اختلف رأيها معهم في المبادئ ، وانها تعادي اذا عادت المبادئ في العموميات لا في الشخصيات .(23)

ولان الصبر والتسامح من مبادئ الجمعية ورجالها فان الشيخ العقبي الذي هو احد رجال جمعية العلماء لا يمكن ان يكون قتالا ولا آسرا بالقتل كما اتهمه اعداء الجمعية(24) .

ومن خصائص رجال جمعية العلماء الذين جبلوا على الحب والتسامح ، والذين سنوا اصول دعوتهم على التعليم انهم :
" لا يلينون لغامز ولا يثنيهم الوعيد والتهديد ، ولا تستهويهم الوظائف والرتب ، ولا يتساهلون في واجب ولو تجلت عليهم الدنيا بألطافها ."(25)

---

(22) ينظر : مقال (مقتل الشيخ كحول . ليسجل التاريخ ولتشهد الاجيال المقبلة " .) البصائر : السنة الاولى . العدد : 32 . الجزائر . الجمعة 10 جمادى الثانية 1355 هـ . 28 أوت 1936 م . ص : 6 . عمود : 3 .

(23) ينظر : المصدر السابق . ص : 3 : عمود : 3 .

(24) ينظر : المصدر السابق . ص : 6 . عمود : 3 .

(25) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 2 . عمود : 1 .

والجمعية بهذه المبادىء تواجه خصوما أقوياء لا مبدأ لهم في سلوكهم نحو الامة غير مبدأ : "فرق تسد" . فمن هم هؤلاء الخصوم ؟

2.5 — خصوم الجمعية .

سبقت الاشارة ـ قبل قليل ـ الى ان تأسيس جمعية العلماء لم يكن سهل القبول على اعداء الامة من طرقيين وغيرهم ، لان الجمعية تجمع وهم يفرقون ، والجمعية تعلم وهم يستغلون جهل الامة . فلقد كان المجلس الادارى الذى تألف بالاختيار في السنة الاولى غير منسجم ، اذ كان من بين اعضائه اولو انتماء للزوايا ، وكان وجودهم في مجلس الادارة مسليا لشيوخ الطرق (26) .

وكان رجاء اعداء الجمعية وخصوصا الطرقيين معلقا على اجتماع السنة الثانية . الا ان المعركة انتهت لصالح رجال الجمعية في انتخاب مجلس ادارة السنة الثانية . وعند ذلك الف الطرقيون جمعية (علماءالسنة) التي كان هدفها الكيد لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

ومما كان يدور في المعركة بين الجمعيتين ما جاء في قول الابراهيمي مخاطبا جمعية الطرقيين : " نحن نرى ان الاصلاح مبدأ وفكرة وانتم ترونه زيدا وعمرا ونحن نرى ان هذه الفكرة او هذا المبدأ ان لم يقم بفلان قام بغيره ، وانتم ترون انه ان لم يكن فلان لم يكن مبدأ ونحن نرى ان فرقا بين جمعية تتكون حول مبدا اقتضاه تدبير الاجتماع الانساني ، فهي مترابطة بجاذبية المبدا ... وبين جمعية تتكون حول نفسها لتنتصر نفسها بنفسها" (27) .

---

(26) ينظر : (تصدير) السجل . ص : 51 .

(27) الابراهيمي : (تسالوا نسائلكم : السنة النبوية المحمدية (الحلقة3)العدد 11، 29صفر 1352 هـ . 19 جوان 1933 م . ص : 1. عمود : 2 .

ولم يمض الا قليل من الوقت حتى انفرط عقد جمعية علماء السنة ، لان اعضاءها لم يألفوا الوحدة ، ولم يألفوا النظام وعز عليهم ان يستنزلوا الفرقة والتفريق (28) .

ولكن انفراط عقدهم لا يعني انهم تخلوا عن عداوتهم للامة وللاصلاح ولرجاله ، بل ان ذلك مما يدخل في تكوينهم ، فظلوا يحاربون جمعية العلماء ، فهم تارة يقولون عنها : انها فرقت الامة فيرد عليهم الابراهيمي قائلا : " ليت شعري متى كانت الامة مجتمعة حتى يقول قائل : ان الجمعية فرقتها ؟ " (29) .

وتارة يقولون عنها انها ضالة مضلة . والابراهيمي يرى بأن هذا الفريق قد ناصب الجمعية العداوة من يوم تأسيسها ، لانه رأى فيها زوال سلطانه على هذه الامة الضعيفة (30) . وهناك فريق ثالث كان يبث في العامة ان اعضاء جمعية العلماء وهابيون . وهنا يجد الابراهيمي فرصة يوضح للناس من خلالها العلاقة بين جمعية العلماء وبين الوهابيين فيقول : " ان الوهابيين قوم مسلمون ... لا يقرون البدعة . وما ذنبهم اذا انكروا ما انكره كتاب الله وسنة رسوله ؟ ... اننا نجتمع مع الوهابيين في الطريق الجامعة من سنة رسول الله (ص) وننكر عليهم غلوهم في الحق كما انكرنا عليكم - (ايها الطرقيون) - غلوكم في الباطل ، فتعوا او طيروا فما ذلك بضائرنا ، وما هو بنافعكم " (31) .

ويصنف الابراهيمي خصوم الاصلاح فيقول : " ينقسم خصوم الاصلاح - بعد اجتماعهم في اصل الموضوع - الى فريقين : اقوياء وضعفاء ، فالاقوياء يقومون بالدس وتبييت السوء لرجال الجمعية . والضعفاء

---

(28) ينظر : (تصدير) السجل . ص : 51 .

(29) الابراهيمي : (تلخيص الخطابة الاولى في يوم الاجتماع الاول) . الشهاب ج 9 م 10 . ص : 405 .

(30) ينظر : المصدر السابق . ص : 405 ، 406 .

(31) الابراهيمي : (تسالرا نسائلكم الحلقة 2) . السنة النبوية المحمدية العدد : 9 . ص : 6 . عمود : 2 .

يقومون بالتشهير واشاعة قالة السوء عنها والشماتة المؤنثة بها وكثيرا ما تستمد أعمال هؤلاء من اقوال هؤلاء[32] ".

ويعز على خصوم الاصلاح الاقوياء ان يسجن اعضاء جمعية العلماء في سبيل المبدأ والدين والوطن والامة ، لان في ذلك شرفا للعلماء ، ولهذا فانهم يهيئون اسبابا أخرى لسجن العلماء تعتمد على الدس والمكيدة .

أما خصوم الجمعية الضعفاء فان عقولهم الصغيرة أملت عليهم ان يقيموا الافراح احتفالا بسجن الشيخ العقبي - مثلا - لانهم لا يفهمون من معنى السجن الا بما يتلاءم مع حقارة شأنهم .

وتقسيم الابراهيمي لاعداء الجمعية الى اقوياء - وهم الاداريون الاستعماريون - وضعفاء - وهم الطرقيون والمرابطون - لا يخلو من سخرية بهم ، فالمفروض في الاقوياء الا يلتجئوا الى المكايد والا فانهم والضعفاء على حد سواء . وأما الطرقية ففي الرتبة التي وضعهم الابراهيمي فيها اكبر سخرية من حالهم .

وتحالف الخصوم الاقوياء والضعفاء انما يهدف الى الكيد للجمعية وأعضائها ، وأكبر مكيدة دبرها هؤلاء الخصوم لهذه الجمعية هي : اغتيال المفتي كحول ، واعتقال الشيخ العقبي بعد اتهامه بهذه القضية . ولكن هذه الحادثة كانت فيما يرى الابراهيمي بردا وسلاما على الجمعية ، على غير آمال الكائدين .

" وانها لاول حادثة في تاريخ الجمعية جمعت بين الضدين : سوء الوقع وحسن الاثر[33] " . فمن آثار اعتقال الشيخ العقبي زيادة التفاف القلوب حول الجمعية ، لان قيامها بالحق هو الذي ألب عليها الاعداء ، ذلك ان الناس قبل حادثة (الاغتيال والاعتقال)

---

(32) الابراهيمي : (اثار اعتقال الاستاذ العقبي في الامة الجزائرية ونتيجة للدعوة الاصلاحية) . الشهاب ج 7 م 12 . رجب 1355 هـ . اكتوبر 1936 م . ص: 314 .

(33) الابراهيمي : (خطبة الاستاذ الابراهيمي التي القاها صبيحة اليوم الاول من ايام الاجتماع) . البصائر . السنة الاولى . العدد 37 . الجزائر . الجمعة 16 رجب 1355 هـ . 2 اكتوبر 1936 م . ص: 6 . عمود : 1 .

كانوا فرقا حول الجمعية ، منهم الغالي في حب الجمعية ، ومنهم المقتصد ، ومنهم المذبذب ، ومنهم المبغض المسرف : وكل ذلك مبني على تفاوتهم في ادراك حقيقتها وتفهم مقاصدها ، فكانت حادثة الاعتقال سببا في جمع جميع الاطراف على محبة الجمعية والاقتناع بمبادئها وزيادة التعرف على حقيقتها. (34)

ومن الاثار الحسنة لهذه الحادثة – على الجمعية وعلى الامة – أنها علمت الناس كيف ينتصرون بالارادة والصبر والهدوء .
ومن اثار الحادثة على شخص الاستاذ العقبي انها اذاعت شهرته وشهرة جمعيته في الافاق داخل الجزائر وخارجها ، فقد كانت هذه الحادثة نعم الدعاية في الاقطار الاسلامية للعقبي وللجمعية ولمعركة الاصلاح كلها .

يقول الابراهيمي مخاطبا اعداء الجمعية : " ان كنتم تريدون تنقيص حظنا من الاعتبار الدنيوي والجاه الكاذب فقد بعنا حظنا منه بخردلة ... وان كنتم تريدون فكرة الاصلاح ، فان فكرة الاصلاح حق ، وطالب الحق مطلوب (35)".

وهكذا فقد كانت حادثة (الاغتيال والاعتقال) نموذجا لما كانت تجابهه الجمعية من حرب اعدائها واعداء الامة .. وقد استطاعت الجمعية بوحدتها والتفاف الامة حولها ان تتصدى لهذا العمل من اعمال خصومها ضدها .

اما اعمال الجمعية ، كما يراها الابراهيمي ، فهو ما سوف نحاول بيانه في الفقرة التالية ..

---

(34) ينظر مقال : (آثار اعتقال الاستاذ العقبي في الامة الجزائرية ونتيجة للدعوة الاسلامية) .
الشهاب : ج 7 م12 . ص : 10 .

(35) الابراهيمي (تسالوا نسائلكم : الحلقة : 3) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 11 . ص : 2 . عمود : 2 .

6.4 — أعمال الجمعية :-

لم يكن للجمعية خصوم الا لانها كانت تحاول ان تحمل شيئا نحو الامة ترفع به ظلام الطرقية وظلم الاستعماريين، لكن كثيرا من الناس — كما يذكر الابراهيمي - يستهينون بما قامت به جمعية العلماء من اعمال، وذلك نتيجة لغفلتهم عن آثار الاعمال ونسيانهم ان من الاعمال ما هو كعود الكبريت جسمه ضئيل وأثره جليل، او كخيط الكهرباء جوهره دقيق وجسمه عظيم.(36)

ان الذي قامت به جمعية العلماء في الجزائر، في نظر الابراهيمي يشبه ما يقوم به المطر في الارض العطشى، فاذا كان المطر يحيي الموات من الكائنات الحية، فذلك هو شأن ما قامت به الجمعية نحو الامة الجزائرية.(37)

فمن اهم الاعمال التي قامت بها انها نجحت في جمع طوائف الامة على الحق بعد ان كانت متفرقة على الباطل.(38)

ومن اهم اعمالها ايضا انها كانت اول هيئة حاربت الامية بصورة منظمة في الجزائر في الثلاثينيات، واستعملت في ذلك كل امكانياتها من نصائح وتوجيهات وارشادات بالاضافة الى مباشرة التعليم وكان محو امية قطاعات من الامة وسيلة الجمعية الى العناية باللسان العربي بعد ان كاد يشرف

---

(36) ينظر: (خطبة الاستاذ الابراهيمي التي القاها صبيحة اليوم الاول من ايام الاجتماع). البصائر. العدد: 37. ص: 6. عمود: 2.

(37) ينظر: (تلخيص الخطبة الاولى في يوم الاجتماع الاول). الشهاب ج 9 م10. ص: 403.

(38) ينظر: (خطبة الاستاذ الابراهيمي التي القاها صبيحة اليوم الاول من ايام الاجتماع). البصائر. العدد: 37. ص: 8. عمود: 1.

على الاضمحلال في الجزائر في ذلك الحين (39).

ومن الاعمال التي ينسبها الابراهيمي الى جمعية العلماء كذلك تحبيب الدين الى الشباب، وغرس الاخلاق الفاضلة في نفوس الامة عن طريق شبابها ، اذ علمته خلق التضحية والصبر والاعتماد على النفس والصراحة في القول وان يبني حياته على الاعمال لا على الاقوال (40).

وأهم ما نجحت فيه الجمعية من الاعمال في اوساط الجزائريين هو توجيههم الى الاهتداء بالقرآن بعد ان شغلتهم الطرقية عنه بالاوراد والاذكار ، أو الكتب الجافة المليئة بالدجل والخرافات (41).

وعن طريق القرآن نجحت الجمعية في تصحيح العقائد ، وتصحيح العقائد يؤدي الى تصحيح الارادات والاخلاق .

وينسب الابراهيمي الى الجمعية حمل الامة على السنة النبوية والاهتداء بالسلف الذين اعتنوا بجمعها وتصحيحها ونقلها سليمة الى المسلمين بعدهم (42). كما يعود الفضل الى الجمعية كذلك في نشر سير علماء الاسلام الحقيقيين الذين مثلوا هديه وطبقوا قواعده في العلم والحكم .

والجمعية بعد ذلك في نظر الابراهيمي قد " وقفت من جميع الرذائل المتفشية في الامة الجزائرية من خمر وفجور ومسارعة في الايمان الفاجرة وترك صلاة ، وشهادة زور — موقف الخصم الجبار وحملت عليها حملات صادقة ، فارجعت بذلك الغاوين من المسلمين الى حظيرة الدين (43).

---

(39) ينظر : (خطبة الاستاذ الابراهيمي .) . البصائر . العدد : 37 . ص: 8 . عمود : 1 .

(40) ينظر : المصدر السابق : ص : 7 . عمود : 3 .

(41) ينظر : (تصدير) السجل . ص: 5 ، 6 .

(42) ينظر: (خطبة الابراهيمي) البصائر. العدد : 37 . ص: 7 . عمود : 2 .

(43) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص: 67 .

ويرى الابراهيمي ان الجمعية قد عقدت الأجتماعات أو شاركت في المؤتمرات ، وكان رائدها من وراء ذلك الحفاظ على الامة الجزائرية من طريق الحفاظ على دينها ولغتها ،لقد كانت تعقد اجتماعا عاما لكل اعضائها في نهاية كل سنة دراسية .

ويقول الابراهيمي عن احد تلك الاجتماعات :" ولعل اروع ما شهدته الجزائر في تاريخها الحديث هو اجتماع هذه السنة ... (44) فهو اجتماع وحدته الغاية التي لها يعمل ، حتى كأن من فيه رجل واحد ، ووحدت الغاية رأيه ، فهو رأي واحد ، وقبل ذلك وحده الحق ، فجاء افراده من النواحي المختلفة بسائق واحد وشعور واحد ."(45)

وقد سمت الجمعية احد اجتماعاتها " مؤتمرا " لانه كان من الاتساع في الاعمال وعدد الاعضاء الحاضرين بحيث يصح ان يطلق عليه اسم مؤتمر .

لقد كان مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي انعقد في الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة 1935 - 16 جمادى الثانية 1354 هـ - تعبيرا فصيحا - في نظر الابراهيمي - عن تقدير المؤتمرين لدينهم ولغتهم ،ودليلا ملموسا على ما وصلت اليه حركة الاصلاح الديني من قوة وتغلغل في القطر الجزائري ، فقد ضم بين حناياه طوائف مختلفة من الامة ومن جهاتها المختلفة .(46)

---

(44) الاجتماع العام الثالث لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي انعقد بالجزائر العاصمة في شهر جويلية سنة 1933م.

(45) الابراهيمي : (الجمعية دعوتها وغايتها) . الشهاب ج 9 م 9 . اوت 1933 م . ربيع الثاني 1352 هـ . ص : 31 .

(46) ينظر : (تصدير) السجل . ص: 1 .

ونبه الابراهيمي كذلك الى مشاركة الجمعية في المؤتمر الاسلامي الجزائري اذ كان لها فضل الدفاع عن اللغة والدين في ذلك المؤتمر الذي شمل كل التيارات والتكتلات السياسية في الجزائر في ذلك الوقت . يقول الابراهيمي : " ان جمعية العلماء هي المؤتمنة عن الدين ولغته العربية ، واليها يرجع الفضل في احيائهما بهذا الوطن ... واليها يرجع الفضل ايضا في المطالبة بحقوقهما بالصوت الجهير يوم كانت الاصوات خافتة والقلوب من الرهبة واجفة وان من دلائل عناية الله بهذا المؤتمر وتيسيره لليسرى ،ان اجتمعت فيه اقاليم الكمال كلها حتى اصبح على الحقيقة مؤتمرا اسلاميا جزائريا (47) ".

والى جانب ما تحمله الفقرة السابقة من دفاع الجمعية عن اللغة والدين في الجزائر فانها تحمل كذلك رأى الابراهيمي في المؤتمر وكيف انه كان مؤتمرا ناجحا . وعلى كل حال فان مناسبة الكلام عن ذلك المؤتمر سوف تأتي في مكانها من هذا البحث .

ومما قامت به الجمعية ، على ما يرد في فكرة الابراهيمي ، انها احيت الاحتفالات الدينية الصحيحة في الجزائر ، ومن ذلك الاحتفال الذي اقيم بمناسبة فتح مدرسة دار الحديث الذي قال عنه الابراهيمي : " لعل اروع احتفال شهدته الجزائر في عهدها هذا هو الاحتفال بفتح مدرسة "دار الحديث" بتلمسان اواخر شهر سبتمبر من السنة الحالية (48) . فقد كان بدعا من الاحتفالات في نظامه ، وفي ضخامته العمل الباعث عليه ،وفي جلال المناسبة والذكرى ، وفي احتشاد الامة له ،وفي علو الطبقة التي شهدته

---

(47) الابراهيمي : (يوم الجزائر) . الشهاب . ملحق ج4م 12 . ربيع الثاني 1355 هـ . جوليت 1936م . ص : 214.

(48) أي سنة 1937م .

وتكلمت فيه من العلماء والشعراء . وقد وصفته الجرائد في حينه ، وانما جلبته هنا مناسبة الحديث عن الاحتفالات (49) . ومنها الاحتفال العظيم الذي اقامته الجمعية بمناسبة ختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن الكريم مدارسة في الجامع الاخضر بقسنطينة .

لقد كان احتفال ختم القرآن مناسبة عظيمة اذ قدمت اليه وفود ممثلة لشتى ابناء الجزائر ، وقد أبدى سكان قسنطينة أنواعا من التكريم لضيوف القرآن ، فكان في ذلك رد فعل على خصوم الجمعية كما كان شاهدا على ما قامت به الجمعية في سبيل تطور الامة الجزائرية (50) .

لقد خلد الابراهيمي بالكتابة والخطابة احداث هذه المناسبة المهمة ، وعلاقتها بحياة الناس وبأحداث البيئة والفترة التي ندرسها (51) .

" ولما كانت مجلة الشهاب هي لسان الحركة الاصلاحية التي قربت ما بين الامة وبين قرائها من بعد وازالة ما بينهما من جفاء ، كانت تلك المجلة حقيقة بأن تؤرخ لهذا الموسم القرآني العظيم (52) " .

ذلك بعض ما ورد في فكر الابراهيمي عن الجمعية وخصومها وأعمالها .. من خلال ما كتبه عن فترة هذه الدراسة . وسيرد في الفقرات التالية تفصيل لبعض مبادئ هذه الجمعية واعمالها من خلال ما كتبه الابراهيمي في شتى جوانب الحياة الاجتماعية .

---

(49) الابراهيمي : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب ج4 م 14 . ص: 177 .

(50) ينظر : المصدر السابق : ص ص : (177 - 180) .

(51) لقد حملت مجلة الشهاب : (ج 4 م14) احداث ووقائع ذلك الاحتفال .

(52) الابراهيمي : (تمهيد) المصدر السابق . ص: 154 .

3

العلوم والمنهج العلمي

1 . 3 – المنهج العلمي للابراهيمي مثال لمنهج علماء الجمعية .

يمكن ان يعتبر الشيخ محمد البشير الابراهيمي مثالا بارزا يظهر من خلاله منهج جمعية العلماء في الاصلاح العام في الجزائر ، كما يمكن النظر اليه باعتباره نسيجا متميز المنهج ضمن التيار الاصلاحي العام للجمعية .

لقد سبقت الاشارة في بداية الفقرة الأولى من هذه الدراسة الى العناية التي يوليها الابراهيمي للعقل البشرى ، حتى انه ليكاد يقرن الحكماء والعقلاء بالرسل ، وانها لعلاقة بارزة في فكر الابراهيمي .

والحق ان تمجيد المحاكمة والاختيار والاستدلال والنقد والاستقلال في الرأى من ناحية ، وتحقير التسليم والتقليد والاتباع من ناحية أخرى ، هي الدعائم التي تشكل منهج الابراهيمي العلمي ، سواء في نظرته الى علوم الاوائل في " التراث العربي الاسلامي " ، أم في نظره العلمي والتطبيقي ضمن سيرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

لقد نظر الابراهيمي الى العلوم الاسلامية نشأة وتطورا فقال :

" نشأت العلوم الاسلامية في ظروف متفاوتة ، وفي امم متفارقة يجمعها الاسلام ، فكان للظروف اثر قوى في تكوين تلك العلوم ، ولاختلاف الجنس اثر في تكوينها ايضا . وكانت منذ نشأتها خاصة للدين الاسلامي ، فكان للدين اثره الاقوى فيها ايضا . ثم تطورت تلك العلوم تبعا لتطور الحياة العامة ، فكان للآداب الجنسية الخاصة ، وللآداب الدينية العامة أثر في ذلك التطور . وأصبح تاريخ العلوم الاسلامية يتناوله تاريخ رجالها وتاريخ انتقالها في ظل الاسلام من الشرق الى الغرب وتاريخ اطوارها قوة وضعفا . " (1)

---

(1) الابراهيمي : (خطابة الاستاذ الابراهيمي في حفل تأبين الدكتور محمد بن ... شنب) . الشهاب ج4 م5 . غرة ذى الحجة 1347هـ . ماى 1929م . ص: 10 .

واننا لنلمح شيئا من عدم الرضى عند الابراهيمي عن الخط التطوري الذي سارت فيه (العلوم الاسلامية) الى ان اصبحت (موضوعا تاريخيا) يتناول انتقالها من الشرق الى الغرب ، وأسوأ منه ان يتناول تاريخ رجالها .

وان اعتبار الابراهيمي للعلوم الاسلامية موضوعا تاريخيا من ناحية ، ثم بيانه للعلة التي اصابت ذلك الموضوع من ناحية اخرى ليلمحان في الفقرة التالية اذ يقول :

" العلوم الاسلامية موضوع تاريخي كسائر المواضيع التاريخية، والباحثون في هذا الموضوع ثلة من الشرقيين وقليل من الغربيين وجهات هذا الموضوع مترامية الاطراف ، ولا نعلم موضوعا لقي في اثناء تكوينه من الفواعل الداخلية والخارجية ما لقيه هذا الموضوع ، لذلك قل من يجيد البحث فيه ، وقل في هذا القليل من تنتهي به ابحاثه الى نتيجة يرتضيها التاريخ الصحيح .

ولئن كان في طريق باحثي الغرب في هذا الموضوع عقبات تقوم لهم بالعذر عن التقصير فيه ، فليس في طريقنا معشر الشرقيين من عقبة لولا تلك العلة المشؤومة التي هي عائقنا الاكبر عن الانتاج الفكري والخصب العقلي ، بل هي السبب الوحيد في موت ملكة الابتكار فينا ، تلك العلة هي : التقليد الذي اصبح ظاهرة من ظواهر العلوم الاسلامية وتاريخها .

وان المفكرين منا لينشدون نهضة تقضي على التقليد وتغرس ملكة الاستقلال في البحث التاريخي ، وان بوادر هذه النهضة قد ظهرت من عهد غير بعيد . "(2)

ولئن لم يرض الابراهيمي عن الصورة التي تبلورت بها العلوم الاسلامية في القديم ، فانه لم يرض - في هذه الفترة عن العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع ، كما ابان علة ذلك فجعلها تكمن في التقليد .

---

(2) الابراهيمي المصدر السابق . ص: 10 .

وليس التقليد في موضوع (العلوم الاسلامية) فيما يرى الابراهيمي ، الا نتيجة لمجموعة من الادواء يذكرها في الفقرة التالية اذ يقول :

" انني نظرت في جميع ما لدينا من تراث الاوائل مما نسميه علما ، وأمعنت في تتبع اطوار العلوم الاسلامية من النقطة التى وصل اليها مداها في الاتساع الى المنشأ الاصلى ، فوجدت ان جميع علومنا الاسلامية في جميع ادوارها يعوزها الاختبار والنقد ، يعوزها الاستقلال في الرأى ، تعوزها الشجاعة ، الى ان جاءت عصور الانحطاط فكان ذلك الا عواز بذرة فاسدة للتقليد في جميع علومنا حتى اصبحت اشباحا بلا ارواح [3] ".

ان المرء ليشعر حقا ، ازاء هذه الفقرة ، بشيء من المبالغة في حديث الابراهيمي عما قام به ، لولا ما سبقت الاشارة اليه في صدر - (المدخل)- من موسوعية الرجل في مجال العلوم الاسلامية ، ولولا هذه النظرة النقدية العنيفة التى اراد ان يلفت بواسطتها الانظار الى وجوب ترك التقليد لعظم خطره على المفكرين وعلى المعتقدات جميعا . وليست الادواء التى ادت الى التقليد حتى اصبح يسيطر على العلوم الاسلامية الا نتيجة لسبب آخر اساسي هو - فيما يرى الابراهيمي - التفرق في الدين والخلافة جميعا .

---

(3) الابراهيمي : المصدر السابق ، ص: 9 ، 10 .

3.2 — ظهور المذاهب الفقهية والكلامية .

لقد كان الاسلاف الأول من المسلمين يقيمون الدين كما يجب ان يقام ، اذ كانوا : " يقفون عند نصوصه من الكتاب والسنة لا يتعدونها ولا يتناولونها بالتأويل ، وكانت ادواتهم لفهم القرآن روح القرآن وبيان السنة ودلالة اللغة (4).

وكان التفرق في الدين قد نشأ من الكلام في القدر وفي الصفات الالهية ، كما ان التفرق في الدنيا قد نشأ ايضا — مصاحبا للتفرق في الدين — حول ما اذا كانت الخلافة فرعا من الدين أم انها ذات اصل دنيوى تخضع للرأى والمشاورة ؟ وكان الخلاف العملي قد سبق الخلاف العلمي في هذه المسألة ، ونتج عن ذلك كله اولى جراثيم التعصب الخبيثة (5).

واذا كان الاسلام في اصل جوهره دعوة الى الوحدة والتوحيد فان ما نشأ عند التوسع في الفتوحات الاسلامية عن دخول اقوام من اجناس مختلفة في الاسلام — قد ادى الى مضاعفة اعراض التفرق ، اذ قد دخلت في الاسلام بعض الطوائف ، وكانت لا تزال تحمل شيئا من معتقداتها وعاداتها القديمة لان الاسلام لم يكن بعد قد فصل فصله نهائيا في تلك الطوائف ،

وهكذا فقد " ظهر اصحاب المقالات في العقائد وأحدثوا بدعة التأويل الذى هو في الحقيقة تحريف سمي بغير اسمه ، وبذلك توفرت الدواعي لظهور المذاهب الفقهية والمذاهب الكلامية والمذاهب الصوفية في أزمنة متقاربة (6). " .

---

(4) الابراهيمي : (تصدير) السجل ، ص : 14 .

(5) ينظر : المصدر السابق ، ص : 14 ، 15 .

(6) الابراهيمي المصدر السابق ، ص : 15 .

أما حدوث المذاهب الفقهية فقد كان امرا ضروريا وطبيعيا، فالسنة لم تجمع بعد ، وحياة العرب المسلمين قد اتسعت ودخل فيها من المعاملات ما لم يكن معهودا لديهم في بداية ظهور الاسلام .

ومن سماحة التشريع الاسلامي - كما يرى الابراهيمي - أن تظهر فيه انظار جديدة مستنبطة من اصوله لتوائم انواع المعاملات الدنيوية الجديدة .

وهكذا فان ظهور المذاهب الفقهية وما نتج عنها من انظار ايجابية لم يكن سببا في تفرق المسلمين ، وانما الذى يعد سببا في تفرق المسلمين هو ما قام به المتأخرون من اتباع هذه المذاهب الذين تعصبوا لائمتهم حتى بلغ بهم ان جعلوا كلام الله فرعا لكلام اولئك الائمة . بل انهم اولوا القرآن حتى يوافق كلام الائمة ، وتلك شر منزلة بلغها التحريف الديني .

" وقد طغت شرور العصبية للمذاهب الفقهية في جميع الاقطار الاسلامية ، وكان لها أسوأ الاثر في تفريق كلمة المسلمين . . . أما آثارها في العلوم الاسلامية فانها لم تمدها الا بنوع سخيف من الجدل المكابر لا يسمن ولا يغني من جوع، ولا عاصم من شرور هذه العصبية الا صرف الناشئة الى تعليم فقهي يستند على الاستقلال في الاستدلال ويعدها لبلوغ مراتب الكمال وعدم التحجير عليها في استخدام مواهبها الى اقصى حد"(7) .

وكان لترجمة الفلسفة اليونانية والحكمة الفارسية والهندية اثر قوى في تعدد المذاهب الكلامية والصوفية ، وكان لكل من هذه المذاهب اثرها في تفريق الاسلام والمسلمين .

---

(7) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 17 .

اما المذاهب الكلامية فلحسن الحظ ان الخلاف فيها كان يدور بين الخاصة من العلماء دون عامة الناس، لان الجدل فيها كان يدور حول وجود الله وحول اثبات صفاته، وما يجب له من كمال وما يستحيل عليه من نقص : كل ذلك من طريق العقل ، ولذلك فان اثرها في تفريق المسلمين كان محدودا ومحصورا بين طبقة العلماء .

" وقد انقرضت المذاهب وانقرض بانقراضها سبب جوهري من اسباب التفرق ... ولم تبق الا اخبار معاركها الجدلية في كتب التاريخ ... ولم يبق من تلك الاسماء الا اسمان وهما : اهل السنة وأهل المعتزلة (8) " .

ويذكر الابراهيمي بكثير من الحزن ان دراسة علم التوحيد في ارقى الكليات الاسلامية كالازهر والزيتونة لاتزال تجري على طريقة المتكلمين على ما فيها من مضيعة وقت وقلة جدوى ، في حين ان شبهات الملاحدة ومبشري المسيحية على الاسلام - لا وجود للتصدي لها في مناهج تلك الكليات (9) .

وفي رأي الابراهيمي ان الخسارة من دراسة علم الكلام تربو على الربح ، لان دلائل توحيد الله موجودة في القرآن ، ولكن علماء الكلام اضاعوا ذكاءهم وجهودهم فيما لا يفيد (10) .

وأما المذاهب الصوفية فقد سبقت الاشارة - في الفقرة الخاصة بالطرقية - الى انها حركة دخيلة على

---

(8) الابراهيمي : المصدر السابق ، ص : 17 ، 18 .

(9) ينظر : المصدر السابق ، ص : 18 .

(10) ينظر : المصدر السابق ، ص : 19 .

الاسلام وهي كذلك أبعد اثرا في تشويه الاسلام وتفريق المسلمين لامكانية انتشارها بين اكبر عدد من العامة ، ولامكانية الانتساب اليها من طرف كل ذي دخلة سيئة على الاسلام ، ولكونها اصبحت الاساس الذي تفرعت عنه الطرق المنتشرة بين عامة المسلمين في جميع اقطارهم ،والتي كانت السبب في تفريقهم .

وبهذه العصبيات للمذاهب والائمة والفرق والطرق والمشائخ ... صارت الامة الواحدة امما ، والسبيل الواحد سبلا .

" وأصيبت العلوم الاسلامية بما اصيب به الاجتماع الاسلامي من فتور ،ولا مست الدين شبهات اعضل امرها وساء أثرها ، وأتى التقليد بنيان الاستدلال من القواعد ، فجف العلم وعقمت العقول" (11) .

واذا كان ذلك هو رأي الابراهيمي في ظروف نشأة العلوم الانسانية وتطورها وأسباب انحطاطها وأثرها على المسلمين ، وطرق علاج ذلك ، فماذا كان رأيه فيما قامت به الجمعية من اصلاح

---

(11) الابراهيمي : (الاسلام والمسلمين) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 4 . ص : 4 .

3 . 3 — أثر التعصب المذهبي في التمزق الاجتماعي والعقم العلمي

يقتضي الابراهيمي الى ان الاختلاف في الدين بالتأويل والتعصب قد أدى في المجتمع الاسلامي الى التمزق ونتج عن ذلك الفتور والتقليد والعقم العلمي .

ولا يختلف رأي الابراهيمي عن ذلك فيما وقع للمجتمع الجزائري فعندما استطاع الاستعماريون والطرقيون تشويه دينه وتفريقه بين شيوخ الطرق فترت قواه في كل شيء ، والعلم اولى الا يكون وليد الضعف والفتور .

وعندما جاءت جمعية العلماء كانت قد وجدت اشياء تسمى علما وما هي بالعلم في شيء ، وجدت " قضايا ملفوظة ومسائل محفوظة ، مقطوعة العلائق مع أدلتها ، مجفوة الارحام من اصولها ، تسلخ عليها الاعصار وتقطع عليها الانفاس ، لم يحصل فيها فكر ولم يروضها تمحيص ولكنها مع ذلك تسمى علما !" (12)

كما وجدت الجمعية ان الطرقيين قد عبثوا بالدين والعلم جميعا ولذلك يخاطبهم الابراهيمي بقوله : " واذا كان علماؤكم من الطراز الذي كانت تعلن عنه جريدة البلاغ فتنعت الواحد منهم بأنه مدرس بقرية كذا وأن عنوانه (بقهوة كذا فلا تصدق الا في آخر النعتين — فقد اضفتم الى الاستخفاف بالدين الاستخفاف بالعلم ." (13)

---

(12) الابراهيمي : (لا يبني مستقبل الامة الا الامة) . البصائر . العدد : 26 . ص: 4 ، 5 .

(13) الابراهيمي : (تساءلوا نساءلكم: الحلقة : 1) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 7 . ص : 2 . عمود : 3 .

ومن الطبيعي انه اذا كان الفساد الديني يؤدي الى الفساد الاجتماعي والعلمي ، فان الاصلاح الديني هو الباب الذي يدخل منه الاصلاح العلمي : "ان تقديم الجمعية للاصلاح الديني على الاصلاح العلمي ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد حتى اصبح من آثاره اللازمة التزهيد في العلم (14)".

وبنجاح الجمعية في الاصلاح الديني تكون " قد فرغت من وسيلة من اعضل الوسائل واعصاها على العلاج وهي : اعداد النفوس لانطباع الملكات العلمية الصحيحة فيها (15)". حتى ان الاميين في المساجد بعد ان خلت اذهانهم الا من المفاهيم الاسلامية الصحيحة ، استطاعت جمعية العلماء ان تجعل منهم جمهورا علميا يفهم العربية الفصحى بالسماع كما يفهم الفرنسية بالسماع .. وحتى ان النزعة الى الدليل والبرهان — وهو منهج اعضاء الجمعية فيما يقدمونه من علم — قد تجاوزت الطلبة المزاولين للعلم الى الطبقات العامية ، فأصبحت نفوسهم نزاعة الى طلب الدليل في أمور دينهم ، وأصبحت هذه النزعة التي تكونت لديهم صمام أمان يحفظهم من دعوة الطرقيين الى الباطل والضلال (16).

ولا تظهر قيمة نجاح الجمعية في هذا المجال الا اذا علمنا ان شعار الطرقيين : " سلم تسلم" و" سلم للرجال في كل حال "، كان قد انتشر لا بين العامة فقط ، ولكن بين المجالس العلمية ايضا حتى اصبحت نزعة التسليم تلك تسيطر وتتحكم بعقول المعلمين والمتعلمين جميعا (17)".

---

(14) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب ج9م10 . ص: 387 .

(15) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 388 .

(16) ينظر : المصدر السابق . ص : 394 .

(17) ينظر : المصدر السابق . ص: 392 .

ومن هنا فان الابراهيمي يرى أن أكبر ميزة للنهضة الحديثة التي احدثتها جمعية العلماء هي الدعوة الى احلال مبدأ " الدليل " محل شعار " التسليم " الذى كان المنفذ الواسع الذى دخلت منه الى المجتمع الجزائرى كل الوان الخرافات والمبالغات السخيفة ، " فالغرة اللامعة في جبين هذه النهضة العلمية هي اقتران العلم بدليله ، فأصبح علماؤنا يعلمون بالدليل ، ويدعون الى الدليل ويطالبون بالدليل ، ويحكمون الدليل ولو في انفسهم ".(18)

من ذلك ان الابراهيمي عندما طلب اليه ابن باديس ان يلقي محاضرة حول : " فضل اللغة العربية على العلم والمدنية ..." اعتذر بأن الموضوع علمي تاريخي لا تعلق الحافظة بأسبابه كلها ولا تقوى على جمع اطرافه وانما عماده البحث والتنقيب واقامة الشواهد وحشد النصوص .(19)

ولكن لما كان الوقت ضيقا والمحاضرة لابد منها ، فانه لجأ الى اسلوب الخطابة والخيال وترك أسلوب الدقة والبرهان ، عالما بضرورة هذا الاسلوب .

ومن ذلك ايضا ان الابراهيمي قد انتقد عدم علمية التقارير التي ضمنها سجل مؤتمر جمعية العلماء بما فيها تقريره هو ، اذ قال : ((فالحق ان معظم تلك التقارير ينقصها عنصر ضروري من عناصر الكمال ونعني به الاحصائيات الدقيقة ، هي الاساس الذى تبنى عليه التقارير في هذا العصر)) .(20)

---

(18) الابراهيمي : المصدر السابق . ص: 393 .

(19) ينظر : (العربية : فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية) . الشهاب جـ1 م15 . محرم 1358هـ. فيفرى 1939م . ص: 11 .

(20) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص:2 .

3.4 — اللغة العربية والعلم الحديث .

وعندما تختلف انظار دعاة النهضة العربية في المشرق العربي حول ماإذا كان بالامكان اشتقاق المصطلحات العلمية والصناعية من اللغة العربية ، أم أنه لابد من استعارتها من لغات العلم الاجنبية ، فان الابراهيمي يرى انه من الطبيعي ان تختلف الانظار في بداية النهضات ، ولكن من الضروري الا يسمح لغير المعقول ان يطغى على المعقول ، لان ذلك سوف يكون عائقا للسير ومطيلا للمدة وقاطعا للتقدم ومميتا للشعور .(21)

ويعتقد الابراهيمي ((انه لو كانت الكتب العلمية والفنية التي كتبها أسلافنا موجودة بين ايدينا ، ولم تغلها غوائل الدهر ، لوجدنا فيها من هذه المصطلحات ما يغني بحاجتنا أو يزيد(22))) .

كما يرد الابراهيمي على اولئك المتناظرين في المشرق العربي بأن اللغة العربية التي قربت بين الفكر الفارسي القلق ، والفلر البربري الرصين . واللغة العربية التي سهلت لامم مختلفة الاجناس اسباب العلم والمدنية ، ومهدت لها الطرائق المؤدية اليها . واللغة العربية التي امدت علماء الاسلام بثروة هائلة من المصطلحات العلمية والفنية في القديم .. قادرة في الحاضر على امداد العلم والعلماء بكل المصطلحات المطلوبة دون حاجة الى الاستعانة أو الاستعارة(23).

اذ ((لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم الاوائل ...

---

(21) ينظر : (ملخص خطاب الابراهيمي) . الشهاب ج 9 م 10 . ص: 416 .

(22) الابراهيمي : (العربية : فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الامم غير العربية) . الشهاب ، ج 1 م 15 . ص : 11 وما بعدها .

(23) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 11 وما بعدها .

فوعت الفلسفة بجميع فروعها ، والرياضيات بجميع اصنافها والطب والهندسة والادب والاجتماع ، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الامم الغابرة والحاضرة .
وهذا هو الجزء الضروري في الحياة الذى اما ان تنقله اليك فيكون قوة فيك، واما ان تنتقل اليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك ، وقد فطن اسلافنا لهذه الحقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا اليه)) . (24)

واذا كان الغربيون المتعصبون واتباعهم قد روجوا بين الشباب أن العربي بليد الذهن سطحي التفكير ، مسدود الشهية الى الابتكار العلمي .. وأن العرب لا فضل لهم في المجال العلمي في القديم ، لان دورهم لم يتجاوز الترجمة والنقل الامين ، فان الابراهيمي يرد عليهم بأن تلك دعايات هدفها تزهيد الناشئة من الشباب العربي في أصله العريق ،وفي الاسلام ومزاياه . وبأن الحقيقة هي ان الاسلاف من العرب والمسلمين قد نقلوا العلم الى العربية بدافع وجداني الى العلم أولا ،ثم أضافوا الى النقل بعد ذلك ،الاستيعاب والدراسة والابتكار.

كما يرد عليهم بأنه اذا كنا اليوم متأخرين في امتلاكنا للعلم ، فاننا نمتلك الاساس الذى يوصلنا اليه وهو : الرغبة المتأججة في صدور الناشئين منا للعلم والتعلم والتعليم . (25)

ولعل افكار الابراهيمي حول هذه المواضيع - العلم والتعلم والتعليم - سوف تتضح في الفقرات التالية ...

---

(24) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 11 ومابعدها .

(25) ينظر : (محاضرة الاستاذ الشيخ البشير الابراهيمي بنادى الترقي بالعاصمة : الحلقة : 2) . الشهاب :ج 6 م 5 . ص: 7 .

4.1 — تمهيـــــد : -

لقد اصبح الابراهيمي بعد فترة هذه الدراســـة فيلسوفا وموجها في ميدان التربية والتعليم ، ومخططا كبيرا لتكوين النشــئ وتوحيد هدفه بتوحيد تكوينـــه (1) ، وخبيرا في اختيار المناهج والكتب .. حتى قال عن نفسه : " أنا - فيما أعد نفسي - مبشر بالمبادئ الصالحة ، والكتب الصالحة ...(2) ".

ومع ان حدود هذه الدراسة لاتمتد الى الفترة التي أصبح فيها الابراهيمي كذلك ، فان العقل يفرض ان الانسان لا يمكن ان يصبح فيلسوفا وموجها في أى مجال دون تدرج ، فالابراهيمي قد بلغ فكره التربوى شوطا بعيدا من النضج في فترة هذه الدراسة ، بل ان بدايات نصوص الابراهيمي التي عثرنا عليها - تنبئ بأن فكر الابراهيمي التربوى قد نضج قبل فترة هذه الدراسة ، فقد كان استاذا ومربيا ومرشدا في المشرق العربي ، وذلك قبل ان يعود الى الجزائر مع نهاية الحرب العالمية الاولى . ثم تابع نشاطه التربوى في الجزائر - حتى سنة 1929م - ولكن مع شيء من الفتور الذى فرضته ظروف الجزائر تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية ، من قهر وتفقير وتجهيل ..

---

(1) ينظر مقال : (عبقرية الامام الابراهيمي) ، ضمن كتاب : (الامام الرائد..) . ص: 44.

(2) الابراهيمي : مقال : (الرجل الذى انتهت اليه حكمة التربية) ، ضمن كتاب : كامل كيلاني في مرآة التاريخ . انور الجندى . مطابع الكيلاني . القاهرة . سنة 1962 . ص: 664.

2.4 — حالة التعليم في الجزائر في فترة البحث .

يذكر الابراهيمي في سنة 1929 انه وجد في القطر الجزائري " في عهده الاخير جماعة من ابنائه حاولوا التعليم بأسلوب قريب منا " [3] ، ولكنه يذكر كذلك ان المال كان عائقا في سبيل من حاول ان يقدم خدمة للوطن في مجال التعليم ، فقد حرم الوطن من فوائد المؤسسات التعليمية نتيجة للمشادة التي كانت دائرة آنذاك بين الاغنياء والعلماء ، فالعلماء كانوا يريدون المال من الاغنياء ليقوموا بواجب تعليم الامة ، والاغنياء كان الشح يمنعهم ، أو كانت الثقة في العلماء تنقصهم لانهم لم يعتادوا من (علماء الطرقية) الا الابتزاز والاستغلال .. ومن للاغنياء في تلك الفترة ببيان العلماء الحقيقيين ، من الطرقيين المستغلين ؟ ولذلك فقد دعا الابراهيمي في تلك الفترة الى العمل الجماعي بدل الاعمال الفردية ـ دعا الى تأسيس الجمعيات العلمية لكي تنوب عن العلماء والاغنياء في ادارة المؤسسات التعليمية، وكان يرى ان ذلك هو السبيل الذي يضمن الوصول بالمؤسسات التعليمية الى اهدافها . ودعا الابراهيمي كذلك الى ترك الاعتماد على الحكومة في مجال تعليم ابناء الامة .. ومع ذلك فان التعليم العربي (الحر) كان يدور في دائرة ضيقة من حيث الامكنة والاساليب والكتب الى ان جاءت الجمعية (جمعية العلماء) فوسعت في الامكنة وطورت في الاساليب وانتقت الدراسة والمطالعة أنيد الكتب وأسهلها [4] .

لقد كان لجمعية العلماء وللابراهيمي ضمنها دور مهم في ميدان الاصلاح عموما وفي ميدان التعليم خصوصا .

---

(3) الابراهيمي : (محاضرة الاستاذ الشيخ البشير الابراهيمي في 7 رمضان بنادي الترقي بالعاصمة : الحلقة :2) . الشهاب :ج6 م 5 . ص : 8 .

(4) ينظر: (تصدير) السجل . ص : 57 .

اما دور جمعية العلماء فيلخصه النص الآتي لابن باديس ، وهو تعبير عن نشاط الجمعية التربوي في سنواتها الاولى اذ قال : " اما الاعتناء بالتعليم فهذا هو الذي انقطعت اليه الجمعية ، وقامت به قيامها ، ففي قسنطينة وفي ميلة وفي الميلية وفي جيجل وفي بجاية وفي بسكرة وفي تبسة وفي بلدة الجزائر وفي بني ورتيلان وبني يعلى ، وفي تلمسان وفي غيرها في كثير من البلدان تجد رجال مجلس ادارة الجمعية وغيرهم من ذوي العالمية يقضون ليلهم ونهارهم في الدروس العلمية الفقهية والدروس العلمية الارشادية وتلقين مبادئ الدين واللغة لمن استطاعوا اليه سبيلا من النشء الصغير، ولو ان التعليم كان حرا ، ولو ان الرخص كانت تعطى لمن يطلبها لكان التعليم اليوم قد عم القطر كله (5) ".

ولابن باديس قول آخر يعبر فيه عن فهمه لعلاقة العلم والتعليم بالحياة اذ يقول : " لا حياة الا بالعلم وانما العلم بالتعليم ، فلن يكون عالما الا من كان متعلما ، كما لن يصلح معلما الا من قد كان متعلما ومحمد (ص) الذي بعثه الله معلما كان ايضا متعلما (6) ".

---

(5) عبد الحميد بن باديس : (خطاب رئيس الجمعية الذي القي في صباح اليوم الاول من ايام اجتماعها العام) .
الشهاب : ج 9 م 10 . ص : 378 .

(6) عبد الحميد بن باديس : ابن باديس حياته وآثاره . ج 1 . ص : 346 .

3.4 — دور الابراهيمي في التعليم في هذه الفترة .

وأما دور الابراهيمي في التعليم في هذه الفترة فقد كان دور الذى يريد ان يرتفع البناء سليما وقويا ، فمن انشاءاته في مجال التعليم في هذه الفترة اعتناؤه بمحو الامية واعتناؤه بتعليم الكبار من حيث توعيتهم ونشر الفصحى بينهم ، ثم اعتناؤه بعد ذلك بالسبل التي يمكن ان تتوسل الجمعية من خلالها الى مفهوم للتربية تتبناه في جهودها التعليمية .

اما اعتناؤه بمحو الامية فيبدو في تقرير قدمه الى مؤتمر جمعية العلماء سنة 1935م . ويبدو ان ذلك التقرير هو الوحيد من نوعه في تلك الفترة . وقد قسمه الى جزئين : اما جزؤه النظرى فقد اعتنى فيه بمفهوم الامية وأضرارها على المجتمعات . واما جزؤه الثاني فقد خصصه لبعض طرق محو الامية وخصوصا بين الكبار .

يرى الابراهيمي ان مفهوم الامية لغويا هو الجهل بالقراءة والكتابة ، ... - ناحية مفعولها في الامم " مرض فتاك ونقيصة مجتاحة ، ورذيلة فاضحة ، وشلل في جسم الامة التي تبتلى بها (7) ." ومن هنا فان الامية في رأيه تفقد الامم خصائص الحياة ، ومن اكبر جناياتها عليها : القضاء على التفكير : " والتفكير هو المعيار الذى توزن به القيم العقلية في الامة سموا واسفافا (8) ". فالامية والوثنية عند الابراهيمي من صنف واحد في الفتك بالعقول وتعطيل المواهب .

واذا كان التفكير سمة من سمات الانسانية ، فان الامية طابع من طوابع الحيوانية الصماء .

---

(7) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص: 86 .

(8) الابراهيمي : المصدر السابق . ص: 87 .

واذا كانت الحاجة الى التفكير - والتفكير المنظم خصوصا - تزداد في عهود الحضارة ، وتزداد - من باب اولى- الحاجة الى القراءة والكتابة ، فان شناعة قبح الامية تتجلى أيضا في هذه العهود . ولان الامم الراقية لم تصل الى ما وصلت اليه من رقي وحضارة الا بالقراءة والكتابة ، فان الابراهيمي يدعو الاغنياء والخطباء والشعراء والعلماء الى القيام بحطة منظمة على الامية . ويستفهم الابراهيمي بصورة خاصة عن عمل العلماء في مجال محو الامية فيقول :

" واين علماؤنا الذين برأهم الله من داء الامية ؟ لماذا لا يسعون في تاديب غيرهم منها ؟ ام هم يريدون ان تبقى الامة امية ليبقوا سادات ومشايخ ؟ . فان كان هذا هو مرادهم فأنبؤهم عني أن ليس من الشرف السيادة على طغام والرعاية على أغنام ".(9)

ومن بين طرق محو الامية التي اقترحها الابراهيمي : ان تقوم جمعية العلماء بجملة من النصائح والارشادات تستثير بها شعور الامة لتحمل على الامية ، وقيمة هذه النصائح في رأى الابراهيمي انها تهيء الاميين الى الاقبال على الدروس التي تنظمها لهم الجمعية ، وان يقوم اعضاء الجمعية بالاتصال باعضاء الجمعيات المعنية الاخرى فيقنعونهم بدفع مبلغ مهما كان زهيدا ، كما يقنعونهم بالاجتماع يوميا في ساعة معينة ثم تعين الجمعية احد الائمة ليعلمهم القراءة والكتابة مقابل المبلغ الذى دفعوه ، وبذلك تكون الجمعية قد أفادت الجانبين المعلم والمتعلم جميعا .

ولا ينسى الابراهيمي في تقريره حول محو الامية دعوة الاباء الى الحرص على تعليم ابنائهم عند الصغر حتى لا يتعرضوا لخطر الامية عند الكبر . ويقوم الابراهيمي في سياق توعية الكبار ونشر الدين واللغة العربية الفصحى بينهم بتجربة يصل من خلالها الى نتائج مهمة :-

---

(9) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 88 .

لقد سبقت الاشارة في المدخل الى ان الجمعية خصت العمالة الوهرانية بالابراهيمي ، وعندما استقر في تلمسان بدأ دروسه ومحاضراته على العامة في تلك المدينة بالعربية الفصحى ، وأخذ نفسه بذلك حتى كان يصل احيانا في لغته الى درجة الاغراب ، ويذكر ان له من وراء ذلك غرضين : " احدهما — اقامة الدليل للمتعلمين باللغات الاجنبية على ان الفصحى لا تعيا بحمل المعاني مهما تنوعت وعلت ، وانها تبذ اللغات في ميدان التعبير عن الحقائق والخيالات والخواطر والتصورات ، وقد بلغت من هذا الغرض ما أريد .

والغرض الثاني — ان أحدث في نفوس العامة المحبين للعلم والذين أسفا يقض مضاجعهم فيدعوهم الى تدارك ما فاتهم منها في ابنائهم (11)".

يذكر الابراهيمي أنه كان يرى من أولئك العامة حسن اصغاء فسره في البداية على انه تاثر بالآيات القرآنية وبالاحاديث النبوية التي كانت ترد في تلك الدروس والمحاضرات . وأراد ان يختبر فهمهم الحضور لتلك الدروس بالعربية الفصحى ، فرجع الى العامية في بعض الدروس ، فاستحجنوها ونبت عنها أذواقهم (12).

ويورد الابراهيمي تجربة اخرى للشيخ الطيب العقبي مع العامة في العاصمة الجزائرية وصل من خلالها الشيخ العقبي الى نفس النتيجة التي وصل اليها الابراهيمي في تجربته السابقة .

---

(10) ينظر : مدخل هذه الدراسة ص: (429).

(11) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب . جـ 9 م 10 . ص: 395 .

(12) ينظر : المصدر السابق . ص : 395 .

ويرى الابراهيمي من خلال مثل هذه التجارب ان جمعية العلماء" قد استطاعت ان تأتي بأعجوبة الدهر ، وأن تفتح للعلم طريقا غير طريق الكتابة وأن تعيد للعربية معجزتها الاولى وهي : تفتق الامية عن الحكمة في العرب (13) ".

وأما أعتناء الابراهيمي بالبحث عن الوسيلة التي تصل الجمعية من خلالها الى مفهوم للتربية ترضاه وتطبقه، فانه - بالاضافة الى اسلوبه في مثل التجربة السابقة التي راعى فيها المتلقي والظروف جميعا - قد اقترح على الجمعية عقد مؤتمر سنوي بقسنطينة . - وكانت العاصمة العلمية - "يحضره كل القائمين بالتعليم من اعضاء الجمعية العاملين فتتبادل الآراء وتتلاقح الافكار وتستفيض الباحث عن اصول التربية والتعليم وأقوم طرائقهما ، وعن الاساليب التي تجمع بين العلم والعمل ، وسيكون من نتائج هذا المؤتمر توحيد التعليم وهو الرغبة التي لم تزل نشاط آمال المصلحين بهذا الوطن (14) . "

---

(13) الابراهيمي : المصدر السابق ، ص: 396 .

(14) الابراهيمي : المصدر السابق ، ص : 389 .

4.4 - المفهوم العلمي للتربية عند الابراهيمي

اما المفهوم العلمي للتربية الذى اقتنع به الابراهيمي فانه يراه في " اختيار أقرب طرائق الالقاء لذهن المتعلم ، واختيار اقرب الكتب لاداء المعنى الصحيح ولفهمه، وتدريب المتعلم على تطبيق النظريات على العمليات" [15] ، الا أن الابراهيمي يرى ان مثل هذا المفهوم لا يمكن تطبيقه في الجزائر في تلك الفترة ، لعدم توفر الظروف التى تساعد على تطبيقه .

وبالاضافة الى ما سبق فان للابراهيمي رأيه في تطور طرق التلقين في الثقافة العربية الاسلامية ، فالطريقة المثلى في التلقين والتلقى في رأيه ، هي طريقة الاملاء عند اسلافنا من علماء المسلمين ، والتي كان من نتائجها كتب الامالي في اللغة والادب والحديث ، فلقد كانت تلك الطريقة تعتمد عند اولئك العلماء على استحكام الملكة في العلم واستقلال الفكر فيه وسعة المحفوظ ورحابة آفاق الحافظة . كما ان المتلقين لم يكن يشغلهم شاغل عن تسجيل تلك الامالي [16] .

لكن تلك الطريقة قد انحطت في القرون المتأخرة، فبعد ان جمعت روايات السلف في مختلف العلوم ودونت في كتب ، جاء دور استغلالها من طرف علماء الفترات المتأخرة فأصبحوا يعتمدون في تلقينهم لتلك العلوم على " شرح الكتب " واصبح المتلقون ينشغلون بالكتب عن الكتابة . ومع ان بعض العلماء المتأخرين مثل ابن حجر وابن خلدون والسيوطي ، حاولوا العودة الى طريقة الاملاء

---

(15) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 388 .

(16) ينظر : (تفسير المعوذتين) . الشهاب . جـ4 م 14 . ص : 186 .

عند الاساتذة الاوائل الا انهم لم ينجحوا لضعف همم المتلقين في بيئاتهم.(17)

ويرى الابراهيمي أن أسوأ نتيجة لطريقة المتأخرين هي القضاء على الملكات العلمية من ناحية، وانشغال المعلمين والمتعلمين جميعا — بالكتاب — عن العلم من ناحية ثانية.(18)

وفي العصور الحديثة ظهرت مفاسد طريقة التزام الكتب في التلقين ، ودارت حرب اصلاحها بين المصلحين أصحاب المعاهد الحرة في الاقطار الاسلامية ، وبين الجامدين الذين كانوا يديرون المدارس الرسمية.

وقد كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده — فيما يرى الابراهيمي(19) — أسدى المصلحين رأيا في مجال اصلاح التعليم ، وقد طبق منهجه في هذا المجال، في تفسيره للقرآن الكريم .

---

(17) ينظر: المصدر السابق . ص: (187- 188).

(18) ينظر : المصدر السابق . ص: 189.

(19) ينظر : المصدر السابق . ص : 188- 189 .

1.5 — تمهيد :

القرآن هو كتاب الله الذى يحمل بين ثنييه دين الله الكامل ، وكل ما سبق القرآن من كتب ان هي الا ارهاصات له وبشارات به واشارات اليه .

والقرآن قد انهض العرب في القديم روحيا وعقليا فأنهضوا الاسم معهم نهضة ثبتت الحقائق الروحية ، وذهبت بالشرور المادية ، ولاءمت بين الروح والمادة في توسط واعتدال ، ولكن مسلمي اليوم — كما يرى الابراهيمي — بحاجة الى ان يوصف القرآن لهم لتشويقهم الى تدبره وفهمه (1) .

" ان حقوق القرآن علينا من التدبر والاتباع هي التي يعرفها ما يعروها من الاهمال والضياع والتفريط والغفلة ، فهي التي يجب التنبيه لها والتذكير بها دائما والدلالة على مواقعها من آيات الكتاب العزيز" (2).

---

(1) ينظر : (كلمة التصدير لهذا العدد)
الشهاب ،جـ 4 م14 ، ص : 162 .

(2) الابراهيمي : المصدر السابق ، ص : 160 .

5.2 — دور القرآن في الامم الاسلامية .

لقد حفظ القرآن الامم الاسلامية من التفرق ودعاها الى الوحدة والاجتماع ، كما حفظ حضاراتها من الاندثار والضياع .

ونبه القرآن المسلمين ايضا الى المدنيات التي سبقتهم ، وكان هذا التنبيه سببا في البحث عن تلك المدنيات .

اما فضل القرآن على العالم فانه أبقى بهذا التنبيه والارشاد على علوم كادت تندرس ، وعلى آثار مدنيات كادت تنطمس .(3)

ويلفت الابراهيمي الانتباه الى ان الانظار يجب ان تتحول مما قدمه القرآن الى العرب والمسلمين — ثم الى العالم — الى ما قدمه المسلمون الى القرآن ، فلقد كان عليهم ان يتعهدوه بالحفظ والفهم والتدبر والاتباع ، ولكنهم بدلا من ذلك لم ينتفعوا بهدايته ! لقد سبقت الاشارة — في الفقرة الخاصة بآراء الابراهيمي حول الدين — الى ان اهل المذاهب والفرق الاسلامية قد أولوا القرآن في القديم الى خدمة اغراض مذاهبهم وعصبياتهم ، بدل ان يفهموه على حقيقته ، ثم جاءت بعدهم الفرق الصوفية بما فيها من افكار (حلولية)(4) ، ثم كانت الطرقية ، وهي بلاء المسلمين لانها صرفت اهل القرآن عن القرآن ، بأدعيتها وأورادها وكتبها !(5)

---

(3) ينظر : (العربية : فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الامم غير العربية) الشهاب .جـ 1 .15p .ص: 11 وما بعدها .

(4) الحلولية) : فرقة من المتصوفة تعتقد مذهب الحلول ، و(مذهب الحلول) : هو القول بان الله حال في كل شيء .

ينظر : (المعجم الوسيط .جـ1 . مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .ص: 194 .

(5) ينظر : (تصدير) السجل : ص: 11 - 24 .

5 . 3 — منهج الابراهيمي في التفسير بين التأصيل والاحتذاء .

ان حفظ القرآن حفظا جامدا ، وأخذ الايمان من القواعد الجافة لا يغني عن المسلمين في شيء ، بل ان تدهور اخلاق المسلمين التي ادت الى ضعفهم — بين الامم — لم يأتهم ، كما يرى الابراهيمي ، الا لانهم تركوا روح القرآن والاسلام الى هذا الحفظ الجامد ، والى هذه القواعد الجافة (6) .

يقول الابراهيمي : " لو اننا فهمنا القرآن كما فهمه السلف ، وعملنا به كما عملوا به ... لكنا به أعزة في انفسنا رأيمة لغيرنا (7) " .

ويرى ان طريقة القرآن في فهم الاشياء وتدبرها — هي طريقة (الاستدلال) التي تعنى ببيان علل الاشياء وأسبابها ، كما تعنى بفهم المقدمات قبل الوقوف عند مجرد النتائج .

ولعل ابرز مثال — فيما يرى الابراهيمي — لطريقة الاستدلال في القرآن الكريم ، هي : طريقته في (لفت) النفس الى أن تستدل بالمخلوقات على الخالق (8) .

---

(6) ينظر : المصدر السابق ، ص : 13 .

(7) الابراهيمي : (مقدمة كتاب : مجالس التذكير لفضيلة الاستاذ الرئيس : عبد الحميد بن باديس . المطبعة الاسلامية بقسنطينة . 16 افريل 1948م . ص: (ب) .

(8) ينظر : محاضرة الابراهيمي في 7 رمضان 1347 هـ بنادي الترقي بالعاصمة . الشهاب ج 6 م 5 . جوليت 1929م . ص : 6 .

ويرى الابراهيمي كذلك ان نهضة المسلمين في العصر الحاضر لم تكن الا نتيجة لفهم اعلام المسلمين لمنهج الاستدلال في القرآن من ناحية ، وتطبيقهم له من ناحية أخرى .(9)

ولم يكن الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وابن باديس الا نماذج ينبغي الاحتذاء بها .

رغم كانت خسارة المسلمين عظيمة بعدم تسجيل دروس الشيخ محمد عبده في تفسيره للقرآن ، ولولا تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا لضاع نهج الامام محمد عبده في التفسير .

ومن دواعي الاسف انه قد ضاع معظم تفسير ابن باديس ولم يبق منه الا ذلك الجزء الذى كان ينشره بنفسه في الشهاب تحت ركن ((مجالس التذكير)) .(10)

وتفسير ابن باديس فيما يرى الابراهيمي هو تفسير سلفي يتجافى عن مجادلات المفسرين ، اذ قد سلك فيه اسلوبا سلفي النزعة والمادة ، عصري الاسلوب والمرمى مستمدا من آيات القرآن واسرارها اكثر مما هو مستمد من التفاسير السابقة وأسفارها . مع انه كان يستأنس ببعض التفاسير لبعض الاغراض كالطبري في المأثورة والكشاف في اسرار الاعجاز .(11)

---

(9) ينظر : (تصدير) السجل : ص : 12 .

(10) ينظر : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب ج 4 م 14 . ص: 180 .

(11) ينظر : المصدر السابق . ص : 189 .

وان كان للامم أيام مشهودة في تاريخها ، فان احد أيام الجزائر المشهودة هو يوم ختم الاستاذ ابن باديس للقرآن الكريم مدارسة ، انه يوم الجزائر الاغر لانه اليوم الذي التفت فيه الامة حول دينها ولغتها.(12)

"لقد اتم الله نعمته على القطر الجزائري بختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير الكتاب الكريم درسا على الطريقة السلفية ، وكان اكماله اياه على هذه الطريقة في خمس وعشرين سنة متواليات مفخرة مدخرة لهذا القطر ، وبشرى عامة لدعاة الاصلاح الديني تمسح عن نفوسهم الاسى والحزن لما عاق امام المصلحين محمد عبده عن اتمامه درسا ، ولما عاق حواريه الامام رشيد رضا كتابة".(13)

ويرى الابراهيمي ان اكمال ابن باديس لتفسير القرآن الكريم دراسة في القطر الجزائري يعد ايذانا برجوع دولة القرآن الى العالم الاسلامي من جديد .

وكان احتفال الختم بمدينة قسنطينة في الثاني عشر من ربيع الاول 1357هـ - دليلا على انسياق الامة الجزائرية المسلمة لداعي القرآن واجتماع قلوبها على القرآن .(14)

ولا معنى لاحتفال الامة الجزائرية بختم تفسير القرآن الكريم على الطريقة السلفية - الا ان احياء القرآن هو احياء للامة الجزائرية بكل مقومات شخصيتها من دين ولغة وتاريخ وحضارة .

ولعل العلاقة بين القرآن وتفسيره من ناحية ، وبين بعض هذه المقومات من ناحية اخرى ، قد تتضح من خلال الفقرات التالية ..

---

(12) ينظر : (خطبة الاستاذ الابراهيمي التي ختم بها حفل التكريم) . الشهاب ج 4 م 14 . ص (277 - 279) .

(13) الابراهيمي . (تمهيد) الشهاب ج 4 م 14 . ص : 153 .

(14) ينظر : المصدر السابق . ص: 154 .

6

الحضارة والتاريخ

6 . 1 — القــرآن والحضـارة :

يـرى الابـراهيمي أنّ الآفـة الكبـرى التي تقضي علــــى حضــارات الامـم ، هـي التفـرق بـين بناتهـا ، كمـا يـرى أنّ القـرآن هـو خـير واق للحضـارة العربيـة الاسـلامية ، لـو اعتصـم بـه المسلمـون واعتبـروا بعظـا تـه (1) .

ويبـدو ان الحكمـة من ارشـاد القـرآن الى السـير في الارض والوقـوف على آثـار الامـم البائـدة — هـي : الاعتبـار بحـال الظالمـين ، وذلـك : " ليعلـم المعتبـر ان الظالـم سـوس المدنيات فيهـم العـدل ، واذا عـم العـدل جـاء العمـران (2) " .

ان أسبـاب سعـادة الامـم ورقيهـا ، أو شقـائهـا وانحطـاطهـا تنبنـي — فيمـا يـرى الابـراهيمـي — علـى اسـاس ايمانهـا بالمبـادئ التـي تسـير حيـاتهـا ، فالمسلمـون الاولـون — مثـلا — قـد آمنـوا بالقـرآن والاسـلام ايمـانـا صحيحـا فسعـدوا وارتفعـوا ، وآمـن الاخـرون منهـم ايمانـا معلـولا واتبعـوا اتبـاعـا مدخـولا فشقـوا وانحطـوا ، وكـل يجنـى عـواقـب مـا زرع (3) .

" ان كـل ما يسمـى من احـوال الامـم تطـورا ، هـو فـي الحقيقـة عبـارة عن مـداورتهـا بـين النقـص والكمـال صعـودا وهبـوطـا (4) " .

---

(1) ينظر : (كلمة التصدير لهذا العدد) . الشهاب ج4 م 14 . ص: 163 .

(2) الابراهيمي : (العربية فضلها على العلم والمدنية ، واثرها في الامم غير العربية) . الشهاب ج 1 م15 . ص : 11 وما بعدها .

(3) ينظر : (تصدير) السجل . ص: 5 ، 6 .

(4) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 85 .

فالمحافظة المهذبة في أطوار انتقال نهضات الامم هي - في رأى الابراهيمي - بمثابة جسر لعبور القديم الاصيل الى المنشود الصالح ، فلقد اهمل المسلمون تاريخهم في العصور الاخيرة ،لأن فقهاءهم يعدون التاريخ علما لا ينفع وجهالة لا تضر ، بينما الاجانب يعدون الامة الاسلامية امة تعيش في الماضي ، مع ان هؤلاء الاجانب هم اكثر الناس حرصا على الاعتداد بتاريخهم حتى لو كان مشوبا بالخرافات (5) .

. . .

6.2 - التاريخ الاسلامي الصحيح .

ان التاريخ الاسلامي الصحيح ، فيما يرى الابراهيمي ،هو التاريخ المتضمن للثقافة العربية الاسلامية ،وعلى المجتمع الجزائرى حتى يكون مجتمعا اسلاميا صحيحا ان يسعى في نشر التاريخ الاسلامي الصحيح (6) .

وان تاريخ المسلمين لحافل بالامجاد ، ولكن غفلتهم عنه أماتت فيهم روح الاقتداء ، فافتقرت لذلك الامة من الرجال .

وبناء على ذلك فقد رأى الابراهيمي ان من السنن الحميدة التي يجب الاقتداء بها في بعث الامجاد التاريخية ، ما جرت عليه مجلة الرسالة القاهرية - آنذاك - من اصدار عدد ممتاز على رأس كل سنة هجرية ، وما عمد اليه بعض المسلمين من الاحتفال بذكرى موقعة حطين (7) .

والخلاصة في هذا الموضوع ،ان دعوة الابراهيمي الى بعث الامجاد التاريخية للامة الجزائرية ، وللامة الاسلامية عموما ، لا تختلف عن الدعوة الى احياء مجد الدين الاسلامي (8) ، أو احياء مجد اللغة العربية ..

---

(5) ينظر : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب ج4م 14 . ص : 171 .
(6) ينظر : (محاضرة الاستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي بنادى الترقي بالعاصمة :الحلقة 2) الشهاب ج6 م5 . ص: 6 .
(7) ينظر : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب ج4 م14 . ص: 170 .
(8) ينظر : ص: (ـ 472 ـ) من هذه الدراسة .

7

اللغة العربية
بين
الدين والحضارة

7.1 — تمهيد :

سبقت الاشارة الى أن أهم هدفين معلنين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هما : احياء مجد الدين الاسلامي ، واحياء مجد اللغة العربية .

وسبقت الاشارة كذلك الى أن الدين واللغة العربية والتاريخ الاسلامي والحضارة (العربية الاسلامية) كلها عناصر مكونة للشخصية الوطنية الجزائرية .

وهذه الفقرة محاولة للبحث من خلال فكر الابراهيمي — عما يربط بين هذه العناصر من علاقات ..

7.2 — اللغة العربية والاسلام .

يقول الابراهيمي مخاطبا أعضاء جمعية العلماء في اجتماعها العام الثالث بعد تأسيسها : " كلكم يعلم ان هذا اللسان ضاع من بيننا ، فأضعنا بضياعه كل ذلك التراث الغالي النفيس من دين وتاريخ — وأن اللغة هي المقوم الاكبر من مقومات الاجتماع البشرى . وما من أمة اضاعت لغتها الا وأضاعت وجودها ، واستتبع ضياع اللغة ضياع المقومات الاخرى (1) . " .

ويؤكد الابراهيمي على ان المعنى الذى قامت جمعية العلماء (لتحقيقه) هو : احياء مجد اللغة العربية التي تقوم بحمل اسرار الدين الاسلامي وترجمة محاسنه الى المسلمين (2) .

وقد كانت اللغة العربية في الجزائر قبل قيام الجمعية " مجموعة من الرطانات لا تجلى قصدا ، ولا تبين مرادا ، ولا تترجم عن مكنون (3) . " ، ولكنها مع ذلك — كما يبين الابراهيمي — قد استولت على الالسنة فكانت تسمى لغة .

وموجب احياء اللغة العربية في اعتقاد الابراهيمي ، ليس فقط انها لغة القرآن ، ولكن لانها لغة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولغة التاريخ الاسلامي ، ولغة (الامة العربية)

---

(1) الابراهيمي : (الجمعية دعوتها وغايتها) . الشريعة . العدد : 4 . ص : 2 .

(2) ينظر : (العربية : فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية) . الشهاب : ج 1 م 15 . ص : 11 وما بعدها .

(3) الابراهيمي : (من آثار المؤتمر : لا يبنى مستقبل الامة الا الامة) . البصائر . السنة الاولى . العدد : 26 . ص : 4 .

التي شغلت جزءا من التاريخ الانساني بفطرتها وآدابها واخلاقها وحكمها وأخيلتها اللامعة التي هي أساس فنها ، فضلا عن انها تدخل في مكونات آرائها في الحياة وفي الكون جميعا .

واللغة العربية قد انشقت من أصلها السامي في عصور موغلة في القدم وجرت في ألسنة العرب ، وكانوا يفاخرون غيرهم - فضلا عن فصاحة لسانهم - بدقتها وبلاغتها في التعبير في كلامهم ، وتجلت خصائصها بصورة معجزة في دقة أسلوب القرآن الكريم . يقول الابراهيمي في هذا السبيل :

" اننا نجد من اعجاز القرآن في البلاغة ما هو شائع في جميع آياته من الدقة المتناهية في تحديد المعاني ، وتصوير الحقائق وتنزيل الالفاظ في مراتبها ، وتلوين الاساليب ، والتزاوج بين الصفتين أو الصفات حتى كأنهما صفة واحدة (5) ."

ويعتقد الابراهيمي أن امتزاج دقة اللغة العربية بحكمة الاسلام تتجلى في أن الامم الاجنبية التي دخلت الاسلام اصبحت تعتقد ، بل تؤمن ، بأن معنى (اللغة العربية) جزء من معنى (الاسلام) (6) .

واذا كانت الامة العربية تفاخر باللسان العربي لانه لسانها أولا ، ولسان دينها ثانيا ، فان الامم الاسلامية تفاخر به لانه لسان دينها الذى وحد بين اجزائها ،

---

(5) الابراهيمي : (كلمة التصدير لهذا العدد) . الشهاب ج 4 م 14 . ص : 161 .

(6) ينظر : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 4 . ص : 3 .

اذ ان اللغة العربية كانت أهم سبب في تقارب افكار تلك الامم حول قضايا الاسلام وقضايا الحياة أيضا .

" ولولا العربية لاختلفت الامم الاسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات الجنسية ، وقد وقع بعض هذا ولكنه من القلة بحيث لا يظهر اثره في الحركة العامة للامة .

ان الامم التي دخلت في الاسلام متفاوتة الدرجات في الانفعالات النفسية ، وأنماط التفكير ، متفاوتة في الادراك والذكاء ، متفاوتة في القابلية والاستعداد ... ولكن اللغة العربية فتحت عليها آفاقا جديدة في كل ذلك ما كانت تعرفها (7) ."

ونتيجة لما احدثته اللغة العربية - والاسلام - من تمازج بين الامم الاسلامية كلها ، فقد انعدم الفرق في نظر الابراهيمي بين الامة العربية ، والامة الاسلامية حتى انه عندما يقول (الامة العربية) فانه يعني الامم الاسلامية كلها (8) ، لانها اصبحت في نظره موحدة بحكم الاسلام ولغة الاسلام وحضارة الاسلام ..

. . .

(7) الابراهيمي : (العربية : فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية) - الشهاب ج 1 م15 .
ص : 11 وما بعدها .

(8) ينظر : (المصدر السابق) . ص : 11 وما بعدها .

3 ـ 7 ـ اللغـة والحضـارة

لقـد تشـابهت الحضـارات القـديمـة في أصـولها العامـة ، وأهم تلك الاصول ان تنتسب كل واحدة من تلك الحضارات الى امة معينة على عكس الحضارة الحديثة التي اصبحت (حضارة انسانية) تشارك فيها شعوب الارض كلها .

وازدهار كل واحدة من تلك الحضارات بما فيها من علوم ، كان ينسب الى الامة التي تنتسب اليها تلك الحضارة ، في حين ان ازدهار الحضارة الحديثة وعلومها هو ثمرة لتطور الانسانية كلها .

ولئن كانت الحضارة الحديثة تسعى نحو اشتراك اسم الارض في اسماء أهم مبتكراتها ، فان لكل من الحضارات القديمة لغتها المعبرة عن جميع جوانبها الخاصة .وكان كل من ازدهار تلك الحضارات ونتائجها ، أو انهيارها وفنائها يتوقف على ما في تلك اللغات من عناصر الحياة أو الفناء.

" فاللغة من الحضارة جزء لا كالاجزاء ، كاللسان من البدن عضو لا كالاعضاء ، ثم اندثرت تلك المدنيات وعلومها الا ما بقي من آثار الاولى منقوشا على الاحجار ، وما بقي من آثار الثانية مكتوبا في الاسفار . " (9)

وكانت اللغة العربية كغيرها من اللغات القديمة معبرة عن حضارة اهلها ، فقد عبرت عما شاده العرب بأفكارهم وأيديهم من حضارات في جزيرتهم قبل الاسلام . ولكن ميزة العربية عن بقية تلك اللغات انها كانت تعبر عن الوجدانيات ، والوجدان في رأي الابراهيمي أساس الحضارات كلها . (10)

---

(9) الابراهيمي : (العربية فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية) . ص : 11 وما بعدها .

(10) ينظر : المصدر السابق . ص : 11 وما بعدها .

وعندما جاء الاسلام بالحضارة الخالدة التي استطاعت بالتوحيد وبفضائل الاسلام الاخرى ان تهيمن على حضارات الامم التي دخلت في الاسلام - كانت اللغة العربية أفصح لسان في التعبير عن هذه الحضارة الجديدة .

واللغة العربية في تعبيرها عن الحضارة العربية الاسلامية ، لم تخدم مدنية خاصة بأمة معينة ، وانما خدمت المدنية الاسلامية العامة . وهي كذلك ، لم تخدم علما خاصا بأمة ، وانما خدمت العلم المشاع بين البشر اجمعين .

وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته .

واذا لم تستطع لغة واحدة من اللغات الحية في العصر الحديث ان تعبر عن الحضارة الحالية ، فان اللغة العربية قد عبرت في عصور ازدهارها عن الحضارة (العربية الاسلامية) بمفردها ، واستطاعت ان تستغني - تقريبا - عن بقية اللغات ، وبذلك اثبتت مرونتها وسعتها (11) .

ومعلوم ان العلوم التي بنيت عليها الحضارة الحديثة وصلت - في معظمها - الى علماء عصر النهضة ، عن طريق اللغة العربية ..

والمنصفون من غير العرب - فيما يرى الابراهيمي - لا يزالون يذكرون للغة العربية هذا الفضل ، ويحفظون لعلماء المسلمين هذا الجميل (12) !

---

(11) ينظر : المصدر السابق ، ص : 11 وما بعدها .

(12) ينظر: المصدر السابق ، ص : 11 وما بعدها .

ولقد قسم الابراهيمي المستشرقين في نظرتهم الى هذا الموضوع الى قسمين :

قسم نظر الى اللغة العربية نظرة خالية من موضوعية العلم واخلاق العلماء ، فحقد عليها وسلبها حقها ونادى بموتها . (13)

وقسم نظر اليها بالتجرد العلمي ، فخدمها خدمة جليلة أو أنصفها انصافا هي جديرة به .

والمهم في نهاية هذه الفقرة هو ان نشير الى حقيقة تتبدى في فكر الابراهيمي وهي : ان صورة العلاقة القوية التي ربطت (اللغة العربية) بالحضارة العربية الاسلامية في القديم ، هي نفس الصورة التي ربطت (هذه اللغة) بالنهضة العربية الحديثة في الجزائر .

---

(13) ينظر : المصدر السابق . ص : 20 .

8.1 — تمهيد :

لقد سبقت الاشارة الى ما رآه الابراهيمي من استواء النهضة العربية في الجزائر، بما فيها من جوانب فكرية ولغوية وأدبية — الى النصف الثاني من هذا القرن . (1)

ويعود الابراهيمي بالمؤثرات الاولى لتلك النهضة — قبل استوائها — الى الطلبة الجزائريين العائدين من مصر وتونس ، والى آثار اعلام الشعر المشارقة الذين بدأت اشعارهم تصل الى الجزائر ، في تلك الاثناء ، اذ يقول : " حمل اولئك النفر من مصر ومن تونس الى الجزائر قبسا خافتا من الادب العربي . ولكنه كان كافيا في تحريك القرائح والاذهان وقارن ذلك أو سبقه بقليل وصول الآثار الادبية الحديثة من شعراء الشرق المجلين ،وعرفت الجزائر شعر شوقي وحافظ ومطران والرصافي .

ومنا انتهت الحرب العالمية الاولى حتى كانت تلك المؤثرات المختلفة الموارد قد فعلت فعلها في تونس الناشئة التي هي طلائع النهضة الادبية، وشعرت الجزائر بعروبتها التي كانت كامنة كالنار في الحجر . " (2)

---

(1) ينظر : ص (435) من هذه الدراسة .

(2) الابراهيمي : (تصدير كتاب) محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث . ص : 7 ، 8 .

2 . 3 — بداية النهضة الادبية في الجزائر .

أما البداية الحقيقية للنهضة الادبية في الجزائر فيقول عنها ابن باديس :" الحقيقة التي يلمسها كل أحد ان هذه الحركة الادبية ظهرت واضحة من يوم برزت جريدة " المنتقد " المصالة بقرار وزيري ، فمن يوم ذلك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل ".(3)

ولا يخالف الابراهيمي ابن باديس في هذا الرأى ، فعنده ان ما ظهر من شعراء وكتاب وخطباء في فترة الثلاثينيات يعود الى تأثير الحركة الاصلاحية والتعليمية التي قادها المصلحون وعلى رأسهم ابن باديس ، قبل الجمعية وبعدها ، والى دروس ابن باديس نفسه .

فهذه الحركة في رأى الابراهيمي ان هي الا نفحة من نفحات الله اصبح الدين بواسطتها يدرس بكيفية سليمة مثمرة ، وأصبحت العربية تدرس بكيفية تؤدى الى تحصيل الملكة والذوق السليم .

" وأنتجت لنا هذه الدراسة شعراء نفاخر بهم ، وكتابا وخطباء ، واصبح الشعر والكتابة والخطابة أدوات تقدم ووسائل حياة لهذه الامة ".(4)

---

(3) عبد الحميد بن باديس : ابن باديس حياته وآثاره .
عمار الطالبي - ج 3 . ص : 12 .

(4) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب : ج 9 م 10 . ص: 391 .

واذا كان للنهضة الاصلاحية والتعليمية في الجزائر فضل اتقان اللغة العربية تعليما وتعلما وكتابة وخطابة ، فان لدروس ابن باديس " اقوى الآثار في تكوين الملكات وتقويم الالسنة ... فمن تلامذته كتاب القطر اليوم ، ومن تلامذته شعراء القطر اليوم ." (5)

ويرى الابراهيمي بعد ازدهار نشاط جمعية العلماء ان الطراز الادبي الجزائري قد استقل استقلالا كليا ، بل انه أصبح " يحتذى ولا يحتذى ، ليست عليه مسحة التأثر والمحاكاة . واذا كانت ناشئتنا متأثرة بالتعاليم الزيتونية ، فان ذلك التأثر لم يجاوز العلميات ، أما الادبيات فلا ." (6)

وللاستاذ أحمد بن ذياب رأى في الادب الجزائري في الفترة التي نتحدث عنها فهو يقول : " ان الادب الجزائري لم يعد قشورا ، ولا أدب مناسبات ، وانما أصبح أدبا حيا ثوريا يعالج مشاكل الامة ويشق طريقه لحياة الشعب اليومية في سهولة ويسر ." (7)

ومع ما يبدو في هذا الرأي من مبالغة في قيمة الادب الجزائري في هذه الفترة ، فانه يتفق مع ما رآه الابراهيمي فيه ، فقد جعله " يحتذى ولا يحتذى " ، بعد ان كان قبل هذه النهضة " سفاسف من لغو الحديث لا تثير ذكرى ولا تذكي حماسا ، ولا تهز عاطفة" (8) .

---

(5) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 400 ، 401 .

(6) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 401 .

(7) احمد بن ذياب: (محمد البشير الابراهيمي ونضال الكلمة) . الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الاعلام والثقافة بالجزائر . السنة 6 . العدد : 33 . جمادى الثانية - رجب 1396 هـ - يونيو - يوليو 1976م . ص : 64 .

(8) الابراهيمي : (من آثار المؤتمر : لا يبنى مستقبل الامة الا الامة .) . البصائر . العدد : 26 . ص : 4 .

ثم انه علينا ان نفهم ان الادب في هذه الفترة كان أوسع من ان ينحصر في نصوص شعرية أو نثرية معينة ، فقد كان يشمل الى جانب ذلك جميع ما تخطه اقلام العلماء في الصحف أو ما تتفوه به ألسنة الادباء من خطب وأحاديث .

واذا ما علمنا ان المضمون النهائي لكل ذلك النشاط هو الحرب على الاستعمار وأعوانه ، فاننا لا نجد بعد ذلك في مثل هذا الرأى ما يخالف الحقيقة والواقع .

• • •

3.8 — آراء الابراهيمي في تنمية القدرة الابراهيمية . الابداعية

ويدخل ضمن هذا المفهوم الواسع للادب ما اقترحه الابراهيمي سنة 1934م (9) ، وما نفذته بعد ذلك جمعية العلماء سنة 1935 م من سن قرار بـ ((اقامة عكاظ سنوى تتدرب فيه الناشئة الاصلاحية على الكلام في العموميات ، وتتمرن على الخطابة ومناحيها لتستعد للقيام بالدعوة والارشاد ، وان الخطابة لركن الاصلاح الركين)) (10).

ومعلوم ان مثل هذه اللقاءات تجنب الناشئة المواقف الصعبة التي يواجهونها عند تناولهم لموضوعات الكتابة او الخطابة ، وتعودهم على اقتحامها بسهولة ونجاح .

يقول الابراهيمي في هذا الموضوع: " ان أعصى ما يتعاصى على الكاتب والخطيب ضبط الموضوع ، اذ قد يطغى الموضوع على الكاتب او الخطيب، فتنفلت حواشيه فلا يملك لها جمعا ، وتند عن فكره أشياء واذا هو مقصر من حيث اراد الكمال ، مخطىء من حيث توخى الاصابة " (11).

---

(9) ينظر: (عرض الحالة العلمية) . الشهاب . ج 9 م 10 . ص : 389 .

(10) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص : 3 .

(11) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب . ج9 م10 . ص: 386 .

وهنـاك موضوع قريب من الموضوع السابق وهو علاقة مهنة التدريس – والاكثار من الدروس – بمقامات الكتابة والابداع الفني ، اذ يقارن الابراهيمي فيه بين نفسه وبين ابن باديس فيقول :" كثيرا ما كنت أسمع الاخ الرئيس يعتذر في مقامات الكتابة ودواعيها بأنه (مدرس) كأن التدريس وسماناته وأسلوبه واصطلاحاته ملكت عليه امره واضعفت منه ملكة الكتابة . وكنت أراه مع ذلك يأتي بالابداع اذا كتب فأقول : لو اني أكثرت من الدروس اكثاره لتفوت في الكتابة آثاره ، فلما أكثرت الدروس وساويته في عددها أو كدت تبلد طبعي وجمد فكري وجفت قريحتي وجاءت النتيجة معي بالعكس ، فعلمت ان كثرة الدروس قد تكون مددا يمد ،وقد تكون سدا اذا يسد وعوائق تصد" .(12)

---

(12) الابراهيمي : المصدر السابق ، ص : 386 ، 387 .

4 . 8 — آراء الابراهيمي في الاساليب الادبية .

ان الطريقة الادبية في الكتابة عند الابراهيمي هي أعلك الطرائق لنفوس القراء ، لان الاسلوب الشعري خفيف على أذواقهم .(13)

والكتابة الادبية كما يفهمها الابراهيمي تعتمد على الخيال اكثر مما تعتمد على الحقيقة ، وتعتمد على الخطابة اكثر مما تعتمد على البرهان ، وترمي الى الهاب الحماس في نفوس الناس اكثر مما ترمي الى تقرير الحقائق فيها .(14)

والابراهيمي يفرق بهذا الفهم بين الاسلوبين الادبي والعلمي ، بل انه ليسمي الادب علما عندما يتعرض في مكان آخر الى ما أثر من نثر القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، اذ يرى ان بعض رسائل الاخوانيات المأثورة عن تلك الفترة " تدل على مقام اصحابها في الادب ، ولا تدل على مقامهم في العلم ، اذ كانوا لا يسمون الادب علما ".(15)

ولمس الابراهيمي في مجال النثر الفني الحديث علاقة الخطابة بالتمثيل ودورهما في مجتمعات الامم الحديثة ،

---

(13) ينظر : (تصدير) السجل . ص : 72.

(14) ينظر : (العربية : فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية). ص : 11 .

(15) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب :ج 9 م10 .
ص : 390 .

فنظر الى هذين الفنين على انهما أخوان شقيقان ، وعلى أن دورهما في مجتمعات الامم الحديثة تربوي تهذيبي ، وأن منزلتهما من مقومات الاخلاق ، بمنزلة الطعام والشراب من مقومات الجسد .

" فما بنيت نهضة من النهضات الاخلاقية في الامم الحديثة الا وللتمثيل والخطابة في بنائها القسط الاوفر والحظ الاولى ". (16)

ويرى الابراهيمي ان مكانة الممثل لا تقل اهمية عن مكانة الخطيب ، كما ان موقع الرواية لا يقل منزلة عن موقع الخطابة ، فكلاهما بمنزلة واحدة : " الممثل خطيب اذا احسن تصوير المغزى وشخص الحقائق الغائبة للمشاهدين كالحاضر الشاهد ، وألبس الخيالات لباس الواقع المحسوس ، والخطيب ممثل اذا عرف كيف يقص الخبر وكيف يستخرج العبرة ، وكيف يسوق المؤثرات فيترك في نفوس سامعيه اعمق الاثر ". (17)

وما يمكن ملاحظته هنا هو ان الابراهيمي ، قد اكتفى من فني التمثيل والخطابة بالجانب الاخلاقي وحده ، دون ان يلتفت الى ان الفن الحق وان كان لا ينافي الاخلاق الا انه ليس هو الاخلاق ، فقد يدعو الخطيب الى غير الاخلاق ولكنه مع ذلك قد يكون خطيبا ناجحا . وقد يكون دور الممثل لا اخلاقيا ، ولكن ذلك لا ينفي عنه النجاح في التمثيل ، بل قد يصل الى قمة النجاح في ذلك .

---

(16) الابراهيمي : (الخطابة والتمثيل) . مقتطفة من خطاب للاستاذ الابراهيمي) . الشهاب : ج 3 م 6 . ذو القعدة 1348 هـ . افريل 1930م . ص: 148 .

(17) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 148 .

5 • 8 — آراء الابراهيمي النقديـــة :

ينتقد الابراهيمي شعر القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين فيراه لغوا من الحديث ، لانه منقطع الصلة بالشعر في اعاريضه وأضربه ، ومنقطع الصلة بالعربية في الفاظها ومعانيها ، ومنقطع الصلة بالخيال في تصرفه وانتزاعه ، وهو لذلك يجعل تلك الاشعار أختا للاشعار الملحونة في عهده . وعنده ان الاشعار الملحونة تفضل أشعار القرنين (12 ، 13 هـ) في ان منها ((ما يفيض حكمة وحثا على الفضائل والكمالات ، وتخويفا من الله والآخرة ... ومنها ما يتضمن المغازي والسير وان كان معظمه كذبا .)). (18)

وهكذا تظهر في مجال الشعر — كما ظهرت في ميدان النثر — نظرة الابراهيمي الاخلاقية الى الفن الادبي ، فهو يريد من الشعر — لكي يكون شعرا حقيقيا — بالاضافة الى الخصائص العمودية ، ان تكون الحكمة والحث على الفضائل والكمالات ، والتخويف من الله والآخرة — هي الموضوعات التي يتناولها .

وفي الوقت الذي يرتاح فيه الابراهيمي الى الاشعار الملحونة في أيامه لاشتمالها على الفضائل السابقة — على عكس أشعار القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين — فانه يأخذ عليها عدم صدق معظم ما تتضمنه من المغازي والسير .

ونظرة الابراهيمي الى وجوب (الصدق) في الشعر تشمل (الشعر الملحون وغير الملحون) ، اذ نجده يلمح بالارتياح لهذه الخصوصية في شعر محمد العيد آل خليفة ، وينسبها الى خاصية (صدق الايمان) الملازمة لهذا الشاعر في كل حين وذلك بقوله :

---

(18) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب : ج 9 م 10 • ص: 390 .

((ومن يعرف محمد العيد ويعرف ايمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الاسلامية يعرف أن روح الصدق المتفشية في شعره ، انما هي من آثار صدق الايمان وصحة التخلق ، ويعلم أنه من هذه الناحية بدع في الشعراء [19] .))

غير ان الابراهيمي لا يرتاح لسمة (اليأس) التي تلمح في شعر هذا الشاعر ، اذ يقول : ((طالما سمعت منك كلمة اليأس وبودي ألا أسمعها منك مرة أخرى ، لأني اعدها غميزة في شاعريتك [20] .))

ولولا أن الابراهيمي يؤمن بوجود شذوذ في نفوس الشعراء هو من طبيعتهم ، حتى كأنه من معاني كمالهم - لما صدق باجتماع الشعر واليأس .

((وكيف ييأس الشاعر وهو ملك مملكة الآمال وسلطان جو الخيال ، فان كان تئيسا رجع من رجاء الله الى ما لا يحد له أمل - فكيف تيأس نفس الشاعر لولا ذلك الشذوذ ؟ [21])) .

لكن الابراهيمي يضيف الى طبيعة الشعراء الاتئياء - فضلا عن طبيعتهم الشعرية - وجود نسب وثيق بينهم وبين التعقيد ، ومن هنا فان نفوس هذا النوع من الشعراء، في رأيه :" يتقاضاها الشعر انطلاقا ، ويتقاضاها التقى تقييدا [22])) .

---

(19) الابراهيمي : (القصيدة الخامسة ، قصيدة الاستاذ محمد العيد آل خليفة) . الشهاب ج4 م14 . ص : 268 .

(20) الابراهيمي : (بين شاعر وعالم : كتاب السالم .) . الشهاب ج3 م12 ص : 135 .

(21) الابراهيمي : المصدر السابق . ص: 136 .

(22) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 135 .

ولا يرضى الابراهيمي عن هذه الناحية في شعر محمد العيد ، ولذلك فانه يدعوه — وهو تلميذه وصديقه — الى ان يكون متفائلا وسمحا ، اذ يقول : ((لقد قال اولكم : حراك مناك اذا اغتممت فانس مراق .

وما قالها لغيره الا بعد ان جربها في نفسه . فلا تيأس يا بني ولا تكذب امامك الذى يقول : خلق الشاعر سمحا طربا .)) (23)

وفيما عدا ذلك فان الابراهيمي كان يرى في الشاعر محمد العيد شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة وامير شعراء الجزائر وشاعر الشمال الافريقي بلا منازع . (24)

وكان يرى في شعره مسجلا صادقا للنهضة الجزائرية وعرضا رائعا لا لوارها .

ومن الناحية الفنية كان الابراهيمي يرى في هذا الشاعر أكمل الشعراء الجزائريين أداة وأخصبهم ذهنا في فن الشعر فهو ((شاعر مستكمل الادوات خصب الذهن رحب الخيال متسع جوانب الفكر ... بصير بدقائق استعمالات البلغاء ، فقيه محقق في مفردات اللغة علما وعملا .)) (25)

ولم يرق احد من الشعراء الجزائريين عند الابراهيمي في هذه الفترة الى مرتبة الشاعر محمد العيد ، فقد قال

---

(23) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 136 .

(24) ينظر : (القصيدة الخامسة : قصيدة الاستاذ محمد العيد آل خليفة .) . الشهاب : ج 4 م 14 . ص : 268 . وينظر كذلك : (تقديم الدكتور احمد طالب الابراهيمي) لكتاب : عيون البصائر . ص : 5 .

(25) الابراهيمي : (القصيدة الخامسة : قصيدة الاستاذ محمد العيد آل خليفة) . الشهاب : ج 4 م 14 . ص : 268 .

عن الشاعر مبارك جلواح العباسي انه : " قليل العناية بالصقل والتمحيص ، ومن عنا جاء ما يرى في شعره من اسناد بعض الكلمات الى ما لا يلائمه ، ومن عدم الانسجام في بعض التراكيب ، ومن نبو بعض المفردات في جملها ، ولو أنه ملك زمام القواعد وراض نفسه على اجادة السبك بممارسة كلام الفحول لكان منه للجزائر شاعر أى شاعر." (26) .

وقال عن الشاعر عمر بن البسكرى العقبي انه شاعر يملك طبيعة الشعراء ومواهبهم ولكنه يفتقر الى أدواتهم .

((والشيخ عمر يقرض الشعر في المناسبات المتصلة بفنه فيرسله ملونا بعاطفته متأثرا باحساسه عامرا بالمعاني ، ويغفل عما وراء ذلك من احكام الصنعة وسياسة التراكيب ... ولو أن الشيخ عمر اعطى كتب الادب ودواوين الشعر من العناية مثل ما أعطى كتب فقه السنة لا ستحكم سبكه وفحل شعره وجزلت تراكيبه .)) (27) .

وانتقد الابراهيمي ضعف استكمال الادوات وقلة القراءة عند الشاعر السعيد صالحي اليعلاوى فقال انه : ((كغالب اخوانه قالة الشعر بهذه الديار ينقصه استعراض أساليب البلغاء وتمرين القريحة على محاكاتها ، وتيقظ الذهن الى اسرار فقه اللغة ومواقع فصحها ،

---

(26) الابراهيمي : (القصيدة الثانية : قصيدة الاستاذ مبارك جلواح العباسي) . الشهاب ج 4 م 14 . ص : 255 .

(27) الابراهيمي : (القصيدة الثالثة : قصيدة الشيخ عمر بن البسكرى العقبي) . الشهاب : ج 4 م 14 . ص : 258 .

ومجانبة الرخص النحوية ، وتحكيم استعمالات الفصحاء في القواعد النظرية . وعسى ان تكون كلمتنا هذه حافزة لهممهم فما أردنا بها الا ذلك)) (28) .

والحق ان الابراهيمي قد نبه كثيرا الى نقيصة تلك القراءة هذه ، فقد اعتبرها عيبا مزريا في العلماء والادباء ، وكسلا خطيرا في الطلبة والناشئين . كما نبه الى انها احدى دواعي ضعف الحالة العلمية في الجزائر في الثلاثينيات .

((ومازلنا ننعى على علمائنا وأدبائنا هذا الكسل المزرى عن القراءة ، ونرد اليه كل ما يظهر في انتاجهم من ضعف ونقص)) (29) . و ((ان شبابنا المتعلم كسول عن المطالعة ، والمطالعة نصف العلم أو ثلثاه ... واذا كنتم تريدون الكمال فالمطالعة احدى سبل الكمال)) (30) .

ولا نجد للابراهيمي في هذه الفترة شيئا عن نقد الادب العربي القديم ما عدا اشارة عابرة أخذ فيها على المتنبي ايمانه بفكرة التمايز بين السادة والعبيد ، وفضل عليه في هذه القضية فيلسوف المعرة الذى نسخ تلك الشريعة الجائرة ، وبشر بدلا منها بشريعة الاخوة السمحاء بين البشر أجمعين (31) .

---

(28) الابراهيمي : (القصيدة الرابعة : قصيدة الشيخ السعيد صالحي اليعلاوى) . الشهاب : ج 4 م 14 . ص: 261 ، 262 .

(29) الابراهيمي : (القصيدة الثالثة : قصيدة الشيخ عمر بن البسكرى العقبي) . ص : 258 .

(30) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب : ج 9 م 10 . ص : 402 .

(31) ينظر : (الانسانية : آلامها واستغاثتها) . الشهاب ج1 م6 . ص: 11 .

9

المؤثرات الأخلاقية في المجتمع

1 . 9 — تمهيد :

ان الاصلاح كما يفهمه أعضاء جمعية العلماء هو الاصلاح العام الشامل . غير أنهم ابتدؤوا اصلاحهم من الدين ، لانهم رأوا فيه المدخل الضروري الى اصلاح العقل والى اصلاح الخلق ، الذي هو الاساس في كل اصلاح.(1)

وهكذا ، لم يكن فهمهم للدين فهما ضيقا محدودا ، وانما كان الدين عندهم منهجا لسعادة الانسان في الدنيا والآخرة .

ولا يسعد الناس في حياتهم الاجتماعية الا اذا عاشوا في وفاق وانسجام ، ولا يكون ذلك الوفاق والانسجام في غيبة نظام تربوي اخلاقي يوجه الناس — عند اقتناعهم به — الى فعل الصالح المفيد ، وينهاهم عما يسيء الى الافراد الآخرين .

والمؤثرات الاخلاقية في المجتمع — سلبا أو ايجابا — هي موضوع هذه الفقرة من حيث كون هذه المؤثرات انسانية عامة ، أو دينية اسلامية ، أو من حيث دورهما معا في قيام المجتمع الصالح .

---

(1) ينظر : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب ج 9 م10 . ص : 387 .

2 . 9 — المؤثـرات الانسانيـة .

وقف الابراهيمي بصلابة في وجه الاستبداد ، لانه يحكم القوة في كل شيء ، ولانه لا يلد الا الاباحية . والاباحية شر من الاستبداد ، لانها تحكم الهوى على العقل ، فيستحيل بذلك الحق باطلا .

كما وقف الابراهيمي كذلك ضد سنة التمايز والاستئثار ، ورأى ان بعض جوانب الحضارة الحديثة كانت سببا في بعثها من جديد ، وذلك عندما جعلت صاحب رأس المال يستغل العمال في تنمية ثروته دون ان يهتم بظروفهم في العمل او في المجتمع .(2)

والطبع الانساني لا يخلو — في رأى الابراهيمي — من هنات رافقته في تاريخه الطويل ، وكانت تلك الهنات أما للمفاسد التي وقع فيها الانسان في مراحل تطور حياته ، فالوهم والتقليد — مثلا — كانا باستمرار سببا في التضليل وتشويه الحقائق . والعصبية ، وليدة الانانية وحب الذات ، كانت سببا في تمزيق الجماعات والمجتمعات.(3)

فالمسلمون — مثلا — قد خسروا اخلاق الاخوة والوحدة والتضامن التي أوجدها الاسلام بينهم ، وذلك عندما تعصب فريق منهم للجنس ، وتعصب فريق آخر للرأى ، وتعصب فريق ثالث للاشياخ .. وبذلك أصبح المسلمون فرقا ودولا ، بعد ان كانوا أمة واحدة.(4)

---

(2) ينظر: (الانسان أخو الانسان) . الشهاب : ج 8 م5 . ربيع الثاني 1348هـ . سبتمبر 1929م . ص : 7 وما بعدها .

(3) ينظر : المصدر السابق . ص : 7 وما بعدها .

(4) ينظر: (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 4 . ص : 4 .

وكانت أعمال الملوك والرؤساء وعلماء السوء في القديم والحديث سببا فيما دخل او أدخل على اخلاق المسلمين وعاداتهم من وهم وتقليد في مناحي حياتهم المختلفة ، وفي بيئاتهم المتباعدة ، حتى اصبحت مجتمعاتهم ... تعرف الدخيل - من العادات والاخلاق - وتتنكر للاصيل منها (5) .

وقد رأى الابراهيمي في العادات والاخلاق الدخيلة استعمارا روحيا لا يقل الاستعمار المادي عنه شيئا ، وضرب لذلك أمثلة من الاحتفالات الدينية التي كان الرسميون من رجال الدين يشجعون عليها ، وخصوصا في مصر والجزائر - مع انها لم تكن تمت الى الدين بسبب .

كما هاجم الابراهيمي تقليد المثقفين المصريين - في تلك الفترة - للغربيين في احتفالاتهم بأعياد المسيحيين ، واهمالهم لاعياد المسلمين (6) .

ورأى ان ذلك كله ليس من الاسلام في شيء ، ((وانما هو انحراف مزاج ، سببه سوء فهم ، أو غلبة وهم ، أو عدوى طباع ، أو هو تقليد واتباع .)) (7) .

وبالاضافة الى ما سبق ، فقد نادى الابراهيمي بان يحل العدل والمساواة محل الاستبداد والاباحية والوهم والتقليد (8) .

كما نادى بان يستعمل العاقل عقله في نطاق الدين والوجدان والقومية (9) .

---

(5) ينظر : المصدر السابق . ص: 3 ، 4 .

(6) ينظر : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب جـ4 م14 . ص : 174 .

(7) الابراهيمي : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبويةالمحمدية . العدد : 4 . ص: 4 .

(8) ينظر: (الانسان اخوالانسان) . الشهاب جـ8 م5 . ص: 7 وما بعدها .

(9) ينظر: (محاضرة الاستاذ الشيخ البشيرالابراهيمي، في 7 رمضان 1347هـ بنادي الترقي بالعاصمة .) الشهاب جـ7 م5 . ربيع الاول 1348هـ - اوت 1929م . ص : 7 وما بعدها .

ورأى ان في صور الموجودات وفي قوانين كمالها او نقصها ما يجعل الانسان العاقل قادرا على انتزاع قوانين كماله أو تجنب أسباب نقصه .

وما عقل الانسان - في رأي الابراهيمي - الا وسيلة للتصرف والاختيار ، وسبيل الى النقص أو الكمال .

وكلما زاد العقلاء في الامة - أو الامم - زاد كمالها ، وكلما زاد كمالها زادت حيويتها . وكذلك الامر في تدهور الامة - أو الامم - ونقصان حيويتها ، فانه لا يكون الا نتيجة لاختلال عقول افرادها .(10)

. . .

9 . 3 - أثر الدين في صلاح الاخلاق .

يقول الابراهيمي ان التاريخ قد شهد أن :" سلف الامة الاسلامية ما لبسوا حاشيتي السعادة الا بالاسلام وما كانوا أساتذة الكون الا بهديه ... ولا كانت لهم المشارق والمغارب الا بالتأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ".(11) وكان لذلك السلف فضل نشر الاخلاق الاسلامية ، كما كان رائدهم في ذلك قوله تعالى : ((كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب)) .(12)

---

(10) ينظر : (تصدير) السجل .ص: 85 ، 86 .

(11) الابراهيمي : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 4 . ص : 3 . عمود : 1 .

(12) آية 29 ، سورة : (صاد)

ويرى الابراهيمي ان هذه الاخلاق العربية الاسلامية المأخوذة من القرآن هي انفس ما خلف لنا الاسلاف.(13)

كما يرى ان حرص الاسلام على الاخلاق الفاضلة في المجتمع هو الحكمة من وراء الحاح القرآن الكريم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا العنصر وحده في الاسلام — في رأى الابراهيمي — كاف للدلالة على ان هذا الدين دين اجتماع وعمران وحياة وبقاء.(14)

وفي اعتقاد الابراهيمي ان (ضعف) المسلمين في حياتهم وضعفهم امام اعدائهم ، لم يكن الا نتيجة (لضعف) اخلاقهم وضعف عزائمهم ، ولذلك لا يمكن ان تصح اخلاق المسلمين وتقوى عزائمهم الا بالعودة الى القرآن واخلاقه.(15)

يقول الابراهيمي حول هذا الموضوع ، مخاطبا اعضاء جمعية العلماء في اجتماعها السنوى الثالث :

" اختلت الاخلاق وفي اختلالها البلاء المبين ، وان الاخلاق في دينكم هي شعب الايمان ، فلا يختل خلق الا وتضيع من الايمان شعبة . وقد اجمع علماء الامم على هذه الحقيقة التي قررها الاسلام بدلائله وأصوله وهي : ان الامم لا تقوم ولا تحفظ وجودها الا برسوخ الاخلاق الفاضلة في نفوس افرادها ".(16)

---

(13) ينظر: (محاضرة الابراهيمي في 7 رمضان 1347 هـ بنادى الترقي بالعاصمة) . الشهاب جـ6 م5 . ص : 7 .

(14) ينظر : (الجمعية : دعوتها وغايتها) . الشهاب جـ9 م9 . ص: 351 .

(15) ينظر: (تصدير) السجل . ص: 13 .

(16) الابراهيمي : (الجمعية : دعوتها وغايتها) . الشريعة . العدد : 4 . ص : 2 . عمود : 2 .

وفي اعتقاد الابراهيمي ، أن اختلال الاخلاق ينتج عنه اختلال في العبادات ، وباختلال العبادات تفقد النفوس الآثار الجليلة التي تنبعث عن العبادات ، والتي هي الباعث الاكبر على الكمال الروحي والاطمئنان النفسي للانسان .(17)

ومن هنا فقد دعا الابراهيمي الى ترقية اخلاق المجتمع الجزائري ، ورأى أن أيسر السبل لذلك هي : التربية المنزلية المبنية على اخلاق الاسلام . وفي اعتقاده أن المسلمين هم أقدر الامم على تهذيب أخلاق أبنائهم ، لان لهم من التراث الاخلاقي الاسلامي في منازلهم ما يساعدهم على ذلك .(18)

---

(17) ينظر : المصدر السابق . ص : 2 . عمود : 1 .

(18) ينظر: (محاضرة الابراهيمي في 7 رمضان 1347 هـ بنادي الترقي بالعاصمة: الحلقة : 2) . الشهاب جـ6 م5 . ص : 7 .

4 . 9 — لا يقوم المجتمع الا بصلاح الاخلاق .

اذا كان لابن باديس مجلس خاص تحت اسم ((مجالس التذكير)) كان يفسر من خلاله القرآن للناس ، وينشر بعض هذه المجالس في افتتاحية مجلة الشهاب بالاسم نفسه ، فان الابراهيمي قد آمن كذلك بأن ((التذكير ما يزال في كل طور من اطوار الانسانية مددا روحانيا يثير الخامل الى العمل ، ويحث العامل على مواصلة العمل))[19].

فقد كان الابراهيمي يقوم بهذا الدور قبل تأسيس الجمعية ،اذ دعا مواطنيه الى ان حاجتهم الى الاخلاق تفوق حاجة الامم الاخرى - التي هي أرقى منهم - اليها ، كما بين لهم ان الواجب على مجتمعهم - الذى كانوا ينشدون توحيده - أن يبذل مجهودات قوية لرفع درجة اخلاق افراده[20].

ودعا الابراهيمي الجزائريين كذلك الى الاستماع الى النصائح التي كانوا يتلقونها منه ، ومن بقية افراد العلماء المصلحين ، بالعودة الى الحق والابتعاد عن مرض النفوس من الطرقيين وغيرهم . وكان يحثهم - في تلك الفترة -[21] على ان يكونوا رجالا في كل شيء ، لا أن يكونوا صبيانا في صورة رجال على حد تعبيره[22]. ونبه مواطنيه أيضا الى العناية بالناشئة الجزائرية ، وتعليمها أدب النفس،

---

(19) الابراهيمي : (محاضرة الابراهيمي في 7 رمضان 1347 هـ بنادى الترقي بالعاصمة ، الحلقة : 1) . الشهاب جـ 5 م5 . محرم 1348هـ. جوان 1929م . ص : 7 .

(20) ينظر : (محاضرة الابراهيمي السابقة ، الحلقة : 2) . الشهاب جـ 6 م5 . ص : 7 .

(21) صيف سنة 1929م.

(22) ينظر : (محاضرة الابراهيمي في 7 رمضان بنادى الترقي الحلقة : 3) . الشهاب جـ7 م5 . ص : 8 .

وقد كانت احوج ما تكون اليه رتعليمها الاخلاص الذى هو سبيل النجاح في الحياة ، وتعليمها الصبر الذى هو علية الفلاح وقوام الحياة كلها (23) .

كما نبه مواطنيه كذلك الى فضيلة الاعتماد على النفس ، لان الاعتماد على النفس هو اساس الحياة الاستقلالية للافراد والجماعات (24) .

ودعا الابراهيمي الى ان اشرف غاية في الحياة هي اداء الواجب الاجتماعي ، والى أن الحازم من الناس في الحياة من لم يرض لنفسه أخس المنازل .

" وأخس المنازل للرجل منزلة القول بلا عمل ، وأخس منها ان يكون الرجل كالدفتر يحكي ما قال الناس وما فعل الناس دون ان يكون له سهم فى الاعمال الصالحة أو الآراء المصيبة " (25) .

كل ذلك كان الابراهيمي يدعو اليه ويحث عليه قبل تأسيس الجمعية ،

أما عند تأسيسها فقد أوجدت القيادة الاصلاحية خطة تهدف الى انقاذ الامة عما كانت عليه من فساد في الاخلاق ، ومن تدهور في مناحي حياتها ، وكانت تلك الخطة مبنية على قديم ديني مستقيم ، وعلى جديد دنيوى واضح .

---

(23) ينظر : (خطبة الاستاذ الشيخ البشير الابراهيمي في حفلة تابين فقيد العلم المرحوم الاستاذ ابن شنب) . الشهاب : ج 4م5 . ص : 8 ، 9 .

(24) ينظر : المصدر السابق . ص: 9 .

(25) الابراهيمي : (محاضرة الاستاذ الشيخ البشير الابراهيمي بنادى الترقي بالعاصمة : الحلقة : 3) . الشهاب ج7 م5 . ص : 9 .

وقد رأت الجمعية انه لا يستقيم لها عمل ناجح فيما هي مقدمة عليه الا مع تهذيب الاخلاق التي كان عليها المجتمع الجزائري آنئذ .(26)

ومن الامور التي كانت الطرقية تشيعها ، وجدت الجمعية منذ تأسيسها في محاربتها : ((التزهيد في العلم ، وافساد الفطر ... وقتل الفضائل النفسية ، وازالة الثقة بالنفس من النفس ، وتضعيف المدارك وتخدير المشاعر ، وهي كلها رذائل لا تجتمع واحدة منها مع ملكة علمية صحيحة . فكيف بها اذا اجتمعت ؟

فكان من الحكمة (اذن) ان تبتدئ الجمعية بتطهير النفوس من هذه الرذائل)) .(27)

وبعد ان خاضت جمعية العلماء حربا عنيفة ضد الطرقية وضد جميع مفسدي اخلاق المجتمع ، وصلت الى مرحلة كانت اهم ميزاتها :

((اقتران العلم بعزة النفس ، والعزوف عن الدنايا والتخلق بمحامد الاخلاق ، واظهار صولة العلم في مواقف الدفاع عن الحق ، وهي صفات لازمة للعلم ... وان جمعية العلماء تفتخر بأن هذه الميزة الاخلاقية هي الصفة الغالبة على رجالها)) .(28)

---

(26) ينظر : مقال : (من آثار المؤتمر : لا يبنى مستقبل الامة الا الامة) . البصائر . السنةالاولى . العدد : 26 . ص : 5 . عمود : 2 .

(27) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب ج9 م10 . ص: 388 .

(28) الابراهيمي : المصدر السابق . ص: 400 .

وهناك جانب آخر يمكن الاستدلال به ايضا على ما وصل اليه تأثير نشاط جمعية العلماء في اصلاح اخلاق المجتمع - هو ذلك المظهر الذى ظهر به المجتمع القسنطيني في احتفال ختم ابن باديس للقرآن الكريم صيف 1938م (29) :

فقد كان سكان المدينة يتركون اماكنهم في المساجد، وفي قاعة الاحتفال بكلية الشعب، للضيوف من وفود المدن الاخرى .. هذه ناحية . وناحية اخرى هي ان سكان المدينة كانوا يتهافتون على وفود المدن الاخرى . قصد ايوائهم واستضافتهم . بالاضافة الى ان الاحتفال قد اتصف بالهدوء الشامل على الرغم من شدة الازدحام، وضيق المدينة ، وقلة الامكانيات .. فذلك كله دليل على أن الاخلاق الدينية التي بثتها الجمعية في نفوس المواطنين قد آتت ثمارها ، كما انه دليل على ان التربية الصالحة هي خير سبيل لترقية النفوس لانها تنبع من الذات الانسانية التي لاتحتاج في هذه الحال الى رقيب ، فالضمير الحي هو الرقيب الاول والاخير.

---

(29) ينظر : وصف الابراهيمي لهذا الاحتفال في مقال : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب : ج 4 م 14 . ص ص : (177 ، 185) .

1 . 10 - تمهيد :

تهدف معظم الانشطة التي قام بها الابراهيمي الى الاصلاح الاجتماعي بمعناه الواسع . والابراهيمي كغيره من اعضاء جمعية العلماء كان يؤمن بأن أى اصلاح اجتماعي أو علمي يأتي بعد الاصلاح الديني .

وقد حاولنا في الفترات السابقة أن نتتبع فكر الابراهيمي الاصلاحي في الدين وفي التعليم وفي غيرهما ..

وبقي أن نحاول الآن معرفة مفهوم الابراهيمي للاصلاح الاجتماعي .

2.10 - مفهوم الابراهيمي للاصلاح الاجتماعي .

ان الاجتماع في عرف الابراهيمي هو (الاتحاد) ، والاتحاد يؤدي الى (القوة) ، لان الاعمال التي لا يستطيع الافراد انجازها ينجزها (المجتمعون) من الناس بدون عناء[1] .

وهذا النوع من الاجتماع هو الذي كان ينشده الابراهيمي للجزائريين ، فقد كان يرى انه على الجزائريين ان يكونوا اجتماعا يتلاءم مع الحياة العامة في العموميات ويلتئم مع الحياة الخاصة في الخصوصيات الوطنية . وان ألزم لوازم هذا (المجتمع المنشود) هي : الدين والاخلاق والعلم والمال[2] .

فقد كان الابراهيمي يرى انه اذا استطاع (اجتماع الجزائريين) ان يتمكن من قمع الجرائم المفسدة لاخلاقهم فانه يكون قد جنى أحسن الثمرات .

وفكرة الابراهيمي حول الاجتماع والتعاون بين اجزاء المجتمع هي نفس الفكرة التي كان ينادي بها ابن باديس في تلك الفترة ايضا ، فقد كان يقول :" الناس في حاجة مشتركة الى بعضهم ، وما من أحد الا وله حقوق على غيره ، ولغيره حقوق عليه . ولهذه الحاجة المشتركه والحقوق كان الاجتماع والتعاون ضروريا لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه .

---

(1) ينظر : (محاضرة الاستاذ الشيخ الابراهيمي بنادي الترقي بالعاصمة : الحلقة : 1) . الشهاب ج 5 م 5 . ص : 7 .

(2) ينظر : المصدر السابق . ص: 7 ، 8 .

وقيام كل واحد من افراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره ، هو الذى يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس . وعندما يؤدى كل واحد حق غيره فليست خدمته له وحده بل هي خدمة للمجتمع كله (3) .

ودعا الابراهيمي الى ان يتآزر الجميع من اغنياء وكتاب ومعلمين في الدعوة الى التعاون بين افراد المجتمع (4) وحذر الجميع بأن مصيرهم الى الضياع اذا لم يتحدوا ويعملوا من اجل هدف واحد ، وبأن قوتهم لا تكمن في (كثرة العدد) وانما تكمن (في الاتحاد والعمل) . يقول في ذلك :"

" انا لا اعتقد من هذه الامة بملايينها الستة ، وهي على هذه الحالة التي نراها عليها من التفكك والتخاذل ... ولا اعتقد من عناصر الحياة فيها الا بهذا العنصر الذى بدأ يتكون حول عقيدة واحدة ومبدأ واحد .. عالما ان الحياة في الدنيا للعاملين ، وان العاقبة في الآخرة للمتقين ، وأن سنة الله كفيلة بذوبان العناصر الضعيفة كلها ، وسيغتالها الجوع العقلي لانها لم تعلم ، وسيغتالها الجوع البدني لانها لم تعمل ، فلا يبقى الا هذا العنصر المستعد للبقاء (5) ".

فالمجتمع القوى – اذن – هو المجتمع المتحد ، والوحدة تكون في المبادىء وتكون في الاعمال . وقد رأينا في الفقرات السابقة أن أساس وحدة المبادىء ووحدة الاعمال هو (الدين) ، فمنه تتفرع كل اسباب القوة.

---

(3) عبد الحميد بن باديس : ابن باديس حياته وآثاره . عمار الطالب . ج 1 . ص: 239 .

(4) ينظر: (محاضرة الاستاذ الشيخ البشيرالابراهيمي في نادى الترقي بالعاصمة : الحلقة: 3) . الشهاب ج7 م5 . ص : 7 .

(5) الابراهيمي : (ملخص خطاب الاستاذ الابراهيمي) . الشهاب ج9 م10 . ص: 417 .

ويهمنا ان نشير هنا الى آراء الابراهيمي في (الزعامة الدينية) ودورها في النهضات الاجتماعية ، والاساليب المختلفة التي يتبعها المصلحون . وقد وردت هذه الاراء في ثنايا حديثه عن علاقة العلماء بالحكام والسلطة عموما .

فالابراهيمي يقرر ان الجزائر لم تعرف - قبل جمعية العلماء - زعامة علمية حقيقية ، و((أن النهضة العلمية كسائر النهضات لا تبنى الا على اساس (الزعامة) ، وان جميع ما يعترض النهضات من بسط واسراع تابع لوضع الزعامة ومستقرها)) . (6)

واذا لاحظنا ان الزعامة العلمية المقصودة هنا هي الزعامة في علم الدين ، وان الدين عند الابراهيمي والمصلحين من أمثاله لا ينحصر في امور الآخرة دون أمور الدنيا ، ولا في المعارف العقلية دون السلوك العملي ادركنا ان زعامة جمعية العلماء كانت زعامة اجتماعية كاملة . ومن هنا كانت اجتماعات الجمعية تسمى اجتماعات الامة ، كما ان المؤتمر الذى عقدته الجمعية سنة 1935م سمته مؤتمر الامة .

وكان لدعاة الاصلاح في دعوتهم عموما ، وفي هجومهم على الطرقيين خصوصا - رأيان : اما تمهيد السبيل للاصلاح ، باعداد جيل من المصلحين والدعاة ، وصاحب هذا الرأى هو الابراهيمي . واما الهجوم المباغت على الطرقيين ، وصاحبه ابن باديس .

وقد سلك المصلحون لتنفيذ الرأى الثاني - الذى تغلب انصاره - طريقين : طريق النشر في صحف الجمعية ، وطريق التعليم . (7)

---

(6) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب، ج9 م10 . ص: 398 .

(7) ينظر : (تصدير) السجل . ص : 43 ، 44 .

وقد عرفنا فيما سبق (الفقرة الخامسة) ان النشاط التعليمي الذى اضطلعت به الجمعية ، وقام به الابراهيمي في الغرب الجزائرى خير قيام ، لم يقتصر على تعليم الصغار ، اذ ان اسلوب " الهجوم الشامل " كان يقتضي الاتجاه الى الكبار أيضا ، في دروس القراءة والكتابة ، ودروس الوعظ والارشاد ، كي ينتظم المجتمع الجزائرى بجميع اجياله ، وفي اقرب وقت ، تحت راية الاصلاح الاجتماعي بمختلف جوانبه .

...

10.3 - الاحتفالات .

ومن الوسائل التي اعتمدت عليها الجمعية للتمكين لدعوة الاصلاح الاجتماعي بين الجزائريين اقامة الاحتفالات التي يرى الابراهيمي ان قيمتها تتفاوت بتفاوت المناسبات التي تقام لاجلها ، فهي ادوات تعارف وتواصل بين المسلمين تقوى آداب الاجتماع بينهم وترقي أفكارهم ، ثم هي مجال لتكوين الدعاة لارشاد الجمهور .

وارفع مناسبات الاحتفالات فيما يرى الابراهيمي هي ما يذكر بالمفاخر القديمة ، وما يجلو حقيقة دينية أو علمية ، وما يحقق للشعب مصلحة في الحياة مجهولة ، ثم ما يكشف للناس عن وجوه الاصلاح الاجتماعي ليعملوا له ، وعن وجوه الفساد ليتقوه .

والاحتفالات الحقة هي تلك التي ينساق اليها الناس بسائق وجداني ، وليست تلك التي يساقون او يدفعون اليها (8) .

---

(8) ينظر : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب ج 4 م 14 .
ص: 168 .

وهناك جانب اجتماعي آخر عالجه الابراهيمي وهو: الكلام في (الجوهري والعرضي) من مشخصات الامم ، اذ يرى ان العرضي يتحول ويزول ، والجوهري هو الذى لا بد للفرد ولا للجماعة في تكييفه ، وهو الصالح للبقاء . كما يرى ان المحافظة على جوهر الامة محافظة على قوميتها ان تتداعى . وألزم شيء لبداية نهضات الامم هو المحافظة المذبذبة ، لانها في رايه ، تتقي الامة من الذبذبة التي هي وليدة الطفرة .(9)

وعند الابراهيمي ان الامة الجزائرية التي سلبها الاستعمار مقومات الحياة في تلك الفترة كانت - مع ذلك - تحمل ما تحمله الامم الاخرى من المقومات الكلية ، وهي قطعة من المجموعة الاسلامية العظمى من جهة الدين ، وهي ثلة من المجموعة العربية من حيث اللغة التي هي لسان الامة والدين معا .(10)

" وان في نفس هذه الامة لقبسا من الحياة يشع منه نورها فاذا هي مهدية ، وتنقدح منه نارها فاذا هي قوية ، وان هذا القبس لا يخبو مادام الاسلام والعربية ".(11)

---

(9) ينظر : (خطبة الابراهيمي في حفل تأبين ابن شنب) . الشهاب ج4 م5 . ذو الحجة 1347هـ . ماى 1929م . ص: 8 .

(10) ينظر : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 4 . ص: 1 . عمود : 1 .

(11) الابراهيمي : (المؤتمر الاسلامي الجزائري مظهر اتحاد الامة وقوتها) . البصائر . السنة الثانية . العدد : 67 . الجزائر . يوم الجمعة 3 ربيع الاول 1356هـ . 14 ماى 1937م . ص: 1 . عمود : 3 .

10.4 - المـــــال .

يرى الابراهيمي ان التعليم والنشاط الاجتماعي بجميع أشكالــه ، بل الاعمال الاجتماعية على اختلاف انواعها لاتقوم بغير المال . فالعلم والمال اصبحا شقيقين بحيث لا يطمح طامح الى الحياة السعيدة بدونهما .(12)

وكان المال في فترة بداية هذه الدراسة من اكبر العقبات في طريق الجزائريين الى العلم ، بالاضافة الى عرقلة الاجنبي لنشاطهم العلمي والاجتماعي جميعا .

ولذلك فقد دعا الابراهيمي الى جمعيات منظمة تقوم بجمع المال للمؤسسات التعليمية وكان يرى ان التجربة اثبتت ان الاعمال الجماعية في جمع المال وتنميته اكثر افادة من الاعمال الفردية . ودعا في هذا المجال الى طرح أساليب التنمية العتيقة واستبدالها بأساليب جديدة مثل تأسيس شركات التعاون بين الفلاحين ، وتأسيس شركات اخرى بين التجار ، ثم تأسيس مصاريف مالية صغيرة تكون واسطة بين الجميع وتكون مستودعا للاموال المعطلة ومرجعها لصناديق التوفير والاحتياط التي يجب ان تصحب هذه الحركة .(13)

ويرى الابراهيمي انه اذا كان العلم يتأثر بالمزاحمة الاجتماعية فتكون النتيجة ايجابية باستمرار فان المزاحمة في المال قد تضر وقد تنفع ، ولذلك فهو يحذر مواطنيه من ان في سوق المال رماة ، وعليهم الا يكونوا الهدف . وكما حذرهم

---

(12) ينظر : (محاضرة الابراهيمي في 7رمضان 1347 هـ بنادي الترقي بالعاصمة : الحلقة : 2 .) . الشهاب ج6 م5 . صفر 1348هـ . جوليت 1929م . ص: 9 .

(13) ينظر : (محاضرة الابراهيمي السابقة : الحلقة : 3) . الشهاب ج7 م5 . ربيع الاول 1348هـ . اوت 1929م . ص: 7 ومابعدها .

من الوقوف في الاستثمار المالي عند طرائق الآباء والاجداد ، فانه حذرهم كذلك من القناعة المجيعة في سبيل المزيد من كسب المال (14) .

ونظر الابراهيمي في هذا المجال الى معضلة خطيرة نشأت من اتصال العالم وازدحامه : تلك هي معضلة الاغنياء والفقراء التي اصبحت عصبية ابتلعت العصبيات الاخرى ، ولم تعثر البشرية على علاج ناجع لها .. ورأى الابراهيمي في هذه المعضلة انه لو تساند أغنياء العالم في الاخذ بأيدي فقراء العالم لدفعوا عنهم غارة الفقر .. بل انه يرى ان الاسلام قد وضع الحل المناسب لتلك المعضلة ، اذ لو تساند اغنياء مسلمي العالم في دفع ما عليهم من زكاة ، ثم تساند عقلاؤهم في استخدام اموال الزكاة استخداما حسنا لقاموا ببعض الواجب في الوقوف امام غارة الفقر الشعواء (15) .

وهناك معضلة مالية واجتماعية اخرى دعا الابراهيمي الى حلها وهي : عقدة الربا المتعارف عليه في البنوك ، فهو يرى ان هذه المسألة تمس المجتمع على الرغم من الجميع وانها متشعبة على الرغم من الجميع ، ودينية على الرغم من الجميع ايضا . وعنده ان الذين عالجوا هذه المسألة الى ذلك الحين لا يعتد بهم في العلم الديني ، ولذلك فقد قام بدعوة العلماء الى دراسة مسألة تثمير المسلم لماله بالربا المتعارف عليه في البنوك من طرفيها الديني والاجتماعي ، وموافاة المجتمع بآرائهم المؤيدة بالدليل العلمي ، والمبنية على حكمة الشريعة ومقاصدها (16) .

---

(14) ينظر : المصدر السابق ، ص : 7 وما بعدها .

(15) ينظر : (الانسانية : آلامها واستغاثتها) . الشهاب ج1 م6 ، ص : 11 .

(16) ينظر : (محاضرة الابراهيمي في 7 رمضان بنادي الترقي بالعاصمة) . الشهاب : ج7 م5 ، ص : 7 وما بعدها .

10.5 — العمل الفردي والعمل الجماعي .

واذا كان الابراهيمي قد اهتم بالمال وأثره في المجتمع ، فانه قد اهتم كذلك بالعمل . ولا جدال في ان المال وليد العمل ونتيجته ، فهو يرى في هذا المجال ان الاعمال هي الاعمار وبالاحسان فيها تتفاوت قيمة الرجال . ومن هنا فان من لا عمل له فلا عمر له . (17)

واذا كان الابراهيمي قد نبه الى ان الاعمال الفردية في المال لا تعطي نتيجة الاعمال الجماعية ، فانه حث كذلك على الاعمال الجماعية في المجتمع الجزائري ، ورأى ان الاعمال العظيمة اذا وكلت الى فرد ضاعت او اختلت ، وان توزيعها على مجموعة من الافراد أدعى للسرعة والانجاز وعدم الضياع . (18)

واجمل الاعمال في الحياة في نظر الابراهيمي نوعان : وظائف العبادات التي هي عنوان التوحيد والاخلاص في العبودية ، ثم السعي فيما تقوم به هذه الحياة من الاعمال وهي التي تتوقف عليها عمارة الارض .

واذا كانت اعمال العبادات بين الفرد وخالقه ، فان اعمال الحياة مشتركة بين افراد المجتمع ولذلك فان التعاون فيها يكون أجدى وانفع للجميع .

---

(17) ينظر : (خطبة جمعية) . الشهاب : ج 2 م6 . ص : 78 .

(18) ينظر : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج 4 م12 . ص : 207 .

6-10 — النزعة الانسانية :

ومن القضايا التي بدت واضحة في فكر الابراهيمي نزعته الانسانية اذ يرى ان غاية الحياة السامية هي ان تتوحد المجموعة البشرية وان يشارك الانسان أخاه الانسان في جميع لوازم الحياة حيث يقع التعاون المتبادل بين الناس في كل جليل وحقير . ومشاركة الانسان لاخيه الانسان من القضايا التي بنيت عليها معالم جزئيات الاديان السماوية ، ثم هي من القضايا التي تطابق العقل والدين جميعا على الدعوة اليها وتصديقها .(19)

ويرى الابراهيمي كذلك ان تأسيس الجمعيات بني على فكرة تآخي البشر ، فقد تأسست الجمعيات المالية لانقاذ البشرية من داهية الفقر ، وتأسست الجمعيات العلمية لانقاذ البشرية من نكبة الجهل ، وتأسست الجمعيات الطبية لوقاية الانسانية من آفات المرض ، ثم تأسست الجمعيات الادبية وهي نصيرة الحقائق وعدوة الاوهام والخرافات، كما تأسست الجمعيات الرياضية وهي خادمة الانسان معنى وجسدا ، وواسطة للربط بين الشباب وبين الشعوب عموما .(20)

والابراهيمي عندما يذكر مواطنيه بتلك الجمعيات وفوائدها فانما يدعوهم الى الاقتداء بالشعوب الاخرى في تأسيس نظائرها في الوسط الجزائري .

ويعتقد الابراهيمي ان الوصول الى التآخي بين البشر امر ممكن ولكن تطبيقه لايتم الا تدريجيا وبفضل دعاة السلام والتآخي من كل امة ، وهو يرى ان هذه الفكرة قد

---

(19) ينظر : (الانسان اخو الانسان) . الشهاب :ج8 م5 . ص: 10 .

(20) ينظر : المصدر السابق . ص : 12 .

انتقلت من مجالها النظري الى مجالها التطبيقي منذ عصر النهضة ، وقد ساعد على انتشارها بين الامم سهولة المواصلات التي ادت الى اتصال الامم المتباعدة وهو امر قد نمى الشعور المتزايد بهذه الفكرة بين معظم شعوب الارض (21) .

وهناك جانب آخر له علاقة بنزعة الابراهيمي الانسانية وهو اعتقاده بان ما شاع من احتكار الغربيين للمدنية في العصر الحديث على اعتبار انها من ابتكارهم ليس صحيحا ، وانما الصحيح هو ان هذه الحضارة ان هي الا عصارة للحضارات القديمة .. وكل الذى اضافوه اليها هو نوع من التزيين والتحسين .

" هي في الحقيقة تراث انساني تسلمه امة الى امة وتأخذه امة عن امة فتزيد فيه أو تنقص منه بسبب ما يتهيأ لها من وسائل (22) ".

(21) ينظر : المصدر السابق . ص: 11، 12 .

(22) ينظر: (العربية : فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية) . الشهاب: جـ 1 م 15 . ص: 11 وما بعدها .

ويبقى ان نلاحظ ان هناك قضية تتعلق بالحياة الاجتماعية للجزائريين في هذه الفترة ولم نجد لها أي صدى في المقالات التي تعرض لافكارها - تلك هي صورة المرأة في فكر الابراهيمي خلال فترة هذه الدراسة .

واذا كان ابن باديس قد تعرض لهذا الجانب في الفترة ذاتها ، فنادى بتعليم المرأة وباحترام الحقوق التي منحها لها الاسلام، (23) فاننا لم نجد شيئا من ذلك فيما كتبه الابراهيمي في هذه الفترة ..

---

(23) ينظر: محمد الميلي . ابن باديس وعروبة الجزائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . سنة 1973م . ص: 66 .

1 . 11 — تمهيد :

علاقة السياسة بالاجتماع وثيقة ، فهي تهدف الى ادارة شؤون المجتمع بالقانون والنظام ، كما تهدف الى تدبير حياة افراد المجتمع بالعدل والانصاف .

والمفروض في سياسة أى مجتمع أنها صورة لحركة افراده ونشاطه وتنظيماته فيما بينها اولا ، ثم فيما بينها وبين نظائرها من المجتمعات الاخرى ثانيا .

والمجتمع الجزائرى في فترة هذه الدراسة كان خاضعا للسيطرة الاستعمارية الفرنسية التي كانت ترى أن السياسة محرمة على الجزائريين ، الا من كان يسير في فلكها ووفق سياستها .

11.2 — علاقة جمعية العلماء بالسياسة

ينص القانون الاساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على ان لاعلاقة للجمعية بالسياسة ، ولذلك فان اعضاء هذه الجمعية لا يحق لهم الخوض الا في السياسة الدينية والتهذيبية .

لكن الذى حدث هو أن اعضاء الجمعية كانوا يؤثرون في احداث المجتمع الجزائرى في فترة الثلاثينيات أكثر من تأثير الساسة أنفسهم ، فالدعوة الى المؤتمر الاسلامي الجزائرى سنة 1936 كان قد بدأها الاستاذ عبد الحميد بن باديس ، فقد نشر في جريدة (الدفاع) في عددها الصادر في 3 جانفي سنة 1936 ـ آراء له في السياسة الجزائرية ، ومن تلك الآراء : الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي جزائرى ، وذلك لان ابن باديس كان يؤمن بأن المرجع في شؤون الامة هو الامة ذاتها ، والوسيلة لذلك هي المؤتمرات (1) .

وقد عبر ابن باديس نفسه عن دوره في ذلك المؤتمر عندما خطب في لجنته التنفيذية في الخامس من يونيو سنة 1936 ، وذكر انه يعتز في حياته بعملين هما : (جريدة المنتقد) و (مجلة الشهاب) من جهة ، وجمعية العلماء من جهة اخرى ، ثم أضاف اليهما عملا ثالثا وهو المؤتمر الجزائرى الاسلامي (2) .

---

(1) ينظر : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج4 م12 . ص: 198 .

(2) ينظر : ابوالقاسم سعد (دكتور) . الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945) . ص: 173 .

3.11 ـ الابراهيمي والمؤتمر الجزائري الاسلامي .

يرى الابراهيمي انه لولا الظروف المواتية التي اعقبت دعوة ابن باديس لما عقد ذلك المؤتمر .. مع تسليمه بوجاهة فكرة ابن باديس .

وأهم الظروف التي عناها الابراهيمي هي : فوز الجبهة الشعبية في فرنسا وتوليتها السلطة ، ونتيجة لذلك فقد كان من الميسور عقد ذلك المؤتمر .

ومن الظروف الملائمة ايضا ان رئاسة جمعية النواب في قسنطينة كانت مساندة لدعوة ابن باديس (رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ((وللأمة بهاتين الجمعيتين ثقة واسعة الحدود ثابتة الاس)) (3) .

واذا كان هناك من يرى ان المؤتمر قد عقد على عجل ولم تسبقه الاستعدادات التي تسبق عادة مثل هذه المؤتمرات ، فان الابراهيمي يرى ان تعجيل عقد المؤتمر كان اولى من الانتظار به ، لان الاستعداد والانتظار قد يجلب الاختلاف في الرأي ثم التفرق دون عقد المؤتمر ، بالاضافة الى ان عقد المؤتمر عقب تشكيل الوزارة الجديدة أنيد لمطالب المؤتمر (4) .

---

(3) الابراهيمي : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج 4 م 12 . ص : 198 .

(4) ينظر : المصدر السابق . ص : 199 .

وفي الوقت الذى يرى الابراهيمي ان جمعية العلماء قد نشطت في الدعوة الى حركة المؤتمر الاسلامي على انها دعوة الى الحق والخير، وشاركت في تكوينه على ان ذلك نوع من ايصال الخير للامة ،وأدمجت مطالبها فيه على انها جزء من مطالب الامة (5) .. فان الاستاذ محمد خير الدين - احد الاعضاء البارزين في الجمعية - يرى ان مشاركة الجمعية في ذلك المؤتمر كانت بدافع درء خطر كاد ان يحل بالجزائر ، فمشاركةالجمعية كانت من اجل الوقوف في وجه مشروع (فيوليت) الذى كان المؤتمر سوف يصادق على تنفيذه لولا وجود رجال الجمعية بمطالبهم ضمن ذلك المؤتمر (6).

واذا ما علمنا ان الانظار كانت قبل المؤتمر مختلفة في أى البرامج أو المشاريع يجب انتكون المطالبة بحقوق الجزائريين على اساسه ، وكان مشروع (فيوليت) من اهم تلك المشاريع.. اتضحت لنا وجاهة هذا الرأى . ثم ان الابراهيمي نفسه وبتأييد من اعضاء جمعية العلماء ، ومن بعض النواب الوطنيين - وخصوصا في المقاطعة الوهرانية - هو الذى دعا الى الغاء جميع البرامج والمشاريع السابقة ووضع برنامج اسلامي جزائرى محلها ، وكان من حسن الحظ ان رجح هذا الرأى (7) .

---

(5) ينظر : (مقتل الشيخ كحول : ليسجل التاريخ ولتشهد الاجيال المقبلة .) . البصائر . السنة الاولى . العدد :32 . الجزائر الجمعة 10 جمادى الثانية 1355هـ. 28 أوت 1936م.ص:2 . عمود :2 .

(6) ينظر : (انا لله وانا اليه راجعون) . خطاب الاستاذ محمد خير الدين في حفل تأبين الشيخ الابراهيمي ،ضمن كتاب : الامام الرائد محمد البشير الابراهيمي في ذكراه الاولى . ص : 27 .

(7) ينظر: (المؤتمر الاسلامي الجزائرى : لا يبنى مستقبل الامة الا الامة) . البصائر. السنة الاولى . العدد :23 . الجزائر الجمعة 22 ربيع الاول 1355هـ. 12 جوان 1936 م. ص : 2 . عمود : 2 .

لقد تم التمهيد للمؤتمر في الليلة السابقة لعقده ، وتم الاتفاق على تسميته باسم (المؤتمر الجزائري الاسلامي) وعلى عدم اعتبار البرامج القديمة اساسا له ، وعلى المطالبة بحقوق المسلم الجزائري السياسية تامة غير منقوصة ، مع المحافظة التامة على احواله الشخصية الاسلامية تامة غير منقوصة ايضا ، وعلى اعطائه حق الانتخاب والنيابة في البرلمان (8) .

ولقد تم انعقاد ذلك المؤتمر صبيحة يوم السابع من شهر جوان سنة 1936 برئاسة (الدكتور محمد الصالح بن جلول) رئيس كتلة النواب بقسنطينة ، وتمثلت في ذلك المؤتمر جميع الفئات وجميع الاتجاهات .. وقد التقى الجميع على الاسلام والجزائرية .

يقول الابراهيمي ان ذلك المؤتمر هو: ((اول خطوة خطتها الامة الجزائرية في عهدها الجديد ، واول صفحة في تاريخها المجيد ، تمثلت فيه جميع عناصرها راجعة الى عنصر واحد هو عنصر الاسلام والجزائرية مدفوعة بدافع واحد هو دافع الشعور بالحرمان من الحياة والشعور بالحاجة الى الحياة (9) .))

ولقد اعلن الدكتور ابن جلول في خطبة الافتتاح ان النواب مجمعون على المطالبة بالحقوق السياسية ومنها التمثيل البرلماني للامة الجزائرية لا على اساس البرامج السابقة ، وانما على اسس المساواة التامة .. ثم أيده في نفس الجلسة جميع ممثلي النواب للعمالات الثلاث .

---

(8) ينظر : المصدر السابق . ص : 1، 2 .

(9) الابراهيمي . (المؤتمر الاسلامي الجزائري الثاني) . البصائر . العدد : 67 . ص : 1 .

وكانت خطب النواب والشباب مركزة على المطالبة بالمساواة ، لان الجزائريين قاموا بجميع الواجبات . (10)

بينما كانت خطة جمعية العلماء في المؤتمر شار ابتهاج المخلصين للوطن والعاملين على خيره ، ومصدر فرح الطبقات العامة ، لانها – فيما يعتقد الابراهيمي – ترى في حضور العلماء بالمؤتمر ضمانا وكفالة لاعز عزيز لديها وهو الدين والعربية . (11) وبذلك انتصرت الامة والجمعية جميعا على من كانوا لا يحبذون مشاركة الجمعية في ذلك المؤتمر وعلى من كانوا يعتبرون مشاركتها جانبا من جوانب النقص في المؤتمر . ويرد الابراهيمي – على من انتقد حضور الجمعية ذلك المؤتمر على اعتبار انه مؤتمر سياسي – بأن العلماء جزء من الامة يمثلون دينها ولغتها ، وانهم المخلصون لهذين المطلبين ، مع اعترافه بأن في الامة من المفكرين من هم قادرون على القيام بامور الامة الاخرى كالامور السياسية والاقتصادية .. ولكن العلماء هم اهل الاختصاص في الدين واللغة . (12) ويقول ابن باديس في هذا الموضوع : ((وانما وقفت الجمعية في مؤتمر الامة تضع مطالب الدين واللغة ، وشروط المحافظة على الجنسية والشخصية ، ومثلت ذلك كله بلسانها وهيئتها اصدق تمثيل (13))) .

---

(10) ينظر : (المؤتمر الاسلامي الجزائري العام : لا يبنى مستقبل الامة الا الامة) . البصائر . السنة الاولى . العدد : 24 . الجزائر . الجمعة 29 ربيع الاول 1355هـ . 19 جوان 1936م . ص : 1 . عمود 3 .

(11) ينظر : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج4 م12 . ص : 212 .

(12) ينظر : المصدر السابق . ص : 213 .

(13) عبد الحميد بن باديس : (ابن باديس حياته وآثاره) . ج 3 . ص : 360 .

وقد قدم ابن باديس الى مكتب المؤتمر اربعة اقتراحات تعتبر خلاصة لما تهدف اليه جمعية العلماء ، وتتعلق تلك الاقتراحات باللغة العربية والمساجد والتعليم الديني والقضاء.(14)

ويكفي ان يكون حضور الجمعية قد فرض وجود اللغة العربية في ذلك المؤتمر ، فقد استعملت فيه اللغتان (العربية والفرنسية) فكانت الخطب السياسية والمطالب السياسية تلقى (بالفرنسية) ، بينما المطالب الخاصة بالدين وباللغة العربية تلقى (بالعربية) .

وقد خطب الشيخ العقبي باعتباره احد اقطاب الجمعية في ختام المؤتمر خطبة مثيرة ، لم يخرج فيها عن قول الحق — فيما يرى الابراهيمي — واهم ما جاء في تلك الخطبة استدراكه على بعض الخطباء الذين سبقوه الى التنديد بالقرارات الجائرة — قرارا لم يذكروه مع انه اشنع القرارات في حق الجزائريين ، وهو ((قرار ميشال ، أو منشور غلق المساجد في وجوه علماء الامة ، ومنشوره بحل الجمعية الدينية بالجزائر . . . فبين قبحه وفظاعته وضرره))(15)

وكما شاركت الجمعية في الدعوة الى المؤتمر وفي اعماله ، فانها شاركت كذلك في لجنته التنفيذية وشاركت في الوفد الذي ارسلته اللجنة التنفيذية بالمطالب الى باريس . .

وكان خصوم الجمعية قد ضاقوا ذرعا بالمؤتمر ، ومشاركة الجمعية فيه ، ثم بالمطالب التي يوشك ان تتحقق ، ولذلك فقد دبروا لمكيدة اغتيال (المفتي كحول) ثم اتهموا

---

(14) ينظر : (المؤتمر الاسلامي الجزائري العام : لا يبنى مستقبل الامة الا بالامة) . البصائر . العدد : 24 . ص : 5 ؛ 6 .

(15) الابراهيمي : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج4 م12 . ص: 203 .

الشيخ الطيب العقبي في هذه القضية . وبذلك يمكن ان يقال انهم دبروا لنسف نتائج المؤتمر لكي لا يتحقق منها شيء.

وهذا الرأى هو مايذهب اليه الدكتور ابو القاسم سعد الله الذى يرى ان وحدة المؤتمر سرعان ما تضعضعت ، وان أهم عامل خارجي في ضعضعته هو ما سعت اليه الادارة الفرنسية في الجزائر - بعد اجماع الجزائريين في موقفهم من فرنسا - من احداث ثغرة في صفوفهم وذلك بالتدبير لاغتيال المفتي كحول واعتقال الشيخ العقبي . واما أهم العوامل الداخلية فتكمن حسب هذا الرأى في اعتراف الدكتور ابن جلول - وهو رئيس المؤتمر - بدور الجمعية في قضية المفتي كحول.(16)

وفي اعتقاد الابراهيمي أن المؤتمر الاسلامي الاول كان بمثابة انذار لخصوم الجمعية ، وانه اذا لم تحقق الامة آمالها فيه ؛ فأهم من ذلك اظهار ارادتها التي لن تتحطم.

---

(16) ينظر: ابو القاسم سعد الله (دكتور)
الحركة الوطنية الجزائرية . (1930-1945) . ص : 181.

11.3.1 — المؤتمر الجزائري الاسلامي الثاني :

وقد بشر الابراهيمي بانعقاد المؤتمر الاسلامي الجزائري الثاني ، ودعا الامة الى الالتفاف حوله ، كما دعاها الى ازالة العراقيل من طريق انعقاده. ومع ان المؤتمر الثاني قد انعقد فعلا في الايام الثلاثة الاولى من شهر جويلية سنة 1937 في حين تم احياء الذكرى الاولى للمؤتمر الاول في السابع من جوان سنة 1937 ، فان احداث ذلك المؤتمر كانت غامضة جدا ، وصورته كانت باهتة جدا كذلك ومن هنا فان نتائجه كانت شبه معدومة (17) .

ويذهب احدهم الى ان هذا المؤتمر كان مؤتمرا طرقيا ، ولذلك فانه يستغرب حضور ابن باديس والابراهيمي لمداولاته (18) .

(17) ينظر: (المؤتمر الاسلامي الجزائري الثاني) . البصائر . العدد : 67 .
ص: 2 .

(18) ينظر: طه الحاجري . جوانب من الحياة العقلية والادبية في الجزائر . معهد البحوث والدراسات العربية سنة 1968م .
ص : 148 .

4•11 — قضيـــة اغتيـــال المفتـــي كحـــول :

لقــد سبقــت الاشــارة الــى ان حــادثــة الاغتيـــال والاعتقـــال كانت السبـــب الرئيســـي في عرقلـــة نتائـــج المؤتمـــر الاسلامـــي الاول ، ويـــرى الابراهيمـــي ان الهيجـــان والفوضـــى والتفـــرق واساءة علاقـــة الامـــة والجمعيـــة مـــع الحكومـــة .. هـــي الاهـــداف التـي رمـــى اليهـــا الكـــائـدون من وراء اغتيـــال المفتـي كحـــول فـي تلـــك المناسبـــة ، ثـــم اعتقـــال الاستـــاذ العقبـــي بعـــد اتهـــامـه ظلمـــا بتلـــك القضيـــة.(19)

لقـــد اغتيـــل المفتـــي كحـــول في رابعـــة يوم احتشـدت فيـــه الجماهـــير الجزائريـــة في الملعـــب البلـدى بعاصمـــة الجزائـــر لتستـــمعنتائـــج محـادثـــات وفـد الامـــة مـــع السلطـــات الباريسية.

ومـــع ان القاتـــل (عكـاشـــة) قـــد اعـــترف فـي بـــدايـــة التحقيـــق معـــه — انـــه قتـــل المفتـــي لاسبـــاب شخصيـــة ونشـــر التحقيـــق فـي بـلاغـــات رسميـــة ، فـــانـــه بعـــد أيـــام رجـــع عـــن اقوالـــه الاولى وادلـــى بأقـــوال اتهـــم فيهـــا الشيـــخ العقبـــي بأنـــه هـــوالـذى حرضـــه على قتـــل المفتـــي كحـــول ، وانـــه هـــو الـذى اعطـــاه الســلاح . وانـــه وعـــده بمبلـــغ من المـــال ... ويستغـــرب الابراهيمـي استنـــاد العدالـــة الفرنسيـــة على مثـــل تلـــك الاقـــوال المتضاربـــة لتتهـــم بـدورهـــا الشيـــخ العقبي في القضيـــة.(20)

---

(19) ينظر : (مقتل الشيخ كحول : ليسجل التاريخ ولتشهد الاجيال المقبلـة) . البصائر . العدد :32 . ص : 2 .

(20) ينظر : المصدر السابق . ص : 3 .

ويرى ان تلك المكيدة قد عرفت الامة باعدائها وكشفت لها تساس بالتجهيل والتضليل، ولذلك فقد اصبحت يقظة حساسة لكل ما يجرى ضدها من سؤامرات .(21)

وقد انتشرت اشاعات بعد تلك الحادثة بعضها يزعم ان القتل سياسي وسببه (التيلغراف)(22) ، وبعضها يزعم ان سبب القتل ديني ، فتتوجه التهمة ـ الى جمعية العلماء والى العقبي . ويرى الابراهيمي ان اتهام وفد المؤتمر الاسلامي الجزائرى ، أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمقتل المفتى كحول ـ اتهام واه لان كحولا لم يكن المعارض الوحيد ولا الاشد للوفد او للجمعية ، فخصوم الجمعية وجدوا قبل المفتى كحول ، وهم موجودون بعده ، وفكره الديني لا يخيف الجمعية لان الشعب الجزائرى اصبح لا يتأثر الا بالصحيح من الافكار الدينية .(23)

وفي رأى ابن باديس ان حادثة اعتقال الاستاذ العقبي كانت مؤثرة في جمعية العلماء ، ولكنها لم تذهب بصبرها ، ولم تزلزل عقيدتها ، بل انها

---

(21) ينظر : (مقتل الشيخ كحول : ليسجل التاريخ ولتشهد الاجيال المقبلة : الحلقة : 2) .
البصائر . السنة الاولى . العدد : 33 . الجزائر . الجمعة 17 جمادى الثانية . 4 سبتمبر 1936م . ص : 2 .

(22) ارسل المفتى كحول برقية تأييد الى السلطات الباريسية . يرفض فيها نتائج المؤتمر الاسلامي الجزائرى .

(23) ينظر : (مقتل الشيخ كحول : ليسجل التاريخ ولتشهد الاجيال المقبلة) .
البصائر . العدد : 33 . ص : 3 .

كانت نعمة عظيمة فقد احدثت في العالم المتصل بالجزائر روحا جديدة من العطف على الجمعية ، والتأييد لها والانتصار لمبادئها ، ثم انها كانت في النهاية موحدة لشعور سكان الشمال الافريقي (24).

وخسارة الجزائر الحقيقية في هذه الحادثة هي تعطيل الاعمال الاصلاحية التي كان يقوم بها الاستاذ العقبي قبل اعتقاله ، ثم زعزعة ثقته في نفسه اولا ثم ثقته في زملائه من اعضاء الجمعية ، وقد اتضح ذلك في استقالته من الجمعية كما سبقت الاشارة الى ذلك في نهاية (الفقرة الاولى) من هذه الدراسة .

---

(24) ينظر : ابن باديس : ابن باديس حياته وآثاره . ج 3 . ص: 121 .

11.5 — النيابة البرلمانية .

ومن الجوانب السياسية التي لمسها الابراهيمي في هذه الفترة لمسا خفيفا جانب النيابة البرلمانية ، فاذا كان الدكتور ابو القاسم سعد الله يرى "أن العلماء كانوا ينظرون الى النواب عامة على انهم واقعون تحت طائلة الادارة ، يأتمرون بأمرها ويتحركون باشارتها! (25)

فان الابراهيمي يفرق بين مواقف النواب سواء من حيث الفترة الزمنية ، أو من حيث شخصياتهم ، فقبيل النهضة كانت القيادتان السياسية والروحية جميعا متفقتين على ما يفسد الامة ويشل حركتها من جهل وفقر ، وكل ما يلده الجهل والفقر من مفاسد وموبقات. (26)

والخلاصة ان السياسة الجزائرية كانت في تلك الفترة تسير الى غايات الاستعمار المتطرفة ، كما كانت تنطوي على اوضاع شاذة هي شر ما تركته عصور الظلم والانحطاط ، ولكن الله قد غير حال هذه الامة عندما هيأ لها من رفع صوته لاصلاحها ودعاها للاجتماع على الصالحات فسارت في سبيل الحق والهداية ، وكان ((اول ما أونس منها من بواكير الرشد حسن اختيارها لنوابها ومحاسبتها لهم على اعمالهم، واجتماعها على المطالبة بحقوقها بواسطتهم)) . (27)

---

(25) ينظر : ابو القاسم سعد الله (دكتور) . الحركة الوطنية الجزائرية . (1930 -1945) . ص : 103 .

(26) ينظر : (من آثار المؤتمر :لا يبنى مستقبل الامة الا الامة) . البصائر. العدد : 26 . ص : 4، 5 .

(27) الابراهيمي : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج 4 م12 . ص: 195 .

والحق ان الابراهيمي في هذه الفترة كان حذرا في تعرضه للنواب الجزائريين فلم يهاجمهم مهاجمته للطرقيين أو لرجال الدين الرسميين ، بل انه مدح موقفهم في معرض كلامه عن الفئات التي شاركت في المؤتمر الاول اذ قال عنهم انهم :

((الموفون بالعهد على شيوع الختر ، المنجزون للوعد على كثرة الاخلاف، الحاملون للامانة على انتشار الخيانة والغدر...)) (28) .

واذا كان الابراهيمي في هذه الفترة حذرا في تعرضه للنواب ، فانه غير هذا الحذر بالصراحة والمواجهة في فترة الاربعينيات عندما واجههم بقوله : ((اسمحوا لنا حين سميناكم اعضاء ولم نسمكم نوابا ، فاننا ممن لا يكذب على الحقيقة ، وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرعتم بها الى هذا المنصب يستحيي ان يسميكم نوابا وانما انتم اعضاء تألف منكم مجلس غير متجانس الاجزاء)) (29) .

وواضح ان هذا التغيير في نظر الابراهيمي الى النواب لا يعني مجرد تطور في فكر الابراهيمي ، بقدر ما يعني تغير الظروف المحيطة بالرجل في كل من الفترتين ؛ لقد اختفت هيبة الاستعمار من نفوس الجزائريين جميعا بعد هزيمته بسهولة مذهلة امام ضربات الالمان ، ثم ابان الاستعمار الفرنسي عن ضعفه اكثر من ذلك ، في حوادث 8 ماي الاليمة ، امام العزل من الجزائريين . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الابراهيمي اصبح في فترة الاربعينيات يتحمل مسؤولية الرجل الاول في جمعية العلماء التي كانت تمثل الجزائريين بحق ، فلا غرابة بعد ذلك ، ان تتغير نظرة الابراهيمي الى النواب الجزائريين في البرلمان الفرنسي .

---

(28) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 193 .

(29) الابراهيمي : عيون البصائر . ص : 136 .

11.6 — سياسة السلطة الفرنسية :

ويبقى اننا لو اردنا ان نسأل عن موقف الابراهيمي في اثناء فترة هذه الدراسة — من سياسة السلطة الفرنسية نحو الجزائريين عموما، ثم نحو جمعية العلماء على وجه الخصوص لوجدناه يعرض لسياسة السلطة الفرنسية في الجزائر عند بداية النهضة بأسلوبه الساخر فيقول : ((وآخر ما فتحت عليه (الامة) عينها — سياسة مضطربة الحوادث مقلقة الركائب ، لا يقرلها قرار الا على المنشور والقرار ، ولا تبلى ابياتها الا على الوتد المفروق والقاعدة ذات الشذوذات والفروق ، والاسباب الخفية المتقلبة مع الغروب والشروق)) .(30)

ويرى الابراهيمي في موضع آخر عند رده على من انتقد تلة اعمال الجمعية في سنيها الاولى بأن من قصر النظر في الحكم على الاشياء ان تسقط عتبارات الزمان والمكان ، والقوانين التي كانت تساس بها الامة ، وظروف الجمعية في ظل تلك الاعتبارات والقوانين ، وكيف ان الجمعية ((تكونت في ليل من السياسة غاسق ، وجو من المكائد قاتم)) .(31)

فالحكومة الاستعمارية كانت دائما تسعى لقتل الجمعية ، وتطارد رجالها وتنزع رخص التعليم من ايديهم ، كما كانت ترميهم بتهم لا اساس لها ، فكانت تنسبهم الى الوهابية تارة والى الشيوعية تارة اخرى ، ثم الى الفاشتية — أو الاتصال بالاجانب — مرة ثالثة !(32)

---

(30) الابراهيمي : (من آثار المؤتمر : لا يبنى مستقبل الامة الا الامة) . البصائر . العدد : 26 . ص: 4، 5 .

(31) الابراهيمي : (منشور الى الامتين العربية والفرنسية) . البصائر . السنة الرابعة . العدد : 160 . الجمعة 16 صفر 1358ه .
17 افريل 1939م . ص: 5 .

(32) ينظر: المصدر السابق . ص: 6 .

ولم يكن تشجيع الادارة الاستعمارية في الجزائر للطرقية وشيوخها الا وسيلة تختفي من ورائها تلك الادارة لمحاربة الجمعية ورجالها .

واذا كان أسلوب الابراهيمي في الكشف عن سياسة الادارة الفرنسية في الجزائر في فترة الثلاثينيات قد اتسم بالمهادنة احيانا وبالتلميح او التعريض احيانا اخرى ، ثم بالمواجهة والتصريح في قليل من الاحيان ، فان اسلوبه في فترة الاربعينيات يصبح اكثر مواجهة واكثر وضوحا سواء في فهمه للسياسة بشكل عام ، أم في فهمه لسياسة الادارة الاستعمارية للجزائريين على وجه الخصوص .(33)

ولعل الفرصة تتاح لي أو لغيري لبيان هذه الظاهرة في مناسبة اخرى ...

(33) ينظر: الابراهيمي : عيون البصائر ، ص: 196 .

القسم الثاني

الإبراهيمي خطيبا وكاتبا في الفترة

من 1929 إلى 1939 م

1

أنواع نثر الإبراهيمي وسماته في فترة هذه الدراسة

1 • 1 - تمهيـــد

اذا كان القسم الاول من هذه الدراسة قد حاول رصد وتحليل أفكار الابراهيمي التي آمن بها وحاول تطبيقها في بيئة وزمان معينين (1) فان القسم الثاني منها سوف يهتم ببيان الانواع القولية - الادبية والصحفية - التي بث الابراهيمي من خلالها تلك الأفكار .

كما سوف يحاول هذا القسم - الثاني الوقوف عند أبرز الظواهر الاسلوبية ، وعند ادوات الصياغة التي استخدمها الابراهيمي في انواع من القول جميعها نثرية ...

---

(1) البيئة الجزائرية من سنة 1929 الى سنة 1939 م .

1.2 — الانـواع النثـــريـــة

ولكن ما هي الانـواع النثرية التي عبر من خلالها الابراهيمي عن فكرة في فترة هذه الدراسة ؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال لابد من الاشارة الى أن أغلب الظن ان الابراهيمي لم ينتج غير النثر في فترة هذه الدراسة لعدم عثورنا على ما يدل على خلاف ذلك .

أما انتاج الابراهيمي النثرى ، الذى نعنيه هنا فيتوزع على الخطبة والمقالة والمحاضرة . كما يتوزع على انواع نثرية اخرى ، هي أقرب الى ان تندرج تحت الانواع السابقة منها الى التميز والاستقلال ؛ كالتمهيد ، والتصدير . والكلمة ، والمنشور والتقرير والتحقيق الصحفي .. فضلا عن الرسالة التي كانت ولا تزال تمثل نوعا من الكتابة الادبية في النثر العربي .

1.2.1 — الخطبة عند الابراهيمي :

تعريفها وانواعها وسماتها .

ولان الخطبة من أقدم الانواع النثرية في الادب العربي من ناحية ، ولانها تمثل نسبة ملحوظة فيما بين ايدينا من نصوص مادة هذه الدراسة من ناحية أخرى ، فقد يكون من المناسب البدء بتعريفها وبيان أنواعها وسماتها ، وخصوصا من خلال ما خطب به الابراهيمي في هذه الفترة .

فالمفروض في الخطبة انها كلام نثرى - قد تتخلله بعض الاشعار - يلقى في جماعة معينة ،وفي مناسبة معينة كذلك ، والمفروض ان يؤثر هذا الكلام في المستمعين قصد تحريكهم نحو هدف معين يهدف اليه الخطيب او تفرضه المناسبة .

واذا كان الابراهيمي قد التزم بهذا المبدأ في خطبه من حيث انه كان يلقيها في مناسبات دينية (2) ، أو ثقافية (3) ، أو اجتماعية (4) ، أو حفلية (5) ، مع تنوع كل مناسبة من تلك المناسبات (6) ..

فان أهم سمة ظهرت فيما بين ايدينا من نصوص خطب الابراهيمي هي أنه كان يعيد كتابتها - في الغالب - مستجيبا لالحاح صاحب المجلة أو الصحيفة التي ظهرت بها هذه الخطبة أو تلك (7) . أو مستجيبا لالحاح جماعة من المستمعين في الحفل أو الاجتماع الذى ألقيت فيه الخطبة (8) .

ولا جدال في ان ذلك، لم يكن ليحدث لولا سمو مكانة الابراهيمي الخطابية من حيث الاقناع والتأثير من ناحية ، ومن حيث فهم الابراهيمي لدور الخطابة في المجتمع ، وتطبيقه لهذا الفهم من ناحية أخرى (9) .

---

(2) ينظر: (خطبة جمعية) . الشهاب ج 2 م 6 . ص : 77 .

(3) ينظر : (خطبة الابراهيمي التي القاها صبيحة اليوم الاول من ايام الاجتماع العام الخاص) . البصائر : السنة الاولى ، العدد : 37 . 6 رجب 1355 هـ . 2 اكتوبر 1936 . ص: 6 .

(4) ينظر : (ملخص خطاب الابراهيمي) . الشهاب : ج9 م10 . ص: 415 .

(5) ينظر: "(خطبة الاستاذ الشيخ الابراهيمي في حفلة تابين فقيد العلم المرحوم الاستاذ ابن شنب . الشهاب . ج 4 م5 . ص: 7 .

(6) - وما يمكن ملاحظته هنا هو انه مهما اختلفت وتنوعت المناسبات التي خطب من خلالها الابراهيمي ، فان هدفه الذي هو هدف جمعية العلماء - هو التحرر السياسي بكل مقوماته .

(7) ينظر: تعقيب الشهاب على : (محاضرة الاستاذ الشيخ البشير الابراهيمي بنادى الترقي بالعاصمة : الحفلة 3) . الشهاب . ج 7 م5 . ص: 11 .

(8) ينظر: تقديم : (خطبة الاستاذ الابراهيمي التي ختم بها حفلة التكريم للاستاذ ابن باديس في كلية الشعب) الشهاب: ج 4 م14 . ص : 277 ، وكذلك ص: 183 .

(9) قد اشرنا الى فهم الابراهيمي لدور الخطابة في المجتمع في فقرة (الادب والنقد) ص : (531) من هذه الدراسة .

لكن الذى يجب التنبيه اليه هو ان عملية اعادة الخطبة كتابة يفقدها الكثير من حرارة المناسبة ،كما يفقدها التفاعل التلقائي مع المستمعين ، مما هو من صميم خصوصيات الخطبة . بالاضافة الى ان عملية اعادة الخطبة كتابة يخرجها من نطاق التأثر والتأثير العاطفيين — بين الخطيب والمستمعين — الى التأمل والتفكير عند المنتج والقارئ على حد سواء ، وهي احدى سمات المقالة التي تفترق فيها عن الخطبة .

وهناك سمات الاداء التى قد يرى الخطيب انها ان لاءمت الخطبة عند الالقاء ، فانها لا تلائمها عند صياغتها من جديد ، هذا فضلا عن المعاني أو الادوات التي قد يكون الخطيب قد استعملها او توسل بها عند القائه للخطبة ، ونسيها أو غيرها عند الصياغة الجديدة ، كما لا يبعد ان يضيف عند الكتابة بعض المعاني التي لم يكن قد تعرض لها ساعة القائه الخطبة : يقول الابراهيمي حول هذا الموضوع — عند ما اعاد صياغة خطاب كان قد القاه —" وأنا ابرأ من ادعاء محاذاته كما القي ارتجالا في الفاظه ومعانيه " . (10)

ومع ان عملية اعداد الخطبة كتابة قبل القائها قد يحدث — وهو شيء ليس بالجديد — لان الذى يحدد الخطبة بعد ذلك هو أسلوب الاداء ، والظروف المحيطة بالخطيب وبالمستمعين جميعا .. فان الجديد الذى يغير فعلا من قيمة الخطبة التي تكون قد تشكلت بعد الانتهاء منها — هو اعادة كتابتها ، ولا سيما اذا مضى وقت طويل على القائها .

ومع ان (الخطبة) تلتقي مع (المقالة الادبية) في جوانب الاتقان اللغوى ، وفي انفعال كل من (الكاتب والخطيب) بالفكرة أو الموضوع ، وفي قصد كل من النوعين من حيث التأثير في المتلقي ،

---

(10) الابراهيمي : (كلمة في الاحتفالات) الشهاب . ج 4 م 14 . ص: 183 .

وفي الطول المتوسط لكل من الخطبة والمقالة .. الا أنه في النهاية ينبغي الا يغيب عنا أن " الاصل في الخطبة هو انها تلقى لكي يستمع اليها الناس لا ان تكتب فيطالعها القراء " (11) .

ولذلك فان عملية اعادة كتابة الخطبة بعد القائها يقترب بها من (المقالة الادبية) ويضعها في سياق الانواع النثرية — وخصوصا الادبية — ذوات النصوص القصيرة ، كالمحاضرة ، والتعليق والتقرير والتصدير والتمهيد والتقديم والكلمة ، وما شابه هذه الانواع .

ولو حاولنا ابراز اهم سمات الخطبة عند الابراهيمي لوجدنا انها تتسم في الغالب بانها : تؤثر في المستمعين بما تشتمل عليه من خصائص دينية وفنية جميعا ، فالابراهيمي كان يحفظ القرآن الكريم ، كما كان يحفظ جل كتب الاحاديث ، ومعظم كتب السيرة النبوية ، وشيء كثير من كتب التراث العربي الاسلامي (12)

" والابراهيمي خطيب مصقع يهز القلوب ببيان ساحر ، يعيد الى الاذهان ما كان للخطابة العربية من مكانة وسلطان في عهد قس بن ساعدة وسحبان " (13) .

والخطبة عند الابراهيمي تبتدئ — في الغالب — بحمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثناء على الصحابة والتابعين .. وكل ذلك في جمل قصيرة مسجوعة متكررة ومتوالية (14) .

---

(11) محمد عوض محمد (دكتور) : محاضرات عن فن المقالة الادبية . جامعة الدول العربية . معهد البحوث والدراسات العربية سنة 1959 . ص : 9

(12) ينظر مقال : " انا " للابراهيمي : مجلة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . ج 21 لسنة 1966 م . ص : 136 ، 137

(13) عبد الرحمان شيبان : (عبقرية الامام الابراهيمي) : مقال ضمن كتاب : " الامام الرائد محمد البشير الابراهيمي ...." ص : 45

(14) ينظر مثلا : بداية (الجمعية دعوتها وغايتها) . الشهاب : ج 9 م9 . ص : 351 .

وهو اسلوب يهدف به الابراهيمي الى تهيئة افكار المستمعين ، وذلك بجلب انتباههم الى جوهر موضوع الخطابة .

وتشتمل خطبة الابراهيمي في عرضها للقضايا على كثرة الاقتباس من القرآن ومن الحديث ، كما تشتمل على استشهادات من التراث العربي الاسلامي (15) .

وهدف الابراهيمي من هذه الاقتباسات والاستشهادات هو خدمة القضية - موضوع الخطابة - بما يتفق مع اهداف جمعية العلماء التي كانت تقود الحركة الاصلاحية والوطنية في الجزائر ابان الفترة التي تمتد بها هذه الدراسة

ولما كانت الخطابة عند الابراهيمي تستند الى النصوص الدينية والى التراث العربي الاسلامي في خدمتها لقضايا التي تعرض لها فانه من الطبيعي تكون اللغة في هذه الحالة رصينة ، وان يبتعد الابراهيمي فيها عن الالفاظ العامية والاجنبية - التي يكثر احيانا من استعمالها في بعض المقالات الساخرة - وان يكون في هذه اللغة أكثر التصاقا بلغة التراث العربي الاسلامي .

وخطب الابراهيمي تتخللها - كمعظم الخطب - عبارات مثل :" ايها الاخوة الكرام - اخواني الاعزاء - ايها الناس ... الخ"

ونهايات خطب الابراهيمي لا تختلف كثيرا عن بداياتها من حيث تكرار الجمل القصيرة المؤثرة ، والتي تحمل - في الغالب - - وخصوصا في نهايات الخطب شحنات عاطفية ، دينية أو وطنية او انسانية .

---

(15) ينظر مثلا : (خطابة جمعية) الشهاب : جـ 2 م 6 . ص : 77 وما بعدها .

وليست الملاحظات السابقة الا نتيجة لواقع الابراهيمي في خطبه ـ وفي انتاجه النثري ـ خلال فترة هذه الدراسة ، فالابراهيمي كان يملك سمات الخطيب وادواته من ناحية (16) ، ويطمح الى دفع مواطنيه في اتجاه التطور الثقافي والفكري والوطني جميعا من ناحية اخرى .

ولان الخطابة لم تكن الوسيلة الوحيدة لتحريك مواطني الابراهيمي الى الاهداف السابقة ـ فضلا عن انها لم تكن الوسيلة الا مثل ـ فهي لم تكن لتصل الى اكبر عدد ممكن من الناس . وذلك نتيجة لضغط الادارة الاستعمارية التي لم تكن لتسمح للجزائريين بحرية الاجتماع ولا بحرية الانتقال الا في نطاق محدود جدا ، ولذلك ، فان المستمعين لخطب الابراهيمي هم ـ في الغالب ـ أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند اجتماعهم في نادي الترقي بالعاصمة الجزائرية ، أو هم المصلون في ايام الجمع في المساجد ، أو هم المستمعون للارشادات والدروس في مدرسة دار الحديث بتلمسان ..

---

(16) ((وان لم ار في تونس ، ولا اعرف في الجزائر ، ولم اسمع في خطباء وادباء وعلماء الاقطار العربية الشرقية ـ الذين ينقل الينا الاثير اصواتهم ـ من استقامت له طرائق التعبير ، وانقادت له ازمة البلاغة ، وواتته في اللسن الطلاقة والذلاقة واللباقة والارتجاليات مثل ما اوتي الابراهيمي من كل ذلك)) ؛ احمد بن ذياب " الخطابة والشيخ البشير الابراهيمي " : البصائر (السلسلة التالية) : السنة الثانية . العدد 39 . الاثنين 6 شعبان 1367 هـ . 14 جوان سنة 1948 م . ص : 5 .

1.2.2 — المقالة الادبية : نشأتها وتعريفها

اذا كانت الخطابة الجيدة تفضل المقالة في سرعة التأثير وسط مجموعة محدودة من المستمعين ، وخصوصا في مثل ظروف خطب الابراهيمي التي بين ايدينا ،فان (المقالة) تفضل الخطبة في امكانية انتشارها بين الناس على نطاق واسع وفي امكانية احتفاظها بوسائل تأثيرها في القراء ..

ولهذا فقد كتب الابراهيمي المقالات الى جانب (اعادة كتابة خطبه) ونشر الجميع في مجلة الشهاب او في صحف الجمعية وهي : السنة ، والصراط ، والشريعة والبصائر .

ولعلاقة المقالة بهدف الابراهيمي من ناحية ، وعلاقتها بالصحافة من ناحية اخرى ،فان محاولة بيان العلاقة التي تربط المقالة بالصحافة من جهة ، ثم محاولة تتبع مفهوم المقالة من جهة اخرى يصبح امرا مهما في هذا السياق ، اذ ان هناك من يرى ان " تاريخ المقالة في ادبنا العربي الحديث يرتبط بتاريخ الصحافة ارتباطا وثيقا ، فالمقالة ... نشأت في حضن الصحافة ،واستمدت منها نسمة الحياة منذ ظهورها(17) " .

والحق ان هذه المقولة يمكن مناقشتها على اعتبار انها قد تكون عكسية تماما ،فلم تقم الصحافة المكتوبة منذ البداية الا على اكتاف كتاف المقالة من الادباء ،وخصوصا في ذلك الوقت — أي في بدايات النهضة العربية الحديثة — الذي لم يكن فيه مجال للصحيفة ان تباع وان توزع وان تنتشر اذا لم يكتب فيها الادباء المشهورون ، وفي ذلك الوقت الذي لم يتوفر فيه للصحف من يملأ اعمدتها من الاخبار بين الصحافيين — غير الادباء —

---

(17) محمد يوسف نجم (دكتور) : فن المقالة : دار الثقافة : بيروت-لبنان ، ط 4 ، سنة 1966 م . ص : 64 ، 65 .

واذن فقد بدأت الصحافة عالة على اكتاف الكتاب والادباء . هذا ، فضلا عن ان هناك من النقاد من يرى ان المقالة اقدم تاريخا من الصحافة ، وأنه " ليس بصحيح ان ظهور المقالة كفن ادبي مرتبط بظهور الصحف والمجلات ،فقبل ان تعرف الصحف وقبل ان يخترع فن الطباعة الآلية بقرون طويلة عرف فن المقالة ، حيث اختاره عدد من الادباء قالبا فنيا منذ عصر اليونان القدماء (18) ".

واذا كان الاستاذ عباس محمود العقاد يعود بجذور أدب المقالة في اللغة العربية الى انواع من النثر في الادب العربي القديم كالفصول وكالمقالة (19) وذلك قبل ان تنشأ الصحافة وتستقر المقالة فيها كنوع نثري لا غنى للصحافة عنه بنوع آخر من انواع الكتابة النثرية الوجيزة (20) ، فان الدكتور محمد عوض محمد لا يبعد عن هذا الرأي حين يعتبر (الخطبة) في ادبنا العربي القديم — هي الصورة الاولى للمقالة الادبية ، فعنده ان المقالة قد تولدت من الخطبة، وان هذا التولد جاء نتيجة للتطور الطبيعي للنثر الادبي (21) .

وبناء على الرأي الاخير ،فانه لما كان فن الخطابة في الادب العربي اقدم من فن الصحافة ،فان المقالة بالتالي اقدم نشأة من الصحافة ،واذن فليس رأي من يقول ان المقالة — والمقالة الادبية على وجه الخصوص — بنت للصحافة — بالرأي الحاسم في هذا الموضوع ، بل لعله اقرب الى الضعف منه الى القوة .

ويمكن الاشارة في هذا السياق الى ان الدكتور عبد الله الركيبي يرى ان المقالة الادبية جاءت متأخرة عن المقالة الصحفية (22)

---

(18) محمد مندور (دكتور) : الادب وفنونه دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مطبعة نهضة مصر بالفجالة بالقاهرة ، ط 2 (دون تاريخ) ، ص: 193 .

(19) يسألونك : دار الكاتب العربي . بيروت ـ لبنان . ط 3 ، سنة 1968 . ص : 5 .

(20) المصدر السابق ص: 6 .

(21) محاضرات عن فن المقالة الادبية ، ص : 10 .

(22) تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974) معهد البحوث والدراسات العربية العالية . القاهرة سنة 1976 . ص : 131 .

وهو ما لا يتفق مع واقع النثر العربي ، ولا مع واقع تاريخ فن الصحافة العربية .. صحيح ان المقالة الادبية قد وجدت مجالا واسعا للتطور والانتشار في احضان الصحافة ، ولكن الصحيح كذلك هو ان هذا النوع من التأليف النثري قد وجد - بغض النظر عن التسميات التي كان يكتب تحتها - قبل فن الصحافة[23] ثم أن هذا النوع النثري قد ساهم في دفع الصحافة الى النمو والانتشار ، ثم تطور مع الصحافة لالوان اخرى من النثر من بينها المقالة الصحفية والخبر والتحقيق الصحفي وغيرها من الانواع النثرية التي تشكل اليوم مواد الصحف اليومية .

واذا كان هناك من لا يتفق مع الدكتور نجم في جعله المقالة بنتا للصحافة - كما سبقت الاشارة الى ذلك قبل قليل - فان هناك من لا يرضى كذلك عن الاساس الذي قسم المقالة الادبية على اساسه ، فقد قسم الدكتور نجم المقالة الادبية الى مقالة (ذاتية) ومقالة (موضوعية) ، ثم قسم (المقالة الذاتية) الى صورة شخصية ، والى مقالة نقدية ، ومقالة وصفية ، ومقالة تأملية .. كما قسم (المقالة الموضوعية) الى مقالة علمية ، ومقالة فلسفية . ومقالة تاريخية[24]... الخ .

فالاستاذ عبد الجبار البصري مثلا لا يرضي عن تقسيم المقالة الادبية على هذا النحو ، وانما يرى بدلا من ذلك ان المقالة الادبية اما ان تكون فنية ، أو غير فنية . فاذا كانت المقالة غير فنية فهو يرفض ان يدخلها في نطاق المقالة الادبية ، وانما هي عنده في هذه الحالة بحث أو دراسة او أي شيء آخر غير المقالة الادبية[25] .

---

(23) ينظر : عباس محمود العقاد . يسألونك . ص : 5 - 6 .

(24) فن المقالة : دار الثقافة . بيروت - لبنان ط 4 سنة 1966 ص : 95 .

(25) رواد المقالة الادبية في الادب العراقي الحديث : منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية . سنة 1395 هـ - 1975 م . ص : 18 .

ولكن ما هي المقالة الادبية ؟

ان محاولة اعطاء صورة محددة او تعريف شامل للمقالة الادبية أمر ليس من السهولة بمكان ، شأنه شأن محاولة اعطاء تعاريف لمعظم الانواع الادبية والفنية عموما .

وتعود صعوبة ذلك في المقالة الى اختلاف النقاد في نشأتها ، واختلافهم في انواعها ، واختلافهم حول دواعي واسلوب كتابتها . وقد جسد احدهم هذه الصعوبة حين حاول تعريفها فقال : " ان المقالة نوع من الكتابة الادبية نعرفها ولا نستطيع تعريفها (26) ".

وقريب من هذا ما يراه الاستاذ فاروق خورشيد من " أن الحصول على تعريف واضح للمقال يكاد يكون امرا متعذرا ، وانما يمكننا أن نقول انه ذلك الشكل من الكتابة الذى يتجه فيه الكاتب الى فارئه اتجاها مباشرا ، ينقل له افكاره وآراه دون ارتباط بقالب تعبيرى محدد من تلك القوالب التي اصطلح على تسميتها بالقصة أو الرواية او الدراما أو الشعر (27) ".

وما يمكن ملاحظته على التعريف السابق هو ان الاسلوب المباشر لا يدخل المقالة في حديقة الفن الادبي الذى يعتمد اسلوب الايحاء والتلميح ، ويتنافى مع اسلوب التقرير المباشر . ولعل عدم وضوح تعريف الاستاذ خورشيد السابق للمقالة يبدو اكثر حين حاول ان يجعل لها قالبا غير قوالب انواع الفن الادبي الاخرى التي ذكرها وهي القصة والرواية والمسرحية والشعر .

لكن الاستاذ خورشيد يعلم جيدا أن فنية أى نوع أدبي لا تعتمد على مجرد القالب الذى ينتسب اليه ذلك النوع ، والا لماذا يجهد النقاد انفسهم في تحليل الاعمال الادبية ؟

---

(26) محمد بدران في المقدمة التي كتبها عند تعريبه لـ : مقالات مختارة من الادب الانجليزى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر . سلسلة الفكر الحديث . العدد 6 . (دون تاريخ) . ص: (أ) .

(27) بين الادب والصحافة . دار الفكر العربي . ط 2 . اكتوبر سنة 1972 . ص: 120 .

وحتى عندما التجأ الاستاذ خورشيد الى القالب ليفرق به بين المقالة وبين غيرها من الانواع الادبية ،فانه نسي انواعا اخرى لم يميز قالب المقالة عن قوالبها ،أم أن الاستاذ خورشيد لا يؤمن بأن (المقامة والرسالة والخطبة والخاطرة) قد تدخل ضمن الانواع الادبية ؟

ومع ذلك ، فقد عرف الاستاذ خورشيد للمقالة الادبية تعريفا آخر اقرب الى وصف واقع هذا النوع الادبي من تعريفه السابق ، اذ قال :" ان المقالة الادبية عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول ، وتكون عادة منشورة في اسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد، وتعالج موضوعا من الموضوعات ، ولكنها تعالجه — على وجه الخصوص — من ناحية تأثر الكاتب به . فالعنصر الذاتي هو اساس في كل عمل أدبي لابد ايضا ان يتوفر في المقال اذا اريد به ان يدخل ضمن الاطار الادبي ... وقد اهتم بها نقاد الادب اهتماما كبيرا على اساس من هذا الفهم لرسالتها." (28)

ويعرف الاستاذ عبد الجبار البصري المقالة الادبية بقوله " انها نوع من الابداع الفني الادبي ، معتدل الطول ،يتحدث — نثرا — عن تجربة شخصية تتناول ظاهرة واحدة — حديثا عفويا لا تكلف فيه". (29)

ويرى الدكتور محمد عوض محمد ان المقالة الادبية تأليف منثور يعالج موضوعا مهما ، صيغ صياغة ادبية ،تؤثر في النفس وتعرض الموضوع عرضا شائقا. (30)

والدكتور زكي نجيب محمود يهتم بجانبين آخرين من جوانب فن المقالة وهما : كاتب المقالة ،واسلوب المقالة ،فمن الجانب الاول يرى ان كاتب المقالة تكفيه ظاهرة صغيرة مما يعج به العالم من حوله فيأخذها نقطة ابتداء ثم يسلم نفسه الى احلام يأخذ بعضها برقاب بعض دون ان يكون له اثر قوي في استدعائها عن عمد وتدبير (31) .

(28) المصدر السابق ص : 122 ، 123 .

(29) رواد المقالة الادبية في الادب العراقي الحديث ،ص : 11 .

(30) محاضرات عن فن المقالة الادبية ،ص : 22 .

(31) نقلا عن : عبد الجبار البصري : رواد المقالة الادبية في الادب العراقي الحديث . ص : 20 .

وعن الجانب الثاني يرى ان أسلوب المقالة ينبغي أن يعرض للفكرة بصورة غير مباشرة ، كما يفترض في اسلوب المقالة الادبية ان يحمل شيئا من نفسة كاتبها .

وقد يعبر كاتب المقالة الادبية عن فكره بروح ساخطة ولكن سخطه لا يظهر الا في صورة ساخرة هازلة .. والرمز في هذه الحالة سلاح في يد كاتب المقالة الادبية (32).

فالمقالة الادبية اذن نوع نثري يتراوح طولا بين الخاطرة والفصل ، ويعبر عن موقف كاتبه من احدى جزئيات الحياة باسلوب غير مباشر قد يتسم بشيء من السخرية ، وان كان لا يتسم بالغموض في لغته أو في معانيه .

1.2.2.1 — المقالة عند الابراهيمي : دورها وملامحها .

ومقالات الابراهيمي في هذه الدراسة توسلت الى غاياتها بأكثر من اسلوب . وتغير الاساليب عند الابراهيمي لا يعني اكثر من ان يكون المقال معبرا — فكرا واداء — عن الهدف الذى يريد الكاتب تحقيقه .

أما الهدف من المقال عند الابراهيمي — كما هو الحال من بقية الانواع النثرية عنده في هذه الفترة — فهو محاولة التعبير عن فكره — الذى حاول القسم الاول من هذه الدراسة رصد وتحليل جوانبه — ازاء ما كانت عليه أوضاع وطنه ومواطنيه ، ثم هو في الوقت ذاته وسيلة وأداة ، وسيلة للاتصال الفكرى بقرائه حول اوضاعهم ، وأداة تبصرهم بسبل تغيير واقعهم .

---

(32) ينظر : زكي نجيب محمد (دكتور) . قصاصات الزجاج . دار الشروق . القاهرة . ديسمبر 1974م . ص: 7 .

وأما الاساليب التي اعتمدها الابراهيمي لبلوغ هذه الاهداف فمنها التعبير عن القضايا الوطنية في ثوب انساني عام كما هو الحال في مقالي :" الانسان أخو الانسان"[33]. و " الانسانية : آلامها واستغاثتها"[34].

وأسلوب الابراهيمي في هذه الحالة يرتدى ثوب التقية والتحفظ ، ويعمد الى العمومية التي يسندها عمق واتساع في الثقافة .

يقول الابراهيمي في مقال : (الانسانية : آلامها واستغاثتها)
" استغاثت الانسانية قديما بأبنائها الصادقين على ابنائها المارقين ... فأغاثها الانبياء والمرسلون والعباد الصالحون ... واستغاثت من اعداء العقل المفكر ... فأغاثها الحكماء والربانيون والفلاسفة الاشراقيون . واستغاثت من طواغيت الاستبداد وقياصرة الاستعباد ،فأغاثها دعاة الديمقراطية وأنصار المساواة والانصاف ، فما كاد المتنبى واضع شريعة التمايز بين السادة والعبيد يجف ثراه ،حتى قبض الله له فيلسوف المعرة ناسخا لتلك الشريعة الجائرة ، ومبشرا بشريعة الاخوة السمحاء . واستغاثت من المشعوذين المحتالين ... الذين يستغلون جهل الجهلاء ويمتصون دماء البسطاء ـ البائعين للشفاعة ، العابدين للوهم ،المفترين بالاسماء والالقاب وشهرة الانساب ، الوارثين لما لا يورث من التسلط على العباد بعظمة الآباء والاجداد ، فأغاثها العلماء المصلحون وحزب الله المفلحون .
وهي الآن تستغيث من داهيتين ،وتستجير من غائلتين ... هي تستغيث من داهية الحرب ...
فمتى يقف عقلاء الامم بين الصفين ، موقف دعاة التحكيم يوم صفين ؟ لا ندرى ولا ندرى لماذا لا ندرى ؟

---

(33) الشهاب : جـ 8 م 5 ، ص : 7 .
(34) الشهاب : جـ 1 م 6 ، ص:10 .

وهي تستغيث من عائلة الفقر وشروره ... فمتى يفقه اغنياء الامم هذا السر فيعملون على اتقاء الشر ؟

لا ندرى ولا ندرى لماذا لا ندرى ؟

انما الذى ندريه ونقوله ولا نخيفه هو انه لو تساند اغنياء الامم ومدوا ايديهم متعاضدين ... لأحسنوا لانفسهم وللعالم (35).

فالفقرة السابقة يمكن ان نأخذها على انها استعراض وتتبع لمراحل معاناة الانسانية ،وهي دليل على اتساع ثقافة الابراهيمي ، ودليل على عمق ادراكه لاحداث صراع الانسانية الديني والفكرى والسياسي والادبي والاجتماعي جميعا .

ويمكن اخذها على انها صدى لأحداث بيئة الابراهيمي وعصره . ومن هنا فهو يعرض بالطرقية واعمالها من مثل استغلالها لجهل العامة ومن مثل وراثتها للأسماء والالقاب . وهويعرض من ناحية اخرى بأعمال الاستعمار الاستبدادية ، من ذلك قوله :((واستغاثت من طواغيت الاستبداد وقياصرة الاستعباد)).

ومع ذلك فاننا لا نستطيع اخفاء سمة التحفظ والتقية التي تغشى المقال السابق من ذلك مثلا اننا لا نعلم ان حربا هددت الانسانية سنة 1930 .. والابراهيمي ينص على هذا التحفظ في قوله من الفقرة السابقة:((انما الذى ندريه ونقوله ولا نخفيه)) .

وتتجلى سمة التحفظ والتقية هذه في صب (الواقع المجلى) في ((قالب انساني) في معظم المقالات التي كتبها الابراهيمي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

وهناك بون شاسع بين التستر في مقالاته لفترة ما قبل الجمعية ،وبين مقالات فترة " عيون البصائر " ، بل وبين مقالات: تعالوا نسائلكم التي كتبها سنة 1933 م .

ومن أساليب الابراهيمي في كتابة المقالة ان يعبر عن فكره وفكر اعضاء الجمعية عن طريق الصراع الجدلي الذى يكتسي صبغة

---

(35) الابراهيمي : الانسانية آلامها واستغاثتها : الشهاب ج 1 م 6 ص : 10 ، 11 .

من السخرية والتهكم . وأهم المقالات التي تمثل هذا الاتجاه : حلقات (تعالوا نسائلكم [36]).ومقاله حول " آثار اعتقال الاستاذ العقبي في الامة الجزائرية ونتيجته للدعوة الاصلاحية [37] .

يقول الابراهيمي في الحلقة الاولى من سلسلة "تعالوا نسائلكم " مصورا حالة ادعاء الطرقيين للسنة النبوية :

" فما بال اصحابنا علماء السنة يتسمون باسم لا يلتقون مع معناه في طريق ،ولا يقوم عليه شاهد من اقوالهم ، ولا ينزع عليه دليل من افعالهم ـ لولا انها الشعوذة لبستهم فانكرناهم فيها ،فلبسوها فانكرناها عليهم ، فخرجوا من باب اللباس الى باب التلبيس..! [38] "

وهناك أسلوب آخر ينتهجه الابراهيمي في كتابة المقالة وهو (صب الواقع المحلي) في (قالب قومي واسلامي) وهو في هذا النوع الثالث يراوح بين الاسلوب الساخر والاسلوب التصويري الذى يحتوى على شيء من المقارنة . ومن اهم المقالات التي تمثل هذا الجانب مقالا : (الاسلام والمسلمون [39]) و (أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين ؟؟ [40]) .

يقول الابراهيمي من مقال (أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين ؟) مصورا تقديره لمن كانوا يتلقبون بلقب شيخ الاسلام عن طريق مؤهلاتهم العلمية ،وعن طريق ثقة اهل زمانهم في علمهم وفي اخلاقهم ـ مقابلا ذلك بشيء من التهكم بلقب الشيخ الطاهر بن عاشور الذى افتى بما لا يتفق مع اصول الاسلام ، مع انه يحمل لقب " شيخ الاسلام " :

---

(36) ينظر: السنة النبوية المحمدية : الاعداد : 7 ، 9 ، 11 .

(37) ينظر : الشهاب : ج 7 م 12 . ص : 312 .

(38) الابراهيمي : تعالوا نسائلكم : السنة النبوية المحمدية . العدد 7 .ص: 1 .

(39) ينظر : السنة النبوية المحمدية : العدد 4 . ص : 3 وما بعدها .

(40) ينظر : البصائر : السنة الاولى . العدد 20 . ص : 1 .

يقول : " وما ظنكم لو أن التاريخ الاسلامي العام يؤلف من عظمائه هيئة امتحان ، ويكون من اصولها ان تعطى على درجات الامتحان القابا معرفة ، لا غالية ولا مجحفة ، ثم يتقدم اليها (ابن القيم) بكتاب (زاد الميعاد) على انه (اطروحته العلمية) ، الا يكون من الانصاف ان يعطى لقب شيخ الاسلام = ؟

ويتقدم اليها الشيخ الطاهر بن عاشور بفتواه هذه (41) على انها (تازه العلمي) - وعفوا فان لكل زمان تعبيرا - الا يكون من العدل ان يعطى لقب شيخ المسلمين ؟ ...

فان غضب الشيخ فأمري وأمر الاسلام الى الله (42) " .

وقبل الانتقال من الحديث عن المقالة الى نوع نثري آخر لابد من الاشارة الى اننا سوف نعتبر معظم النصوص التي اطلق عليها الابراهيمي خلال هذه الفترة اسم التصدير او التمهيد او المقدمة أو التعليق أو المقتطف مقالات ، وذلك لاعتقادنا انها لا تختلف في جوهر بنائها الذي يتسم باسلوب بناء المقالة ، وان اختلفت طولا وقصرا ، أو اختلفت في التسمية .

* * *

---

(41) يوجد نص الفتوى في : البصائر : السنة الاولى : العدد 15 . ص : 3 . بعنوان : حكم قراءة القرآن على الجنازة .

(42) محمد البشير الابراهيمي : أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين = ؟ ؟ البصائر : العدد 20 . ص : 1 .

1.2.3 - المحاضرة : نشأتها ومنهجها .

أما النوع النثري الثالث الذي عبر الابراهيمي من خلاله - في فترة هذه الدراسة - فهو المحاضرة .

واذا كنا قد اشرنا في بداية هذا القسم الى ان الخطبة تهدف الى مخاطبة الارادة وتحريكها - في المستمعين - نحو فعل معين ، فان هدف المحاضرة علمي بحت ، بمعنى انها توضح معنى أو موضوعا معينا وتفصل جوانبه تفصيلا علميا ، ولا تقصد - بشكل مباشر على الاقل - الى فعل معين .

واذا كنا قد اشرنا كذلك الى ان المقالة تتناول ظاهرة واحدة أو فكرة واحدة .. فان المحاضرة تتعرض لمجموعة من الظواهر او الافكار وتحاول الربط بينها - ربطا علميا - في موضوع واحد .

ولعل محاولة تبين العلاقة التي تربط بين (الخطبة أو المقالة) من جهة ، وبين (المحاضرة) من جهة اخرى لا تتضح بجلاء الا اذا تذكرنا انها تقترب - على نحو من الانحاء - من العلاقة التي تربط بين (الاقصوصة او القصة القصيرة) من ناحية ، وبين (الرواية) من ناحية اخرى ، " فالاقصوصة تدور على محور واحد وخط سير واحد ولا تتناول الا فترة محدودة من حياة الاشخاص أو حادثة خاصة ... بينما تعالج الرواية فترة من الحياة بكل ملابساتها وجزئياتها واستطراداتها وتشابكها ، وتصور مجموعة من الشخصيات - وقلما تصور شخصية واحدة - في محيط واسع من الحياة(43) " .

---

(43) عبد الجبار داود البصري : رواد المقالة الادبية في الادب العراقي الحديث ص : 20 .

وأدب المحاضرة ـ فيما يرى الاستاذ عبد الجبار البصرى ـ نوع نثرى قد اضيف الى الانواع النثرية الاخرى ،وخصوصا بعد تأسيس المدارس العليا والجامعات ،وقد حل هذا النوع الجديد محل الخطب المنبرية ـ التي لا تزال موجودة ـ والامالي في تراثنا العربي الاسلامي (44) .

والمحاضرة من الناحية الاصطلاحية هي :((جملة حقائق أو آراء في موضوع ما تلقى على جمهرة من الناس .

وقد تكون المحاضرة جامعية اذا ألقيت في موضوع علمي على مجموعة من الطلاب ، وقد تكون عامة اذا كان موضوعها يهم الناس عامة ومستمعوها من غير المتخصصين (45) .)) .

1 ٠ 2 ٠ 3 ٠ 1 ـــ المحاضرة عند الابراهيمي : أنواعها وسماتها .

والحق ان التحديد السابق لمصطلح المحاضرة قد ضيق من مجالها حتى إننا نجد ان نوع المحاضرة عند الابراهيمي لا يدخل ـ الا بكثير من التجاوز ـ تحت هذين النوعين من انواع المحاضرة ، لان مستمعي محاضرات الابراهيمي ليسوا طلاب علم في معهد أو جامعة ،وليسوا ـ في اغلب الاحيان ـ من عامة الناس . وانما هم اعضاء جمعية العلماء (46) ، ولذلك يمكن القول بان المحاضرة قد تكون علمية تعليمية ، وقد تكون علمية متخصصة يلقيها مختص في مجموعة من المتخصصين ،

---

(44) ينظر : المرجع السابق . ص : 37 .

(45) مجدى وهبة : معجم المصطلحات الادبية . مكتبة لبنان ـ بيروت . ص 279 .

(46) ينبغي ان نلاحظ ان (اعضاء جمعية العلماء) لم يكونوا جميعا من العلماء ، وانما هم مزيج من العلماء ،ومن الوطنيين المؤيدين لمشروع واتجاه العلماء المصلحين .

وقد تكون ادبية خاصة تلقى في جماعة من الخواص ،كما قد تكون ثقافية أو تثقيفية عامة .

ولعل هذا النوع الاخير اقرب وصف لمحاضرات الابراهيمي التي بين ايدينا ،لانه كان يلقيها - في الغالب - في اعضاء جمعية العلماء الذين هم مزيج من العلماء ومن عامة الناس .

وتتجلى في محاضرة الابراهيمي سعة ثقافته من ناحية ، وقدرته على القيادة والتوجيه من ناحية اخرى .

واذا كانت المقالة تحاول عند الابراهيمي ايضاح فكرة محدودة ،فان آفاق المحاضرة عنده واسعة من حيث التخطيط لحياة مواطنيه ، ودحض ادعاءات اعداء الدين واعداء الجمعية جميعا .

وأهم سمات المحاضرة عند الابراهيمي هي : انها اطول نصا من الخطبة او المقالة - الا ما[47] ندر - وأنها تبدأ بمقدمة يذكر فيها المحاضر (الابراهيمي) دواعي اعداده لمحاضرته ،مع احتواء هذه المقدمة على لمحة عاطفية خفيفة نحو من دعاه ، او من كان السبب في دعوته ،او من هيأ له ظروف القائه لمحاضرته . كما تحتوى مقدمة المحاضرة عند الابراهيمي على لفتة من التواضع او الاعتذار او تحميل (داعيه) او (الظروف) شيئا مما قد يظهر من جوانب النقص في المحاضرة ..

---

(47) لقد اعتبرنا (تصدير الابراهيمي لسجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - سنة 1935م) - مقالا ، وهو اطول النصوص التي بين ايدينا ،ولم نعتبره محاضرة لانه يلتقي مع المقالة من حيث اسلوب المعالجة ،ومن حيث الفكرة العامة التي عالجها ومن حيث ان كتب ليقرأ لا ليلقى امام جماعة من المستمعين .

من ذلك ان الابراهيمي قدم لمحاضرته "عرض الحالة العلمية" فقال :

" أيها الاخوة الكرام : ان موضوع هذه المحاضرة ـ عرض الحالة العلمية ـ هو ثمرة اقتراح اقترحه علي الاخ الرئيس(48) بالأمس ، فمن حقه علي ان اشكره على ارشادى لموضوع قد يكون مفيدا اذا جمعت اطرافه ، ولكن أنى لي ذلك ، وان غيرى لأملك به مني .

ولو ان الاخ الرئيس ـ سامحه الله ـ سلط على هذا الموضوع نظرات المؤرخ الصائبة المستفيضة ، لكان خيرا واحسن تنفيذا ، واذا كان من حقه علي ان اشكره فمن حقي عليه ان احمله حظه من عهدة التقصير فيما قصرت فيه من موضوع يحتاج الى بصيرة نافذة ، وذهن نير ووقت متسع ، وانا لا املك شيئا من هذه(49) ".

وقدم كذلك لمحاضرته في 7 رمضان سنة 1347 هـ بنادى الترقي بالعاصمة فقال : " من ابهج ساعات العمر ساعة يقف فيها أخ يحادث اخوانه على بساط الشعور المشترك والاحساس الصادق ... يدعوهم فيسمعون فيعرفون قيمة ما دعا اليه ، فيفوز الداعي بفضيلة الدعوة ... ويفوز المدعو بفضيلة الاسترشاد والعمل بالنصيحة ...

اخواني : ان كنتم اولئك المستمعين فلست بذلك الداعي لولا هيبة منكم نحو التقدم حركتني بعد السكون وانطقتني بعد السكوت.

قد استقر رأى جماعة من الاخوان على ان يكون موضوع المحادثة بيان فوائد الاجتماع ، ويعنون بالاجتماع(50) (الاتحاد) "

---

(48) يعني به الاستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثلاثينات .

(49) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) : الشهاب ، ج 9 م 10 ، ص 586 .

(50) الابراهيمي : محاضرة 7 رمضان سنة 1348 هـ بنادى الترقي بالعاصمة الجزائرية : الشهاب ج 5 م 5 ، ص : 6 .

واذا كانت بداية المحاضرة عند الابراهيمي تحمل عبارات التواضع والشكر والاعتذار المسبق على جوانب النقص .. فان نهايتها تشتمل على عبارات النصح والتوجيه الى ما يفيد مستمعيه ، ومن ذلك مثلا ما جاء في نهايتي محاضرتيه السابقتين ، اذ يقول في نهاية محاضرة (عرض الحالة العلمية) :

((فأوصيكم يا شباب الخير بادمان المطالعة والاكباب عليها ، ولتكن مطالعتكم بانتظام حرصا على الوقت ان يضيع في غير طائل . وان كنتم تريدون الكمال ، فهذه احدى سبل الكمال(51))).

كما يقول في نهاية محاضرة (7 رمضان 1347 هـ بنادي الترقي بالعاصمة) : " واعيذكم ان تكونوا ممن يجهل قيمة النفع العام او يعرف ولكن لا ينفع ولا يعاضد . ويقيني انكم لا تتأخرون بعد الان عن امداد امثال هذه المشاريع بالمساعدة المادية والمعنوية ولاسيما بعد ظهور النتائج المشتركة ، وعلمكم ان المال اساس كل عمل ، وان القليل مع الاجتماع كثير . وان أثنينا عليكم فلأن الشكر مدعاة المزيد ، والكامل يقبل الكمال(52) ".

واذا كانت ملامح اسلوب الابراهيمي في بداية المحاضرة وفي نهايتها تتسم بنغمة عاطفية ، فان اسلوبه (علمي) في مناقشته للأفكار والقضايا التي تتعرض لها المحاضرة ، او في المقارنات التي يعقدها بين القضايا او الظروف او الفترات المتباينة التي ترد في صلب المحاضرة ، فمن ذلك ما يقوله في موضوع تقديم الجمعية للاصلاح الديني على الاصلاح العلمي ، وذلك في محاضرة (عرض الحالة العلمية) : " ان تقديم الجمعية للاصلاح الديني على الاصلاح العلمي ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد ، حتى اصبح من آثاره اللازمة . التزهيد في العلم .

---

(51) الابراهيمي : الشهاب : جـ 9 م 10 ، ص : 402 .

(52) الابراهيمي : (محاضرة الاستاذ الشيخ البشير الابراهيمي بنادي الترقي بالعاصمة) . الشهاب : جـ 7 م 5 ، ص : 7 .

وليس معنى هذا ان الجمعية لم تحم حول الاصلاح العلمي ؛ فدروس رجالها واسلوبهم في دروسهم - كل ذلك امثلة من الاصلاح العلمي ونهج جديد نهجوه له ، وطريقة تحتذى فيه .

وانما نريد ان المظهر الممتاز الذى ظهرت به الجمعية وتجلت آثاره واشتهرت اثماره حتى غطى على جميع مقاصدها - هو الاصلاح الدينى (53) .

ومن ذلك ايضا قوله في محاضرة اخرى " فالمزاحمة في المال تضر وتنفع ... وهذا العلم - وهو قرين المال واخوه في تكوين الحضارة الوقتية - تفيد المزاحمة فيه ولا تضر .

وفي هذا المقام يجب الانفقر بالموجود (من المال) ولا نقنع بطرق الاستثمار التي قلدنا فيها غيرنا ، ولا تكون هذه النتائج التي لم يكن آباؤنا يحلمون بها قاطعة لنا عن طلب المزيد (54) " .

ومن سمات المحاضرة عند الابراهيمي كذلك ، انها تربط بين جزئين او مجموعة من الاجزاء في موضوع واحد . من ذلك ان محاضرة (عرض الحالة العلمية) مبنية على الموازنة بين (الحالة العلمية في الجزائر في الثلاثينات) وبين (حالة الجزائر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين) .

وموضوع محاضرة (7 رمضان 1347 هـ بنادى الترقي بالعاصمة) مبني على فوائد الاتحاد : ، ولذلك فان الابراهيمي يناقشه من خلال عناصر اربعة هي : الدين والاخلاق والعلم والمال .

---

(53) الابراهيمي : عرض الحالة العلمية : الشهاب : ج 9 م 10 . ص : 387 - 383 .

(54) الابراهيمي : محاضرة 7 رمضان 1347 هـ : الشهاب : ج 6 م 5 : ص : 6 وما بعدها .

ولان المحاضرة عند الابراهيمي مقسمة الى مجموعة من الفقرات فان كل فقرة تبتدىء باحدى عبارات : (ايها الاخوة الكرام — ايها الاعزاء — اخواني الاعزاء ... الخ) .

وتتجلى هذه الظاهرة عند الابراهيمي في محاضرات : " العربية : فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية" (55) و " عرض الحالة العلمية " (56) و " محاضرة 7 رمضان 1347 هـ بنادي الترقي بالعاصمة" (57) .

* * *

1.2.4 — التقرير والتحقيق الصحفي :
مفهومهما والفرق بينهما .

وهناك نوع نثري آخر اهتم به قلم الابراهيمي في هذه الفترة وهو التقرير او التحقيق الصحفي ، فقد كتب الابراهيمي مجموعة من النصوص تدخل في هذا المجال ، منها تقريره حول محو الامية الذي تقدم به الى مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1935م (58) ، و مجموعة من النصوص التقريرية الصحفية التي كتبها في سلسلة البصائر الاولى حول المؤتمر الاسلامي الجزائري الاول (59) سنة 1936 ، . وكتب في الشهاب (60) كذلك تقريرا راقيا حول هذا الموضوع ، كما كتب تقريرا ايضا حول المؤتمر الاسلامي الثاني سنة 1937م (61) .

---

(55) الشهاب : ج 1 م 15 ، ص : 11 .

(56) الشهاب : ج 9 م 10 ، ص : 386 .

(57) الشهاب : ج (5 ، 6 ، 7) صفحات : 6 ، 6 ، 7 على الترتيب .

(58) (تصدير) السجل : ص : 35 .

(59) البصائر : العددان : 23 ، 24 ،

(60) ينظر : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج 4 م 12 ، ص : 1 .

(61) ينظر : (المؤتمر الاسلامي الجزائري مظهر اتحاد الامة الجزائرية وقوتها) . البصائر . العدد : 67 ، ص : 1 .

بالاضافة الى التحقيقات الصحفية التي كتبها حول اغتيال الشيخ كحول واعتقال الاستاذ العقبي واغلاق نادي الترقي بالعاصمة(62) .

وقبل محاولة ابراز سمات هذا النوع النثري عند الابراهيمي ينبغي الاشارة الى ان مفهوم التحقيق الصحفي او(الريبورتاج) هو جمع المعلومات حول قضية او موضوع معين ، ثم الاخبار بها . وصفة (التحقيق) في اسم هذا النوع النثري تعني : (معرفة المعلومات والاخبار بها ، ولا تعني دراستها او تحليلها) ، " فالتحقيق الصحفي هو المعلومات الجديدة عن الخبر القديم ... وهو اقرب ما يكون الى الخبر في كل سماته منه الى اي لون من الوان الكتابة الاخرى(63) " .

ولعله من باب عدم الدقة ان نفهم تطابق (التقرير) و (التحقيق) مطابقة تامة ، فربما كان التقرير اقرب الى الدقة العلمية من التحقيق الصحفي ، لاعتماد التقرير — في الغالب — على الجداول والاحصائيات الرياضية وعقد نسب ومقارنات بين الكميات او الفترات التي يعني بها التقرير ، في حين ان جوهر (التحقيق الصحفي) هو السبق الاعلامي لمجموعة من المعلومات الجديدة ، او الكشف عن جوانب جديدة في معلومات سابقة . وربما اقترب بنا مفهوم (التحقيق الصحفي) من مزيد (اختصاصه) بالجوانب السياسية او الاجتماعية العامة ، أو (اعتنائه) بجوانب غامضة في حياة بعض المشهورين من الساسة او الفنانين .. بينما يهتم التقرير بمتابعة تطور او تغير قضية من القضايا العلمية أو الاجتماعية أو بمتابعة جانب منها ت والوقوف على خط سير حركتها ، مع تفسير معنى هذه الحركة والوصول من خلالها الى نتيجة ، بغض النظر عن ايجابيتها او سلبيتها .

---

(62) ينظر : (مقتل الشيخ كحول : ليسجل التاريخ ولتشهد الاجيال المقبلة) . البصائر العدد 32 ، ص : 1 .

(63) فاروق خورشيد : بين الادب والصحافة ، ص : 78 .

1.2.4.1 — التقرير والتحقيق الصحفي عند الابراهيمي اهدافهما ووسائلهما .

ولكن هل تغير هدف الابراهيمي عندما عبر بالتقرير أو بالتحقيق الصحفي عنه في الخطابة او المقالة او المحاضرة ؟

اذا كان الابراهيمي قد حاول تحريك مستمعيه في الخطابة الى الاهداف الدينية والوطنية .. واذا حاول ان يوسع دائرة اتصاله الفكري والعاطفي في صورة المقالة التي تحملها الصحيفة الى كل من يستطيع القراءة في الوطن — على قلتهم في تلك الفترة — وخارج الوطن ، على امتداد المسافة التي تصل اليها صحف الاصلاح وصحف الجمعية ، واذا اراد ان يعمق ويوسع دائرة ثقافة ووعي مستمعيه في المحاضرة التي بامكانها ان تتحمل مثل هذه المسؤوليه .. فان هدف الابراهيمي من كتابة التقرير او التحقيق الصحفي ظل كما هو — في الانواع النثرية السابقة — لم يتغير ، وانما الذي تغير هو الوسيلة ، وظل الهدف واحدا متمثلا في التوعية والتعليم ، وكشف الجوانب المظلمة في حياة الجزائريين وتوجيههم نحو ما ينير حياتهم ويغير من واقعهم الى واقع افضل ، ففي تقرير الابراهيمي عن الامية يصورها في اقبح الصور حتى يتفاداها المواطنون ، فيقول :

" فاذا كنا نعرف من شؤون الافراد ان من يصاب منهم بشلل تتعطل منه وظيفة العضو المصاب ، كذلك يجب ان نعرف من شؤون الامم هذه الاثار السيئة التي تنشأ عن الامية ، وهي تعطيل المواهب والقوة ، مع الفرق العظيم بين تعطيل وظائف اجزاء الجسم ، وبين تعطيل اجزاء الامة(64) ".

ثم يتساءل الابراهيمي بعد ذلك — في شيء من السخرية والتهكم — عن دور الخطباء والشعراء والعلماء والاثرياء ، من الجزائريين ، في محو الامية ، وذلك لتحريكهم نحو مقاومتها في المجتمع الجزائري(65) .

---

(64) الابراهيمي : تقرير الاستاذ محمد البشير الابراهيمي عن الامية . السجل ص : 86 ، 87

(65) ينظر : المصدر السابق ص : 89 ، 90 .

اما اهم سمات هذين النوعين النثريين كما تظهر من خلال ما بين ايدينا من نصوص الابراهيمي ، فان التقرير او التحقيق الصحفي يبدأ بمقدمة هي تمهيد للموضوع ، وهذه المقدمة اما ان تشتمل على افكار جدلية او فلسفية حول اهمية موضوع التقرير ، كما هو الحال في مقدمة (تقرير الابراهيمي عن الامية) الذي سبقت الاشارة اليه ، واما ان تبدأ بوصف فيه شيء من المبالغة وشيء من الاطناب بتكرار صيغ بدايات الفقرات التي تحمل نفس المعنى - تقريبا - مع اختلاف في طريقة الصياغة (66) .

والمقدمة في هذه الحالة وصف للعناصر او للأحداث التي سوف تساهم في تشكيل موضوع التقرير أو (التحقيق الصحفي (67)) .

والوصف في المقدمة عند الابراهيمي - في هذا النوع النثري - يشوقنا لمعرفة وقائع الموضوع (68) ، أو يوقع في نفوسنا الرهبة منه (69) ... وذلك لاشتمال هذه المقدمة على عناصر مثل المبالغة والاسراف في الاطناب ...

واذا كان المفروض في التقرير أو (التحقيق الصحفي) اننا لا نلمح من خلال اسلوبه روح كاتبه ، فان عكس ذلك - تقريبا - هو ما يحدث في تقارير أو تحقيقات الابراهيمي ، وخصوصا في مقدماتها او في خواتمها ، وهو ما يجعلها على علاقة بالخطابة في (التقرير) وعلى صلة بالمقالة في (التحقيق الصحفي) .

وعندما ننتقل مع الابراهيمي من المقدمة الى عرض الموضوع ، فان اهم سمة تطالعنا هي تقسيمه للتقرير او للتحقيق الصحفي الى فقرات

---

(66) ينظر : مقدمة نص (يوم الجزائر " : الشهاب ج 4 م 12 ص : 190 .

(67) يتضح ذلك اكثر من نص " مقتل الشيخ كحول " : البصائر : السنة الاولى : العدد 32 . ص : 1 .

(68) كما هو الحال في مقدمة نص " يوم الجزائر " الشهاب ج 4 م 12 . ص 190 .

(69) كما يتضح من مقدمة نص : " مقتل الشيخ كحول " ص: 1 .

يجعل لها عناوين لامعة مثل : (وقفة على اطلال الحادثة - او لتحد للمكيدة - مستند العدلية في اعتقال الاستاذ العقبي(70)) ...
ومثل : (أمس واليوم - سر تعليق الامال على الجبهة الشعبية - فكرة المؤتمر - النقاط التاريخية في المؤتمر - يوم المؤتمر(71) .. الخ) .

وحتى عندما لا يضع العناوين،فانه يأتي بما يشعر المتلقي بالانتقال من فقرة او فكرة الى اخرى مثل قوله : ايها الاخوة الكرام ، او اخواني ، أو وضع اشارات عند الكتابة تشعر القارئ بالانتقال من جزئية الى جزئية اخرى(72) .

وينبيء الابراهيمي عبر عرضه للموضوع بمجريات الاحداث واسبابها واهدافها ، وقد يعلق عليها بلفت انتباه المتلقي الى خطورتها سلبا او ايجابا .

وفي عرضه للموضوع قد يكثر من ذكر الاسماء وذكر الاقتراحات ، وايراد بعض المقترحات على صورة بنود مرقمة ،بل وايراد بعضها بنصوصها كاملة ،كما هو الحال مثلا مع المقترحات التي قدمها الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس للمؤتمر الاسلامي الجزائري الاول سنة 1936م(73) .

واذا كان الابراهيمي في عرضه لمحتويات تقاريره ،او لاحداث تحقيقاته الصحفية قريبا من الموضوعية الى حد كبير ، فان هذه السمة تخونه في نهايات معظم التقارير او التحقيقات الصحفية .

---

(70) ينظر : (مقتل الشيخ كحول : ليسجل التاريخ ولتشهد الاجيال المقبلة) . البصائر . السنة الاولى . العدد : 32 . ص : 2 ، 3 .

(71) ينظر : (يوم الجزائر) . الشهاب : ج 4 م 12 . ص: 165 .

(72) ينظر : (تقرير الاستاذ محمد البشير الابراهيمي عن الامية) . السجل . ص : 85 .

(73) ينظر : (يوم الجزائر) الشهاب : ج 4 م 12 . ص : 210 .

من ذلك مثلا - انه يقول في الفقرة التالية من صلب تقريره عن التحضيرات التي سبقت يوم انعقاد المؤتمر الاسلامي الجزائري الاول - والذى سماه " يوم الجزائر " - انه :

"على الساعة التاسعة من صباح يوم السبت السابق ليوم المؤتمر - اجتمع بنادى الترقي افواج من شبان العمالات الثلاث منتدبين من اللجان التحضيرية التي تشكلت في مختلف المدن ، ومفوضين في النيابة عنها ، والتكلم باسمها .....

وشاركهم في هذا الاجتماع نواب تلمسان البلديون من بينهم :

السيد محمد بن سليمان نائب رئيس جمعية النواب بوهران ، والسادة : محمد القلعي المحامي ، ومحمد بن مرزوق - ومحمد حميدو ، وبنعودة بوعياد - نواب بلديون بتلمسان ، والدكتور الجيلاني بن التهامي ، نائب بلدى لمستغانم ، والسيد محمد لالوت نائب بلدى بسيدى بلعباس ، والسيد بن عمارة نائب بلدى بتيارت ، والدكتور سعدان نائب عمالي ببسكرة ، وجمهور من اعيان العمالات الثلاث ...

وانقضى هذا الاجتماع على الساعة الثانية عشرة . وفي عشية ذلك اليوم اجتمعت هيئات الشباب والاعيان بالنادى الرياضي لاتمام اعمالها التحضيرية .(74) "

كما يقول عن جلسة افتتاح المؤتمر واصفا بداية احداثها : -

" خطب الدكتور تامزالي باللغة الفرنسوية مرحبا بالمؤتمرين باسم مدينة الجزائر ، ثم خطب بعده الدكتور بن جلول خطبة الافتتاح وشرح اغراض المؤتمر فأجاد ، وبلغ من نفوس السامعين المراد .

وتكلم بعده الدكتور بن التهامي ، فالدكتور عبد الوهاب ، فالصيدلي عباس فرحات فكان كلامهم على وتيرة واحدة ، ومعناه اعلان البشرى للامة المتشوفة باجتماع النواب واتحاد الرأى على كلمة واحدة في جميع نقط المطالب ، ثم تعاقب الخطباء فكنت تسمع

(74) الابراهيمي : يوم الجزائر : المصدر السابق : ص : (200- 201) .

كلاما مختلفا ، وتفهم معنى واحدا ...[75]"

غير ان هذه الموضوعية التي تبدو في الوصف المجرد من الانفعال بالاحداث في عرضه لموضوع التقرير - تنقلب عنده في نهاية هذا التقرير الى انفعال يشعر القارئ من خلاله ان كاتب هذا التقرير قد اصبح مدافعا عن (قضية) - والحق ان الابراهيمي كان كذلك حتى عند ما يتقمص ثوب الصحافة - وليس مقررا او واصفا لمجريات احداث جلسات مؤتمر .. نحس ذلك منه عند ما يقول :

" وانك لتسمع بعض الالسنة تترجم عن قلوب جاهلة او مريضة تردد هذا السؤال : ماذا يعني مشاركة العلماء في مؤتمر سياسي ؟ كأنهم يريدون تخويفنا بهذا الغول الموهوم - غول السياسة - وتفويت الفرصة علينا بمثل هذه الترهات ، وكم اضاعت هذه الترهات على الغافلين من فرص ...

فويحكم .. ان العلماء الذين تعنونهم ،هم من الامة في الواقع والحقيقة ،في حال انكم لا تعدون منها الا على الزعم والدعوى، وان العلماء يمثلون الوصف الذي ما كانت الامة امة الا به ، وهو الاسلام ولسانه ...

ان جمعية العلماء هي المؤتمنة عن الدين ولغته العربية واليها يرجع الفضل في احيائهما بهذا الوطن - رغم الافاكين - واليها يرجع الفضل ايضا في المطالبة بحقوقهما بالصوت الجهير يوم كانت الاصوات خافتة والقلوب من الرهبة واجفة .

وان من دلائل عناية الله بهذا المؤتمر وتيسيره لليسرى ان اجتمعت فيه اقاليم الكمال كلها ،حتى اصبح - على الحقيقة - مؤتمرا اسلاميا جزائريا .[76] "

---

(75) الابراهيمي : المصدر السابق ، ص : 202 .

(76) الابراهيمي : يوم الجزائر : المصدر السابق : ص : 213 ، 214 .

والابراهيمي في تقاريره أو تحقيقاته الصحفية ـ يعتمد من حيث الصياغة ـ اذا ما استثنينا بعض المقدمات[77] ـ على لغة سهلة تقل فيها الكلمات والتراكيب الصعبة ، كما يقل فيها الاستشهاد بالتراث ، ويندر فيها الاقتباس من القرآن والحديث ، وذلك على غير اسلوبه في الخطب والمحاضرات ، وبعض المقالات .

ولعل ما يلفت الانتباه في صياغة تقارير او تحقيقات الابراهيمي ـ في النهاية ـ كثرة احتواء بعضها على الجمل الاعتراضية القصيرة ـ في الغالب ـ مما له علاقة بظاهرة الاطناب التي سوف يأتي الكلام عنها في جزء لاحق من هذه الدراسة ، من ذلك ان نصي : " مقتل الشيخ كحول " و " يوم الجزائر " يحتوي كل منهما على عشر جمل اعتراضية ، كما يحتوي نص " تقرير الاستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي عن الامية " على سبع جمل اعتراضية كذلك .

ولا نترك جانب الصياغة في هذا النوع النثري ، دون ان نشير الى ان الابراهيمي كان اكثر واقعية عندما لم يستعمل الا لغة سهلة المفردات والتراكيب في معظم اجزاء تقاريره او تحقيقاته الصحفية ، وانه كان اكثر جدية عندما لم يستعمل المفردات العامية ولا المفردات الاجنبية ـ باستثناء بعض اسماء الاماكن او بعض اسماء الاجانب ـ لان الابراهيمي لم يكن يستعمل المفردات العامية والاجنبية ـ في الغالب ـ الا عندما يقصد من وراء استعمالها الى الهزل والسخرية . .

* * *

5.2.1 ـ المنشور : مفهومه ووظيفته .

وهناك نوع نثري آخر كتب فيه الابراهيمي في هذه الفترة وهو المنشور .

ولو اردنا ان نصنف الانواع النثرية القصيرة الى فصيلتين : فصيلة الخطبة ، وفصيلة المقالة ـ لقلنا ان المنشور اقرب الى المقالة ، ويقابله

---

(77) كمثل مقدمة تقريره عن "المؤتمر الاسلامي الجزائري " لا يبني مستقبل الامة الا الامة " . البصائر . السنة الاولى . العدد 23 . ص : 1 .
ومثل مقدمة تقريره عن : " يوم الجزائر " : الشهاب : ج 4 م 12 ، ص 192 .

البيان أو التصريح السياسي في جانب الخطابة .

والمنشور من الناحية الاصطلاحية هو : " مقال يصدر في صورة كتيب ، موضوعه ديني او سياسي ، وقد يقع في ورقة واحدة ، ويوزع بالمجّان بقصد الدعاية لمذهب معين . "(78)

والحق ان المنشور لا يقتصر من الناحية الوظيفية على (الدعاية) - اذ قد لا يكون للدعاية اساس تستند عليه - وانما يتجاوز المنشور (الدعاية) الى ما هو اعمق منها - الى اصل الدعاية ذاته - وهو (التعبير عن فكر او موقف معين) لجماعة معينة ، ولذلك فان (المنشور) لا يمثل فكر كاتبه الا من حيث هو عضو في الجماعة التي يعبر عنها المنشور .

والواقع ان ما كتبه الابراهيمي في هذا النوع يعبر بدقة عن المفهوم السابق للمنشور ، فالابراهيمي عضو في جمعية العلماء قبل ان يكون نائبا لرئيسها ، والابراهيمي لم ينشر نصي (المنشورين(79)) اللذين بين ايدينا الا بعد اعتمادها من طرف المجلس الاداري للجمعية ، ولذلك فقد ذيل الابراهيمي منشوره الى كتاب البصائر بقوله :((حرره نائب الرئيس
محمد البشير الابراهيمي
واقره مجلس الادارة في جلسته
المنعقدة يوم الخميس السابع
من شوال عام 1354 هـ ، وعنه
امضاه الرئيس عبد الحميد بن باديس .))(80)

---

(78) مجدي وهبة : معجم المصطلحات الادبية . ص : 572 .
(79) نشر الاول منهما توجيها لكتاب البصائر عند صدورها في سلسلتها الاولى :
البصائر : السنة الاولى : العدد 2 - 15 شوال 1354 هـ 10 جانفي 1936م
ص : 2 .
ونشر الثاني منهما في صورة احتجاج من جمعية العلماء على قانون 8 مارس 1939م الذي يقضي بسجن وتغريم كل من يعلم بدون رخصة في حين لا تعطى الرخصة لمن يطلبها !
البصائر : السنة الرابعة : العدد 160 . ص : 7 .
(80) الابراهيمي : البصائر السنة الاولى . العدد 2 . ص : 2 .

فالمنشور عند الابراهيمي بيان لهوية جماعة من ناحية ، وتعبير عن موقف هذه الجماعة من ناحية ثانية ،ثم هو بعد ذلك توجيه للانصار نحو سبل تنفيذ اهداف الجماعة التي يعبر المنشور عن موقفها . كما قد يعبر المنشور عند الابراهيمي عن استنكار جماعته لموقف لا يرضيها . يقول الابراهيمي في سياق تعبير المنشور عن هوية جماعة معينة هي : (جمعية العلماء) .

" ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية اسلامية في سيرها واعمالها ، جزائرية في مدارها واوضاعها ، علمية في مبدئها وغايتها (81) "

وعن تعبير المنشور عن موقف او مبدأ جمعية العلماء يقول الابراهيمي : " ليعلم من لم يكن على بصيرة من امرنا اننا لا ندعو الا الى الله ودينه ،ونبيه ، وسنة نبيه ،وهدي السلف الصالح من امته (82) ."

وفي مجال توجيه المنشور لانصار الجمعية يعلن الابراهيمي :

" الى حملة الاقلام من انصار الجريدة والذادة عنها ، والحريصين على ان تكون مكانتها في النفوس مكافئة لمكانة الجمعية – نسوق هذه الكلمات الاتية تذكيرا لحضراتهم ، وتنبيها على ما يجب ان يراعوه فيما يوافون به الجريدة من ثمرات اقلامهم . ان جريدة البصائر هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ويعني هذا ان مبدأ الجريدة هو مبدأ الجمعية ،ومبدأ الجمعية – وان تعددت مناحيه – يرجع الى كلمتين ذواتي مدلول واسع وهما :العلم والدين . (83))) .

---

(81) الابراهيمي : (منشور الى الاثنين الاسلامية والفرنسية) . البصائر . السنة الرابعة . العدد 160 . ص 5 .

(82) الابراهيمي (كلمة من المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الى كتاب البصائر الكرام) البصائر : السنة الاولى . العدد : 2 . ص 2 .

(83) الابراهيمي : المصدر السابق : ص : 1 .

أما ان يكون المنشور استنكارا لموقف لا يخدم اهداف الجمعية ، فلعله يتضح عند الابراهيمي - من الفقرة التالية :

" فاعضاء شعب جمعية العلماء المجتمعون بنادي الترقي يوم الاثنين 27 مارس سنة 1939م - مجمعون على كل ما تقدم فهما واعتقادا ، ومجمعون على استنكار هذه المعاملات الجائرة للتعليم الديني العربي ، ومجمعون على اعتبارها طعنات موجهة الى صميم الاسلام والعربية - ومصممون على الثبات في حقهم ، ومتضامنون على الوقوف في وجه الباطل ، والاحتجاج الصارخ على قانون 8 مارس وما سبقه من قوانين جائرة ، وما نشأ عنه وعنها من تطبيقات جائرة (34) ".

ولا بد من الاشارة هنا الى ان صياغة الابراهيمي للمنشور تتسم بالبساطة والوضوح ، وتبتعد عن كل غموض ، بل انها قد وصلت في وضوحها وصراحتها الى حد العنف ..

* * *

6.2.1 — الرسالة : مفهومها وملامحها .

أما الرسالة فهي من الانواع النثرية التي لا نفتقدها (نهائيا) عند الابراهيمي في هذه الفترة ، وان كنا لم نعثر له الا على رسالة واحدة ، تتضح من خلالها حساسية الابراهيمي الادبية من ناحية ، وعمق ثقافته الشعرية والنقدية معا من ناحية اخرى .

فالابراهيمي يكثر من الاستشهاد بالشعر في هذه الرسالة التي كتبها الى تلميذه الشاعر محمد العيد آل خليفة مسليا اياه عما لاحظه عليه من حزن ؛ من خلال ملامحه ، ومن خلال اشعاره .

---

(34) الابراهيمي : (منشور الى الامتين الاسلامية والفرنسية) . البصائر . السنة الرابعة . العدد 160 . ص : 5 .

والابراهيمي في هذه الرسالة (85) يكثر من استعمال ضمير المتكلم وضمير المخاطب استعمالا ملحوظا .. ولعل ذلك محاولة منه لرفع الكلفة التي تكون عادة بين الاستاذ وتلميذه .. ولعل في هذا الاسلوب كذلك دليلا على يقين الابراهيمي بان فن الرسالة الصق بالنفس من غيرها من الانواع الفنية والادبية الاخرى ...

ولان الابراهيمي لم يترك لنا الا رسالة واحدة في هذه الفقرة ، فاننا لا نستطيع ان نتلمس لها خصائص يمكن ان تكون اسلوبا عاما في كتابته لهذا النوع النثري .

ومع ان الرسالة نوع ادبي عميق الجذور في ادبنا العربي القديم ، فانها "آخر فنون النثر التي تخضع للقواعد والاصول ، فهي ذاتية اعمق ما تكون الذاتية ، وهي - ومع هذا - تتسع للغناء والحديث الموضوعي معا . بل انهما يمكن ان يمتزجا فيها دون ان يعبث ذلك بحدودها .

ويمكن للرسالة ان تطول وان تقصر بحسب الحاجة، وللكاتب ان يجري فيها على اصول يبتدعها من نفسه ، مادام يتحقق بذلك تعبيره عن ذاته ، ويشفع للرسالة في هذا كله انها تعبير خاص عن ذات الكاتب يستطيع ان يمضي فيه على نحو ما يختار (86) ".

* * *

103 — ويبقى في النهاية ان نشير الى ان عدم عثورنا على نوع (المقامة) فيما كتبه الابراهيمي في هذه الفترة - دليل على ان سعة ثقافته في التراث العربي (87) ، لم تقيده بقالب معين من انواع التراث الفني - حتى لو كان من الصق الانواع الادبية بالتراث -

---

(85) بين شاعر وعالم ، كتاب العالم وجواب الشاعر : "منشورة بالشهاب : ج 3 م 12 • ص : 135 .

(86) عبد الكريم الاشتر (دكتور): فنون النثر المهجري . دار الفكر الحديث - لبنان - ط 2 سنة 1965م • ص: 274 .

(87) اهم مصدر في هذا الموضوع هو ما كتبه الابراهيمي عن نفسه في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في العدد 21 لسنة 1966م • ص : 136 ، 137 .

اذا لم يكن هذا القالب يخدم هدف الابراهيمي فيما يأمح اليه من تغيير واقع مواطنيه في تلك الفترة الى واقع افضل .. ومن هنا فقد خطب الابراهيمي ، واعاد صياغة خطبه منشورة في الشهاب أو في صحف الجمعية ، وكتب المقالة بانواعها ، كما كتب المناضرة ، والتقرير والتحقيق الصحفي والمنشور .. وذلك لانه كان يرى ان لكل نوع من تلك الانواع وظيفة يؤديها ، ولكنه لم يكتب (المقامة) ، لانها كانت تقوم على الحكاية وتهدف الى تعليم اكبر عدد ممكن من المفردات اللغوية ..

والمفردات اللغوية في مفهوم الابراهيمي ليست هدفا في ذاتها ، وانما هي وسيلة لاهداف اخرى منها التعبير عن الواقع ، وعن المشاعر ، ومنها التواصل الفكري بين المواطنين .. وأهم من ذلك كله هو التأثير في المتلقين لتحريكهم نحو الانفصال ..

ظاهرة المفردات والتراكيب
في أسلوب الإبراهيمي

2.1 — تمهيـــــد :

حاول القسم الاول من هذه الدراسة تحليل فكر الابراهيمي من خلال نثره ، في أثناء فترة هذه الدراسة . كما حاولت الفقرة السابقة من هذا القسم — الثاني — تمييز الخصائص الفنية للانواع النثرية التي بث الابراهيمي فكره من خلالها .

ولما كانت العناية بالفكر المجرد للابراهيمي -على قيمة ذلك الفكر- ليس هو الهدف الاول في هذه الدراسة الادبية ، لان الاهم في هذا السياق هو اسلوب الرجل ،بما اشتمل عليه من فكر ومن تشكيل لغوى ،وبما تميز به من ظواهر عبّر بواسطتها الابراهيمي عن فكره ،وعن احداث مجتمعه ،وعن قضايا عالمه[1] في تلك الفترة .

ولما كانت ظاهرة (المفردات والتراكيب) هي اولى الظواهر التي تلفت الانتباه في اسلوب الابراهيمي — فضلا عن انها الواجهة الاولى لاى اسلوب — فاننا سوف نبدأ بها محاولتنا للكشف عن ظواهر اسلوب الابراهيمي ،وذلك من خلال النصوص النثرية التي تحددها فترة هذه الدراسة .

---

(1) اهم النصوص في هذا الموضوع : " الانسان اخو الانسان - الانسانية : آلامها واستغاثتها - التمثيل والخطابة - الاسلام والمسلمون — العربية : فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الامم غير العربية " .

2.2 — مصدر قوة أسلوب الابراهيمي .

يقول الدكتور احمد الحوفي : " ان الكلمات التي لا ينتظمها تعبير ، كلمات معجمية ميتة ، فاذا ما صاغ منها الاديب تعبيرا نفخ فيها حيوية وحرارة ...

ولهذا يتصرف الاديب في اسلوبه ليطابق حالته ، فيؤثر لفظة على لفظة ، ويصرف اللفظ تارة وينكره أخرى ، ويقدم تارة ويؤخر تارة . ويوجز حينا ويطنب أخر وهكذا .

ولابد ان يسلم التركيب من التنافر والتعسف والغثاثة ، وتنسجم المفردات في التعبير كله انسجاما يسهل النطق بها ، والاطمئنان اليها (2) . "

ويقول الدكتور محمد طاهر درويش ان " الكلمات المفردة التي لا ينتظمها أسلوب لا تشكل صورة ولا تترك في النفوس أثرا (3) " . والاسلوب عنده هو : " طريقة المتكلم الخاصة في تكوين افكاره واختيار ألفاظه وتأليف كلامه وعرض حججه وقضاياه ، والتعبير عما يريد نقله للسامعين في معان وافكار تعبيرا ملائما لها وللسامعين (4) . "

ويكشف لنا الاستاذ محمد البشير الابراهيمي الصفات العامة لاسلوبه واسلوب رفاقه في جمعية العلماء - في القول والكتابة عندما يعلق على ما كان يكتبه موظفوا الادارة الفرنسية من تقارير حول الانشطة التعليمية والثقافية التي كان يقوم بها رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقوله : " فعجيب - والله - ومؤلم - والله - ان تعتمد - (الحكومة) - في التحري علينا وعلى دروسنا ومحاضراتنا

---

(2) احمد محمد الحوفي (دكتور) : بلاغة الامام علي . دار النهضة - مصر للطبع والنشر . القاهرة سنة 1977 . ص : 246 ، 247 .

(3) محمد طاهر درويش (دكتور) : الخطابة في صدر الاسلام ، ج 1 - العصر الديني - عصر البعث الاسلامية . دار المعارف بمصر . (دون تاريخ) ص 39

(4) المرجع السابق . ص : 38 .

رجالا لا يفقهون فقه اللغة العامية ومغازيها فضلا عن العربية الفصحى ، ونحن قوم لساننا عربي فصيح نصرفه في وجوه القول المختلفة ، ونديره على حقائق اللغة ومجازاتها ومترادفاتها ومشتركاتها ، ونسيمه في حكمها وأمثالها وسائر تصاريفها وأحوالها ، أفيجوز في حكم الانصاف ان تؤخذ التقارير عنا من قوم هذا شأنهم ، نقول " الجهد " فيفهمون " الجهاد " ، ونقول " الاساس " فيفهمون " السياسة (5) " ؟ "

ومما تجب الاشارة اليه في هذا الصدد هو ان قوة أسلوب الابراهيمي الحقيقية لا تأتيه من المفردات مهما كانت فصيحة ، ولا من التراكيب مهما كانت من التراث أو من النصوص الدينية .. كما يبدو ذلك للوهلة الاولى - وانما تكمن القوة الحقيقية لاسلوب الابراهيمي في حسن الربط بين المفردات ومعانيها ، وفي القدرة على توظيف مفردات وتراكيب التراث ، أو المفردات والتراكيب العامية أو غيرها .. حتى ليصبح من شبه المستحيل البحث عن غيرها لتأدية نفس المعنى في نفس السياق .

2.3 — مصادر ظاهرة (المفردات والتراكيب في أسلوب الابراهيمي) .

ولعله من الطبيعي بعد ذلك ان نحاول بيان المنابع التي استقى منها الابراهيمي (المفردات والتراكيب) التي اكثر من توظيفها في نصوصه ، حتى اصبحت مجموع سماتها تشكل ظاهرة في اسلوبه الكتابي والخطابي ، بالاضافة الى محاولة بيان حجم ونوعية توظيفه لهذه الظاهرة في اسلوبه .

2.3.1 - أما عن المصدر الاول لهذه الظاهرة فيتمثل فيما يرويه الابراهيمي عن سعة محفوظاته من النصوص الدينية ومن التراث العربي الاسلامي في جميع فروعه ، شعرا ونثرا وامثالا ولغة وسيرا وتاريخا (6) .

(5) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص : 68 ، 69 .

(6) ينظر مقال : انا ، للشيخ محمد البشير الابراهيمي : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ج 21 لسنة 1966 . ص : 136 وما بعدها .

2.3.2 - وأما عن المصدر الثاني فانه يتمثل في اللهجة العامية الجزائرية بمفرداتها وتراكيبها واستعمالاتها في جميع جوانب الحياة .

2.3.3 - في حين ان المصدر الثالث يتمثل في اللغة الفرنسية بما وظفه الابراهيمي من مفرداتها في بعض نصوصه .

2.3.4 - وهناك مصدر رابع وهو ما استعمله من مفردات العلوم الاخرى كالهندسة والكيمياء والمحاسبة والتصوف .

واذا كان من الطبيعي ان يتأثر الابراهيمي في اسلوبه بمفردات وتراكيب النصوص الدينية الاسلامية ونصوص التراث العربي ، لكثرة محفوظة من هذه وتلك .. فان المرء قد يتساءل عن سبب توظيفه للمفردات والتراكيب العامية والفرنسية او لبعض مصطلحات العلوم في اسلوبه . ؟

الحق ان محاولة الاجابة عن مثل هذا التساؤل قد تجعلنا نسبق الاحداث بالنسبة لفقرات هذه الدراسة .. ولكن لا بد من القول : انه اذا كانت سمة تأثر الابراهيمي بالنصوص الدينية الاسلامية وبالتراث العربي الاسلامي ، قد شكلت احدى سمات اسلوب هذا الكاتب فان هناك سمة اخرى - ربما كانت في طبيعة الابراهيمي ذاته ، وربما احدثتها في نفسه مرارة ظروف الحياة تحت حكم ادارة الاحتلال الفرنسي ، بالاضافة الى مرارة الصراع مع (الطرق ومشايخها) الذين افسدوا الدين والمجتمع جميعا - تلك هي السخرية التي شكلت سمة اخرى بارزة في اسلوب الابراهيمي .

وهذه السمة - فيما يتضح من معظم النصوص - هي السائق للابراهيمي - في الغالب - لتوظيفه للمفردات والتراكيب العامية والاجنبية ولبعض المصطلحات العلمية .. في اسلوبه .

والملاحظ اننا نعثر على هذه المفردات والتراكيب العامية والاجنبية وكذلك المصطلحات المستعارة من العلوم - في غير الخطب من الانواع النثرية التي كتب فيها الابراهيمي في هذه الفترة ، اذ في الوقت الذى

يكثر فيه الابراهيمي من استعماله لهذه المفردات والتراكيب والمصطلحات العلمية في المقالات وما يجرى مجرى المقالات .. فانه يندر استعماله لهما في الخطب سواء أكانت دينية أم غير دينية .

x x x

2 . 4 – تفصيل مصادر ظاهرة (المفردات والتراكيب) في اسلوب الابراهيمي .

2 . 4 . 1 – القرآن الكريم

ولعل بعد الملاحظة السابقة (الى تفصيل منابع ظاهرة المفردات والتراكيب في اسلوب الابراهيمي) نبدأ بتأثر اسلوبه بالقرآن الكريم ، فنقول : ان هذه الخاصية تتضح من كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية ، ومن كثرة الاقتباس من لغة القرآن ومعانيه .

والملاحظ هنا ان هذه الخاصية ترتفع نسبتها هذه المرة في الخطب عموما ، والخطب الدينية على وجه الخصوص(7) ، كما تكثر بشكل متزايد في خطب الاحتفالات الدينية(8) ، وفي المقالات التي تتعرض لبعض قضايا الاسلام والمسلمين(9) .

ولشيوع هذه الخاصية في اسلوب الابراهيمي على نطاق واسع ، فاننا سوف نكتفي بمثال على كل نوع :-

يتحدث الابراهيمي عن اعضاء جمعية علماء السنة فيقول : " ولو أن هذه الطائفة أوتيت قليلا من الرشد والانصاف لكانت للجمعية مكان الاخ من أخيه ، ولحمدوا لها سعيها في خدمة الامة ، ولعادوا من نحلهم المفرقة الى دعوتها الجامعة التي هي دعوة الله لخلقه على لسان انبيائه .

(وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (10) (11) " .

---

(7) ينظر : (خطبة جمعية) . الشهاب . ج 2 م6 . ص 77 .

(8) ينظر : (كلمة التصدير لهذا العدد) و(كلمة في الاحتفالات) . الشهاب ج 4 م 14 . جوان جوليت 1938 . ص 156 ، 168 .

(9) ينظر مثلا : (تصدير) السجل . ص 5 وما بعدها .

(10) آية 146 من سورة البقرة .

(11) الابراهيمي : (تلخيص الخطبة الالى) . الشهاب . ج 9 م10 . ص 406 .

وغنـي عن البيـان دقة استشهـاد الابـراهيمي بهـذه الاية في هذه المناسبـة ، ذلك لان كثيرا من اعضاء جمعيـة علماء السنة وخصوصا (علمـاء الـزور) - كما يسميهـم الابـراهيمي - يعلمون ضلال شيوخ الطـرق ، ومع ذلـك يسايـرونهـم حفـاظا على المصلحـة الخـاصة ، دون العناية بما يجـره ذلك الضـلال على الاسلام والمسلمين وعلى المجتمع عموما من آثار سيئـة ، ولذلك فـان استشهـاد الابـراهيمي بهـذه الآيـة في هـذا الموقـف يعطـي للنـص بعـدا عميقـا يتمثـل في المقـابلـة بين موقـف شيـوخ الطـرق واتباعهـم ، من علمـاء الاصـلاح ، وبين موقـف المشركين من جماعـة المسلمين في عهـد الرسـول عليه السـلام .

والحق ان دقـة مناسبـة الاستشهـاد او الاقتبـاس وتعـدد الابعـاد التي يعطيهـا الاستشهـاد او الاقتبـاس لنصـوص الابـراهيمي - سواء أكـان ذلـك من النصـوص الـدينية أم من التراث - هـو ما يجعـل القـارئ مبهـورا أمـام اتساع وشموليـة وعمـق المعـاني التـي يوحي بهـا النـص الابـراهيمـي ، وهـو مـا يعطـي نـكهـة خاصـة وسمـة مميزة لهذه النصوص .

وكما يـأتـي التأثـر بالقـرآن في أسلـوب الابـراهيمي استشهـادا صريحـا بالآيـات ، فـانه يـأتـي اقتبـاسا من الالفـاظ والمعـانـي ، من ذلـك ما نقـرأه للابراهيمي من حـديثه عن تـأصـل جريـرة (كيـد شيـوخ الطـرق واتباعهـم) للاصـلاح الـديـنـي والاجتمـاعي اذ يقـول :-

" ان المتتبـع لتـاريخ هـؤلاء الدجالين يجـدهـم لم يخلـوا من التحـرق على الاصـلاح والتنكـر لـه في جميـع اطـواره وعلى اختلاف مظـاهـره ، فقـد كـانـوا متنكريـن لـه وهـو جنيـن ، فلمـا ظهـر في الافـراد ازدادوا لـه تنكـرا وعليـه نقمـه ، فلمـا ظهـر في شكل جمعية اجمعـوا امرهم وشركاءهم (12) لحربـه ... (13) ".

(12) فالابراهيمي هنا قد اقتبس معنى وبعض الفاظ الاية الكريمة : " واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت ، فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ، ثم اقضوا الي ولا تنظرون ". أية 71 من سورة يونس .
أمر غمة : أى خفيا يقتضي الحيرة والتردد .

(13) الابراهيمي : (تعالوا نساءلكم) ، (الحلقة 3) : السنة النبوية المحمدية : السنة الاولى العدد 11 . ص 1 .

2 • 4 • 2 — الحديث الشريف

ولا يختلف كلامنا عن المواضع - والكثرة النسبية - التي تأثر فيها الابراهيمي - استشهادا واقتباسا - بالقرآن الكريم - عنه بالنسبة للحديث الشريف ، فالخطب الدينية وخطب ومقالات الاحتفالات الدينية ، ومناسبات ردّ افتراء شيوخ الطرق على الاسلام .. هي المواضع التي يرد فيها - في الغالب - الاستشهاد أو الاقتباس من الحديث الشريف ، من ذلك استشهاد الابراهيمي بالحديث - فيما يرويه عن أثر موقف جمعية العلماء في محاربة البدع والمنكرات في المجتمع فيقول : " فغيرت بالقول ، وأغارت بالفعل ، وبينت بالدليل وقارعت بالحجة ، وطبقت بالعمل . وكان في اعمال اعضائها اسوة حسنة للناس ، وشعارها في هذا الباب : (ان كل محدثة في الدين بدعة ، وكل بدعة ضلالة [14] .) [15] .

ومن اقتباسات الابراهيمي من الحديث الشريف ما يرد في قوله : ((أيها الناس : ان نقطة النزاع بيننا وبين هؤلاء - (جمعية علماء السنة) - هو هذه العامة التي أضلوها وأذلوها ، وغاية الشيطان ان يضل . وأرادوها على ان تعبدهم من دون الله ، وهو ما يئس منه الشيطان بنص الحديث [16]))

فالابراهيمي هنا متأثر بقول الرسول - ص - ((أما بعد أيها الناس فان الشيطان قد يئس من ان يعبد بأرضكم هذه ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من اعمالكم ، فاحذروه على دينكم [17] .)) .

---

(14) قال عليه الصلاة والسلام : ((اما بعد فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد (ص) ، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة)) ؛ (رواية جابر بن عبد الله الانصاري الخزرجي ولد سنة 16 قبل الهجرة وتوفي 78 هـ) : - ينظر كتاب : دليل الفالحين لطرق رياض الله الصالحين : تأليف : محمد بن علان الصديقي ، تعليق وتصحيح : محمود وحسن ربيع ، ج 1 . دار الفكر . الطبعة الاخيرة ، سنة 1974 . ص : 439 .

(15) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص : 61

(16) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم) (الحلقة 2) السنة النبوية المحمدية العدد 9 ص 2 .

(17) السيرة النبوية لابن هشام : تحقيق : مصطفى السقا وآخرون . ط 2 . القسم الثاني . ج 4 . مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة . سنة 1955 م . ص : 604 .

2.4.3 — أحداث التاريخ الاسلامي

ولاشك أن استشهاد الابراهيمي ببعض اقوال الخلفاء الراشدين، وببعض أئمة الحديث، وببعض احداث التاريخ الاسلامي — مما نعثر عليه في بعض نصوصه — يشكل خاصية اخرى تضاف، الى خاصية تأثره بالكتاب والسنة، من ذلك قوله في معرض نصائحه للناس بالعمل : ((عباد الله : لو كانت كلمة الحكمة توازن بالذهب أو تقدر بالمال والنشب لكانت كلمة علي بن ابي طالب هي تلك الكلمة وهي قوله رضي الله عنه : قيمة كل انسان ما يحسنه (18) .)) .

وكان الابراهيمي دقيقا في استشهاداته باحداث التاريخ الاسلامي وبأقوال أئمة رواة الحديث — كما هو الحال مع نصوص الدين ونصوص التراث، من ذلك مثلا أنه استشهد في مجال رفض الشبهات في الدين — ردّا على من يرى عدم الاكتراث ببعض ما يقول به شيوخ الطرق ما لم يكن يمس صميم الدين — بقوله : ((وقد عزل عمر خالد بن الوليد وقال : خشيت ان يفتتن به الناس ...

وقد روى الثقات عن الامام مالك أنه من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة (19) .)) .

* * *

2.4.4 — الشعر العربي

وكما كان للنصوص الدينية ولاقوال الخلفاء ولأقوال الحديث ولأحداث التاريخ الاسلامي .. أثر في نصوص الابراهيمي — موضوع الدراسة — فان للشعر العربي قديمه وحديثه تأثيرا أيضا في هذه النصوص، فنحن نجده يضمن الكثير من نصوصه الشطر او البيت او البيتين أو الابيات، من الشعر العربي القديم تارة، ومن الشعر العربي الحديث تارة أخرى .

ونجده يذكر اسم الشاعر احيانا ولا يذكره في غالب الاحيان .

---

(18) الابراهيمي : (خطبة جمعية) الشهاب : ج 2 م 6 . ص : 77، 78

(19) الابراهيمي : (تصدير) السجل : ص : 29

وقبل البدء بالتمثيل لبعض هذه الحالات يجدربنا أن نلاحظ أنه في الوقت الذى يكثر فيه الاستشهاد والاقتباس من نصوص الكتاب والسنة في الخطب ، والخطب الدينية على الخصوص ، فانه يقل فيها التضمين بالشعر .

أما الانواع النثرية الاخرى غير الخطب ، فيكثر فيها ورود الابيات الشعرية وان صاحبه ورود مماثل للآيات والاحاديث .. هذه ملاحظة ، وملاحظة اخرى تتعلق بعدم ذكر الابراهيمي - في غالب الاحيان - لاصحاب الابيات الشعرية التي ترد في نصوصه ، اذ نرى انها دليل على سعة محفوظة من التراث الشعرى من ناحية ، وتلقائيته في الكتابة من ناحية اخرى ، ومن هنا يرد البيت أو الابيات في اماكنها من السياق تماما - دون افتعال او شذوذ - كما لو كانت جزءا طبيعيا من النص .

ويبقى ، اننا سوف نورد مثالا واحدا على كل نوع من انواع التضمين بالشعر التي لاحظناها قبل قليل :-

فمن أمثلة تضمين الابراهيمي لنصوصه ببيت واحد من الشعر مع عدم ذكر قائله ، أنه عندما يتحدث عن دعايات الادارة الفرنسية ودعايات الطرقية ضد جمعية علماء الاصلاح يقول : " نسمع نغمات مختلفة ... هي رمي جمعية العلماء تارة بأنها شيوعية ، وتارة بأنها محركة بيد خفية أجنبية ، وتارة بأنها تعمل للجامعة الاسلامية أو العربية ، أو تعمل لنشر الوهابية .

والطرقيون لا تهمهم الآ هذه الكلمة الاخيرة .. وحالهم معها على الوجه الذى يقول فيه القائل :

فاذا تنبّه رعته واذا غفا سلّت عليه سيوفك الاحلام[20] . "[21]

---

(20) البيت لاشجع السلمى ، ولانني لا اعرف لهذا الشاعر ديوانا فقد رجعت الى كتاب: طبقات الشعراء لابن المعتز . تحقيق : عبد الستار احمد فراج . دار المعارف . القاهرة . سنة 1956 م . ص : 252 . والبيت موجود كذلك في كتاب: الايضاح في علوم البلاغة . تأليف الخطيب القزويني . منشورات : مكتبة النهضة (دون ذكر المكان) . ص: 231 . والبيت الذى قبله : وعلى عدوك يا بن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام .

(21) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص : 68 .

ومن امثلة ما يرد في نصوص الابراهيمي من ابيات الشعر القديم مع ذكر اسم القائل أنه يرى في لمحة من تأملاته الفلسفية ان الامة اذا تقاعس افرادها عن أداء الفضائل وازاحة النقائص مع قدرتهم على ذلك - كانوا المعنيين بقول المتنبي :

ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام (22)

* * *

أما تضمين الابراهيمي لبعض نصوصه بأبيات من الشعر الحديث ، فان من امثلته ما جاء في قوله : - عندما تحدث عن كونه لم يتعلم في جامع الزيتونة ، ولكنه مع ذلك يكن له كل الاحترام:-" وان حال هذا الكاتب بالخصوص مع جامع الزيتونة كالحال التي يقول فيها شوقي في الازهر (23) :

ما ضرني أن ليس أفقك مطلعي وعلى كواكبه تعلمت السرى (24) ".

. . .

(22) ينظر: (تقرير الاستاذ محمد البشير الابراهيمي عن الامية) . السجل ، ص 86
والبيت من قصيدة للمتنبي مطلعها : ملوكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام . (ديوان المتنبي . تحقيق : عبد الوهاب عزام (دكتور) . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . سنة 1944 م . ص : 476.

(23) من قصيدة بعنوان : (الازهر) ومطلعها :
قم في فم الدنيا وحي الازهرا وانشر على سمع الزمان الجوهرا .
(الشوقيات : المجلد الاول . دار الكتاب العربي . بيروت - لبنان .
(دون تاريخ) .
ص : 151 ، 152 .

(24) الابراهيمي : (أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين ؟ ؟) .
البصائر . السنة الاولى . العدد : 20 . ص : 3 .

وأما من أمثلة ما يرد في نصوص الابراهيمي من انصاف الابيات مع ذكر القائل ، فمن ذلك ما جاء في سياق كلامه عندما نعى على مثقفي المصريين تقليدهم للغرب وتمنى لو انهم استبدلوا تقليدهم لاهل الغرب بتقليدنا في الشمال الافريقي ، وقال ان حافظا شرع لهم ذلك في قوله :

ودعونا نشم ريح الشمال .(25)

* * *

ومن امثلة تضمين الابراهيمي لبعض نصوصه بشطر بيت واحد دون ذكر قائله ، ما جاء في حديثه عن آثار الطرق (السيئة) في المسلمين اذ يبدأ حديثه في هذا الموضوع بالمصراع التالي :

" خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به :...(26)

ثم يتابع قوله :" ليعذرنا الشاعر الميت أو أنصاره من الاحياء اذا استعملنا مصراع بيته في ضد قصده ، فهو يريد ان المشهود أكمل من المفقود ، ونحن نريد العكس .

---

(25) ينظر : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب . ج 4 م 14 . ص 175 .
وهذا القول هو عجز بيت من قصيدة لحافظ بعنوان : (الشعر) ، ومطلعها : ضعت بين النهى وبين الخيال .:يا حكيم النفوس يابن المعالى .
الى ان يقول :-

آن يا شعر ان تفك قيودا قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشم ريح الشمال

(ديوان حافظ ابراهيم : ج 1 . شرح : محمد ابراهيم هلال . مطبعة المعاهد بالجمالية . القاهرة .سنة 1922 م . ص : 121 .

(26) يذكر الاستاذ الدكتور شكرى عياد عند قراءته لمسودة هذه الدراسة ان البيت كاملا هو :خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به :.في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل ". وهذه الرواية نفسها ذكرها لي الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي مع اشارته الى ان هذا البيت من (لامية العجم) للحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي . لكنني لم اجده ضمنها عندما رجعت الى : (معجم البلدان لياقوت) . الطبعة المصرية . الجزء العاشر . ص : 56 وما بعدها .

فان ابوا ان يعذرونا احتججنا بان الشاعر المرحوم هو الذى جنى على مصراعه ، فقد ارسله مثلا وهو يعلم أن الامثال (كالكومينال) ارث مشاع وقصاع بين جياع تتناهب وتتواهب (27) .

* * *

واذا كنا قد لاحظنا قبل قليل ان عدم ذكر الابراهيمي لاصحاب الابيات التي يوردها في نصوصه - دليل على سعة ثقافته من ناحية ، ودليل على تلقائيته في الكتابة من ناحية أخرى فاننا نريد ان نضيف هنا الى تلك الملاحظة : ترجيحنا وضعه وضعه لبعض الابيات التي لا يذكر اصحابها .

ومن أمثلة ذلك قوله على لسان الجزائر بمناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامي الجزائرى سنة 1936 م :

" أي ابنائي :

انى انا الام الولود المنجبة .. للطارف الفر الحسان المعجبة

فلم غدت محاسني محجبة ؟

. . .

. . .

انى تريرة العين بيومكم هذا اذ وسمتموه بوسمي ، وسميتموه باسمي ، وشرفتموه بالاسلام ، وزنتموه بالعروبة .

لسان حال الجزائر (28) .

---

(27) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص : 22 .

(28) الابراهيمي : (المؤتمر الاسلامي الجزائرى ، لا يبنى مستقبل الامة الا الامة) . البصائر . العدد : 23 . ص : 1 .

2.4.5 - الامثال العربية :

وكما تأثر الابراهيمي في نصوصه بالقرآن بالحديث وبالشعر وبالتاريخ الاسلامي .. فانه تأثر كذلك بالامثال العربية، من ذلك ان الابراهيمي يتحدث عن دهشة (شيوخ الطرق) من اليقظة التي ظهرت على الجزائريين ،وعن حقد اولئك الشيوخ على علماء الاصلاح الذين تسببوا في اليقظة فيقول :

" ولما استيأس القادة - (شيوخ الطرق)- وكذبهم الامل - كروا على الاصوات التي ايقظت الامة ، والنذر - (علماء الاصلاح)- التي أهابت بها الى الانتباه ،يوسعونها لعنا وسبا ، ويصبون الشتم والقذف عليها صبا، ويبذلون الوسع في اخماد نأمتها واخفات اصواتها ، ولكن صدق عليهم المثل :

أوسعتهم سبا وراحوا بالابل .(29)

2.4.6 - اللهجة العامية الجزائرية

وكما تأثر الابراهيمي في نصوصه بمفردات وتراكيب النصوص الدينية، وبمفردات وتراكيب التراث العربي .. فانه تأثر في نصوصه كذلك باللهجةالعامية الجزائرية .

لكن توظيف الابراهيمي لمفردات وتراكيب اللهجة العامية كان - كما سبقت الاشارة - توظيف لهدف السخرية والتحقير ،فنحن لم نعثر في نصوص الابراهيمي - موضوع الدراسة - على استخدام لمفردات عامية لم توظف لهذا الغرض ،

---

(29) الابراهيمي :لا يبنى مستقبل الامة الا الامة . البصائر السنةالاولى : العدد 26 . ص 5 عمود 1 .

وصيغة هذا المثل في (مجمع الامثال) : "اوسعتهم سبا واودوا بالابل"

وقصة هذا المثل : " ان رجلا من العرب اغير على ابله فاخذت ،فلما تواروا صعد أكمة وجعل يشتمهم ،فلما رجع الى قومه سألوه عن ماله فقال : " اوسعتهم سبا واودوا بالابل " ،

- مجمع الامثال للميداني : تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (ج2) دار الفكر . بيروت . ط 3 . سنة 1972م . ص : 263 .

ومن امثلة هذا ما جاء في حديث الابراهيمي عن (شيوخ الطرق) وانصارهم الذين انضموا تحت جمعية سموها (جمعية علماء السنة) معارضة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين - اذ يقول :

" ولو كان للسنة معان يضيع بينها القصد وتختلف وجوه التأويل لقلنا هم علماء السنة (الدرهمية او الكسكسية) ، ففسرناها بما هو الاشبه بهم ، او لكان لنا عذر في السكوت " (30)

وواضح ان هدف الابراهيمي من وراء نسبته لعلماء السنة الى (الدرهم أو الكسكس) - وهما كلمتان دارجتان في البيئة الجزائرية - انما هو السخرية والتحقير ، فالسنة عند هؤلاء الشيوخ - فيما يرى الابراهيمي - لا تعني اكثر من جمع المال وملء البطون .

واستخدم الابراهيمي في نصوصه كلمات كثيرة من العامية الجزائرية امثال : (زردة) و (بوجادى) و (نية) .. ووظف كلا منها في مكانه توظيفا يهدف الى درجة من درجات السخرية ..

* * *

7 • 4 • 2 — المفردات الاجنبية .

ولا يخرج هدف توظيف الابراهيمي للكلمات الاجنبية في نصوصه التي ندرسها عن هدف توظيفه لنظائرها من العامية .
ومن امثلة ذلك ما يرد في حديث الابراهيمي عن شيوخ الطرق الذين لا يلد شيخ الطريقة منهم الا شيخ طريقة .. والذين يؤمنون بالجانب السطحي للحديث الشريف (تناكحوا تناسلوا . (31))

---

(30) الابراهيمي : تعالوا نسائلكم (الحلقة 1) - السنة النبوية المحمدية . السنة الاولى . العدد 7 . ص : 1 .

(31) نص الحديث الشريف هو : " تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة حتى بالسقط " . احياء علوم الدين للغزالي : ج2 ط 1 ، السنة 1975م . مصوره عن طبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية سنة 1356 هـ . ص : 98 .

ويؤمنون بعد ذلك بمبدأ (خبز الاب للابن) .. ومع هذا فقد أوهمت الطريقة العليوية الناس بان الشيخ ينتخب في طريقتها انتخابا .

يقول الابراهيمي : " والاغرب من هذا - (تهافت الطرق على الكسب المادي وتوريث ذلك للابناء) - اننا رأينا لاول مرة في تاريخ الطرقية شيخ طريقة بالانتخاب عند الطائفة العليوية المجددة العصرية (المودرن) . "(32)

ونفهم من هذا النص ان الابراهيمي يهدف من وراء توظيفه لكلمة (المودرن) الفرنسية - الى التكذيب والتهكم - بشيوخ الطرق وخصوصا الطريقة العليوية .

وقد استخدم الابراهيمي كلمات فرنسية كثيرة في النصوص التي بين ايدينا ، ولكن وظيفة كل منها في السياق الواردة فيه لا تبعد عن وظيفة كلمة (مودرن) التي وردت في النص السابق .

. . .

2.4.8 - المصطلحات العلمية .

وكما وظف الابراهيمي في نصوصه المفردات العامية والاجنبية لغرض السخرية والاحتقار .. فقد وظف لنفس الغرض بعض المصطلحات العلمية .. من ذلك ما يقوله على لسان مشايخ الطرق عندما لم يرتسم نظام (جمعية علماء السنة) التي كونوها - معارضة للمصلحين - لانهم لم يتعودوا على النظام ، ولانهم لم يتعودوا على دفع الاشتراك ، وانما تعودوا بدلا من ذلك - على الاخذ والسلب من الاتباع :

((ان آباءنا عودونا ان نأخذ ولا نعطي ، ان زوايانا (قائمة) فما معنى هذه (الزاوية المنفرجة) التي اسمها (جمعية علماء السنة) ؟ ان نكاية الاصلاح فينا لأهون علينا مما تدعونا اليه .))(33)

---

(32) الابراهيمي : (تصدير) سجل مؤتمر جمعية العلماء .ص: 33 .

(33) الابراهيمي : (تصدير) السجل : ص : 53

فالابراهيمي يهدف من وراء استعارته لمصطلحات الزوايا القائمة والزوايا المنفرجة - الى كشف انعزالية وقبض أيدي شيوخ الطرق الذين لا هم للواحد منهم الا جمع المال من خلال زواياهم (القائمة) المنفردة .

وعلى كل حال فان الزوايا القائمة يملأها لهم الاتباع .. في حين ان الزوايا المنفرجة تكلفهم دفع الاشتراك لملئها .

وقد وظف الابراهيمي مصطلحات علمية اخرى مثل :
(الاكسير) و (فقط لا غير) و (الكشف) .. لاغراض مثل : السخرية والتحقير . وهناك مصطلحات علمية اخرى نجد الابراهيمي قد وظفها في بعض النصوص التي ندرسها ولاغراض لا تبعد عن غرضي السخرية والتحقير لشيوخ الطرق ولأتباعهم .

. . .

5 . 2 — الغرابة في اسلوب الابراهيمي .

والى جانب انواع المفردات التي ذكرنا ان الابراهيمي قد استخدمها استخداما معينا في نصوصه ... فانه استخدم كذلك بعض المفردات الغريبة ، من امثال كلمات (الطفرى) و (الدثر) و (النشب) و (المفالصة) ... الخ

والحق انه يجب الا تصدمنا مثل هذه (المفردات الغريبة) عندما نصادفها في نصوص الابراهيمي ، فمن اهم الخصائص التي يخرج بها قارئ الابراهيمي ان ما يبدو من غرابة في اسلوبه لا يعبر عن غرابة حقيقية .. ذلك ان اللغة عند الابراهيمي ليست هدفا في حد ذاته - ولعل الدليل يكمن فيما سبقت اليه الاشارة من توظيفه للمفردات العامية والاجنبية لغرض يقتضيه النص — وانما اللغة عنده وسيلة لهدف ، فسواء استعمل الابراهيمي الكلمة الغريبة ام المألوفة ، وسواء استعمل الكلمات الفصحى أم العامية .. فانه انما يستعملها لغرض تخدمه تلك الكلمة بالذات ولا تخدمه غيرها .

والكلمة بهذا الوضع الذى تشغله في سياق الابراهيمي تتضح ويألفها ذهن القارئ ضمن غيرها من لبنات السياق - مهما كانت غريبة في حد ذاتها - بل ان ثمة ايحاءات وابعادا جديدة تكتسبها وتعطيها من وضعها في هذا السياق .

فعندما يريد الابراهيمي - مثلا - ان يحط من قيمة (شيخ الاسلام (34)) الطاهر بن عاشور الذى اعتمد في فتواه حول جواز قراءة القران في الجنازة على كونه (شيخ اسلام) لا تدعمه اصالة العمق في العلم بقدر ما تدعمه الشهرة في المال والنصب والنسب . اقول : عندما اراد الابراهيمي ان يحط من قدر الطاهر بن عاشور في تلك الفتوى وظف - بالاضافة الى مجموعة من العناصر - كلمتي : الدثر والنشب ليلفت بهما الانتباه الى ان (شيخ الاسلام) الطاهر بن عاشور قد جعل - في فتواه هذه - المال - وليس العلم - هو الواجهة التي يبدو للناس من خلالها .

ومع ان كلمة (الدثر) تعني : المال الكثير ، الا ان الابراهيمي لم يكتف بها وحدها لوصف مال الرجل ، بل ارد فهما بكلمة اخرى تعني (المال) ايضا وهي النشب .

وهكذا يكون توظيف الابراهيمي لهاتين الكلمتين في هذا السياق - على الرغم من غرابتهما في الاصل - وسيلة ضرورية اقتضاها الهدف وليس العكس .

---

(34) ينظر : اشيخ الاسلام هو ام شيخ المسلمين ؟؟ . البصائر . السنة الاولى . العدد 20 . ص : 1 وما بعدها

2 . 6 —— الابتكار في اسلوب الابراهيمي .

واذا كنا نجد في اسلوب الابراهيمي الكلمات العامية والاجنبية والغريبة .. فاننا نجد في اسلوبه كذلك بعض المفردات التي يبدو توظيفها في نصوصه وكانه ابتكار خاص بالابراهيمي وحده .

ومن امثلة هذه الكلمات كلمة (الفواعل[35]) التي يستخدمها بدلا من (العوامل او المؤثرات) وربما احسسنا ان استعمال كلمة (الفواعل) اعمق تعبيرا على ما تعنيه بكلمتي (المؤثرات أو العوامل) ،ذلك ان كلمة (الفواعل) تشعرنا بالتأثير الداخلي.. بينما لا تشعرنا كلمتا (العوامل والمؤثرات) الا بالاثر الخارجي ..

ومن امثلة هذه الكلمات كذلك - كلمة (سائق)[36] التي يستخدم الكثيرون في معناها كلمة (دوافع) ،بينما يستخدمها الابراهيمي بمعناها الدقيق الذى يقرب من معنى كلمة (باعث) .

وبيان ذلك ان (دوافع ، اسم فاعل من (دفع) والدفع يكون بمعنى الرد ، فهو حركة معاكسة لحركة الشيء ،ومن ثم فهو أدنى الى معنى الكبح او الكبت منه الى معنى الحث او التحريك. هذا فضلا عن ان الابراهيمي قد استأنس في استعماله لهذه الكلمة في هذا المعنى - بالقرآن الكريم الذى ورد فيه قوله تعالى : " وجاءت كل نفس معها (سائق) وشهيد.))[37].

---

(35) ينظر : مخاطبة ما بين الدكتور محمد ابن ابي شنب . الشهاب : جـ 4 م5 . ص : 8 .

(36) استخدم الابراهيمي هذه الكلمة في نصوص كثيرة منها على سبيل المثال : النص : (اشيخ الاسلام هو ام شيخ المسلمين ؟؟) . البصائر السنة الاولى . العدد 20 . ص : 1 وما بعدها .

(37) آية : 21 . سورة : (ق) .

وهناك بعض الاستعمالات التي قد تكون من هفوات الابراهيمي مثل : كلمة (الفات) من (لفت يلفت لفتا) وذلك في مثل قوله :

" يجب الرجوع في طريق الاستدلال على العقيدة الى طريقة القرآن وهي (الفات) النفس وتوجيهها الى الاستدلال بالمخلوقات على الخالق" (38).

وعلى الرغم من ان الابراهيمي يكرر استعمال هذه الكلمة على هذا النحو ... فاننا لم نجد في المعجم الا صيغة :

(لفت يلفت لفتا) ولم نجد : (الفت يلفت الفاتا) .

ومما قد يكون من هفوات الابراهيمي ايضا ـ استعماله لكلمة (شواعر) بدلا من (مشاعر) اذ يقول :

" ومنذ سنوات احتفلت عصابة من احياء القلوب و (الشواعر) بموقعة حطين (39)".

والحق ان كلمة (شواعر) هي جمع (شاعرة) ، ولعل الابراهيمي يقصد (مشاعر) (40) وهي القوة التي يحس بها الانسان . غير اننا يجب ان نلاحظ ان (المشاعر) تعني ايضا المناسك الدينية كالحج وغيره .

---

(38) الابراهيمي : محاضرة 7 رمضان (حلقة 2) .
الشهاب : ج 6 م5 . ص: 6 .

(39) الابراهيمي (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب : ج 4 م 14 . ص : 172 .

(40) حوار مع الدكتور . ابراهيم السمرائي بجامعة قسنطينة .
افريل 1979 م .

2.7 — تراكيب ومعاني تتردد في اسلوب الابراهيمي .

ويبقى ان نلتفت الى بعض التراكيب والمعاني التي تتردد اما في نهايات بعض المقالات والخطب ، او في نهايات بعض الفقرات الطويلة ، من ذلك مثلا ان الابراهيمي يكثر من ايمائه او تصريحه بما يفيد اصابته بزكام او سعال اونزلة برد .

يقول الابراهيمي في نهاية رسالة الى تلميذه محمد العيد آل خليفة سنة 1936م : " قرأت زفراتك هذه الساعة في الشهاب وانا طريح الفراش اعالج زكاما مستعصيا ونزلة شعبية ، وسعالا مزمنا ، واولادا يطلبون القوت اربع مرات في اليوم ، وتلاميذ يطالبون الدرس سبع مرات في اليوم والليلة ، فقلت : وهذه اخرى(41) . "

وتتكرر هذه الشكوى في نهايات بعض نصوص هذه الفترة ، وكذلك في نهايات بعض مقالات "عيون البصائر" .

ومع اننا لا نستبعد ان يكون الابراهيمي مصابا فعلا في بعض الاحيان او بصفة مزمنة بالصداع او الزكام او السعال .. الا اننا نرجح ان الرجل يكنى عن متاعبه التي يسببها له الاستعمار او اتباعه من موظفين وشيوخ طرق وغيرهم - بالصداع ونزلات البرد التي يصاحبها البث ...

والبث في هذه الحالة - سواء كان الصداع حقيقة ام مجازا - وسيلة من وسائل التخفيف من هذا الصداع .

وربما كان الابراهيمي متأثرا في هذه الناحية بالجاحظ ، فقد جاء في البيان والتبيين ما يلي :

"

---

(41) الابراهيمي : (بين شاعر وعالم : كتاب العالم) .
الشهاب . ج 3 م12 . ص : 136 .

" قيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة المسعودي : كيف تقول الشعر مع النسك والفقه ؟ فقال : ان المصدور لا يملك ان ينفث (42) ."

وهناك عبارات اخرى في اسلوب الابراهيمي لا فتئة للنظر ، تتردد احيانا في مجال الحوار مثل قوله :

" فنعم وكرامة عين (43) ."

وعبارات اخرى تتردد في نهايات المقالات مثل قوله :

" فلا ولا كرامة (44) " . او مثل قوله : " فلا كانت الطرقية ، ولا كان من طرقشا (45) " .

والمهم هنا ان نشير الى ان نهايات النصوص عند الابراهيمي من اهم ما يميز اسلوبه في الكتابة او الخطابة .

---

(42) ابو عثمان الجاحظ : البيان والتبيين : ج 1 : ط 4 . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . طبعة مزيدة ومنقحة للسيد / فاتح الداية . نشر المجمع العلمي العربي الاسلامي - بيروت : (دون تاريخ) . ص : 356 ، 357 .

(43) الابراهيمي : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب ج 4 م 14 . ص : 175 .

(44) الابراهيمي : (تصدير) السجل : ص : 33 .

(45) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص : 23 .

1 • 7 • 2 — التراكيب شبه العامية في اسلوب الابراهيمي.

وكما ان هناك تراكيب فصيحة تتردد في اسلوب الابراهيمي ، من مثل التي سبقت الاشارة اليها .. فان هناك بعض التراكيب شبه العامية في اسلوبه ايضا مثل قوله حكاية عن شيوخ الطرق "سلم تسلم" و "سلم للرجال في كل حال" (46).

واذا كانت المفردات والتراكيب مما يشكل ظاهرة واضحة في صياغة الابراهيمي للنصوص التي ندرسها .. فان هناك ظواهر اخرى تضاف الى هذه الظاهرة في رسم ملامح اسلوب الابراهيمي النثرى .

وأهم هذه الظواهر - فيما يبدو لنا - ظاهرة الاطناب، وظاهرة السخرية ، وظاهرة الجدل المنطقي ، وهي الظواهر التي سوف تحاول الصفحات التالية تتبع ملامحها من خلال النصوص المدروسة .

---

(46) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب ، ج 9 م 10 . ص : 392 .

3.1 - تمهيـــد :

يبدو أن ظاهرة المفردات والتراكيـب التي أسلفنا الحديـث عنهـا قد بينت لنا بعض خصائص أسلوب الابـراهيمي التي أهمهـا ان اللغـة عنده اداة ووسيلـة لهـدف ، وليسـت غاية يقصد اليهـا قصـدا . كما بينـت لنا تلك الظاهرة كـذلـك أن السياق هو الذى يحـدد نـوع المفـردة او التركيـب ، ولذلـك فـان المناسبة هي التي تفرض غـرابـة الكلمة أو بساطتهـا أو عجمتهـا أو عاميتهـا .

لكن اسلوب الابـراهيمي - كما هو الشأن بالنسبـة لكل أسلوب - ليس هو الالفـاظ والـتراكيب ، وليس هو الافكار والاراء .. وانما هـو الافكار والاراء والمشاعـر والاحساسات في ثوب من الالفـاظ والـتراكيـب ، لان الالفـاظ والـتراكيب لا تعـبر عن ذلـك جميعـا ، الا من خلال تفاعلهـا مع جميع تلـك العناصـر في نسيـج واحـد هو ما نسميه بالاسلوب .

ولعـل ظاهـرة الاطنـاب التي سوف نعتبرهـا - في هذه الدراسة - ظاهـرة عامة تـدخـل ضمنهـا عناصـر اخـرى كالسجـع والجنـاس والترديـد والتوشيـع - هي العـلامة الثانيـة المميزة لاسلـوب الابـراهيمي فـي هذه النصـوص ، فهي التي تشكـل بعناصرهـا الامتداد الطبيعـي للظاهـرة السابقـة ، (ظاهـرة الالفاظ والـتراكيـب) .

واذا كنـا قد لاحظنـا - في الظاهـرة السابقـة - ان اللغـة فـي ألفاظهـا وتراكيبهـا ليسـت هدفـا في اسلـوب الابـراهيمي ، وانما هي مجرد وسيلـة لاداء المعانـي التي يقصـد اليهـا ، فان السؤال الذى يفـرض نفسـه هنا هـو : ما اذا كان الابراهيمي يقصـد الى الاطنـاب قصـدا ، أو انـه مجـرد وسيلـة لهـدف ..؟

2 . 3 — الاطناب : مواضعه ودواعيه .

لعله من حقنا ان نتوقع — من الابراهيمي — الذى حدثنا طويلا عن حفظه للقرآن الكريم ولكثير من — جوانب الثقافة العربية الاسلامية [1] — الايجاز والتركيز اكثر مما نتوقع منه الاطناب والتطويل .لكن طبيعة جوانب الخطابة والتعليم والمحاضرة والوعظ الديني والحوار الجدلي عند الابراهيمي ، قد جعلت أسلوبه اميل الى الاطناب والتطويل منه الى الايجاز والتركيز. وحتى السخرية التي من المفروض ان تكون لمسا خفيفا غير مباشر — لا هزا عنيفا — لموضوع السخرية — أصبحت من وسائل الاطناب التي يستخدمها الابراهيمي قصد الوصول الى تحقيق بعض اهدافه .

والاطناب من الناحية الاصطلاحية هو :((زيادة اللفظ على المعنى لفائدة))[2] ، فان لم يكن منه فائدة [illegible] أو تطويلا[3] .

ومع ان مواضع الاطناب كثيرة في نصوص الابراهيمي التي بيمن ايدينا ،وخصوصا في الفترة الاولى ،أى قبل تأسيس جمعية العلماء ،فان من العسير ان نجد عنده مثلا واحدا للحشو .

---

(1) ينظر مقال : أنا للاستاذ محمد البشير الابراهيمي : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . العدد 21 . سنة 1966م . ص : 136 .

(2) مجدى وهبة . معجم المصطلحات الادبية . ص : 70 .

(3) ينظر : احمد الهاشمي . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع . دار احياء التراث العربي . بيروت — لبنان — (دون تاريخ) . ص : 228 .

أما الامثلة على الاطناب فكثيرة ،وأكثر ما نلاحظه في البدايات والنهايات ،كما في " خطبة الابراهيمي في حفل تأبين الدكتور محمد بن أبي شنب "(4) ومقال " الانسان اخو الانسان "(5) ،ومقدمة " محاضرة الاستاذ الابراهيمي في 7 رمضان بنادى الترقي بالعاصمة "(6) ، ونهاية " كلمة من المجلس الادارى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى كتاب البصائر الكرام "(7).

ومن اهم دواعي الاطناب عند الابراهيمي : ترسيخ قيمة موضوع النص في اذهان المتلقين ، أو الشرح والتفصيل ،أو التأكيد على حقيقة مهمة في موضوع من الموضوعات ،أو محاولة ابراز جانب من الجوانب الخاصة بالكاتب او الخطيب ..

وقد يكون الاطناب عند الابراهيمي وسيلة تنبيه وايحاء . كما قد يجعل من الاطناب الساخر وسيلة كشف وتحقير للخصوم .

أما ان يكون الاطناب وسيلة لترسيخ قيمة موضوع من المواضيع في اذهان المتلقين ، فانه يتمثل في محاولة الابراهيمي ترسيخ قيمة (الاتحاد) بالنسبة للمواطنين الجزائريين في بداية فترة هذه الدراسة ، وكذلك ترسيخ الاسس التي يقوم عليها ذلك الاتحاد . ويتجلى ذلك على وجه الخصوص ، في الحلقة الاولى من المحاضرة التي القاها في السابع من شهر رمضان بنادى الترقي بالعاصمة سنة 1929م (8).

---

(4) ينظر : الشهاب ج 4 م 5 . ص : (7- 12) .

(5) ينظر: الشهاب ج 8 م 5 . ص ص : (7 - 10) .

(6) ينظر : الشهاب ج 5 م 5 . ص : 6 .

(7) ينظر : البصائر . السنة الاولى . العدد : 2 . ص : 2 .

(8) ينظر : الشهاب ج 5 م 5 . ص : 6 .

وأمـا أن يهـدف الاطنـاب الى الشـرح والتفصيـل فنحـو ما تمثلـه الفقـرة التوجيهيـة التاليـة التي وجههـا الابراهيمي الى كتـاب جـريـدة البصائـر سنـة 1936 بمناسبـة صدورهـا لاول مرة اذ يقـول : " اننـا لا نـريـد التضييـق عليكـم ـ أيهـا الكتـاب الكرام ـ وانمـا نـريـد الفاتكـم الـى الميـاديـن الفسيحـة والمـراعي الخصيبـة وتوجيهكـم الـى ناحيـة التفكيـر العميـق والبحـث المنتـج ، فأمامكـم من المواضيـع ما تنفـد الاعمـار ولا ينفـد . أمامكـم حقـائـق الـديـن وفضائلـه وآداب الاسـلام وحكمـه فاشرحـوهـا وأبينوهـا .

وأمامكـم السنـن الميتـة فأحيـوهـا نشـرا ونصـرا كمـا احييتموها علمـا وعمـلا ، وارفعـوا اصواتكـم بلـزوم احيـائهـا .

وأمامكـم مباحـث التـاريـخ الاسـلامـي وعـبـره وعظـاتـه وسير أمجـاده فـأحيـوهـا تحيـوا بهـا وتحيـوا .

أمامكـم أمـراضنـا الاجتماعيـة وجوائحنـا النفسيـة والخلقيـة ...

أمامكـم العلـم بآفاقـه المتسعـة فبينـوا ، ورغبـوا وأهيبـوا بالغافلـيـن عنـه ...

أمامكـم اللغـة العربيـة وعلومهـا وآدابهـا فابحثـوا ونقبـوا واحـدوا ركـابهـا وطـربـوا واسفـوا لبيـان فضلهـا شمـيكـتـم لتعليمهـا .

وأشـربـوا قلـوب اولاد هـذه الامـة : انـه مـا عـزد تلبـل بغـيـر حنجـرتـه .

أمامكـم العلـم والـديـن، واذا قلنـا لكـم العلـم والـديـن فقـد قلنـا لكـم قليـلا ودللناكم على كثيـر . والاحسـان الاحسـان ـ أيهـا الكتـاب الكـرام ـ فلا تكتبـوا الا فيمـا تحسنـون موضوعـه (9) ".

---

(9) الابراهيمي : (كلمة من المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الى كتاب البصائر الكرام) .
البصائر . السنة الاولى . العدد : 2 . ص : 2 .

وأما التأكيد على جانب من الجوانب التي يتمنى الابراهيمي تحقيقها ،فمن امثلته تأكيده ان اتحاد الامم الاسلامية وتماسكها في القديم كان عن طريق الاسلام واللغة العربية ، وبهما يستطيع المسلمون اليوم ان يتوحدوا ويتماسكوا (10) .

وربما هدف الابراهيمي بالاطناب في مقالي : (الانسانية : آلامها واستغاثتها) (11) و (الانسان أخو الانسان) (12) - الى بيان سعة ثقافته الخاصة ..

ولعل الابراهيمي كان يرمي الى التنبيه والايحاء الى مواطنيه من طريق خفي - بحقيقة الموضوع الذى يشغل باله وبالهم ، فيعمد الى نوع من الاطناب لا يدرك معناه العدو والمتربص - وخصوصا قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - فمن ذلك مثلا انه عندما أراد ان يقول :- في مقال (الانسان أخو الانسان)- ان الاستعمار الفرنسي قد خالف الشرائع السماوية ،وعكس منطق العقل ،ولوث القيم الانسانية - عندما أراد ان يقول ذلك عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر - أوهم - وبواسطة أسلوب الاطناب - باهتمامه بأثر الاستبداد عموما على الاخوة الانسانية ،فراح يستعرض اطوار صراعها ضد الاستبداد .

ويصل الابراهيمي في النهاية الى نتيجة وكأنها الهدف الثاني من كتابته لذلك المقال-وهي : ان امل الانسانية في تخلصها من الاستبداد يكمن في تآخيها ووحدتها .

---

(10) ينظر : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية المحمدية العدد 4 ،ص: 1 .

(11) ينظر : الشهاب ج 1 م 6 ، ص : 10 ، 11 .

(12) ينظر : الشهاب ج 8 م 5 ، ص ص (7 - 10) .

ومن هنا فقد دعا الابراهيمي مواطنيه تحت هذا الستار - وبأسلوب غير مباشر - الى وجوب وحدتهم وتآخيهم عن طريق عقد الجمعيات العلمية والطبية والمالية والرياضية والادبية .

والاطناب الساخر - عند الابراهيمي - وسيلة كشف وتحقير للخصوم ، كما هو الحال عندما يتجه الى شيوخ الطرق وعلماء السنة بقوله : " فهل يجب التسليم عندكم للمتخمر اذا تخمر فعبث بالمقامات العليا من نبوه وملكية وألوهية ، ويجب التسليم عندكم للمشعوذ اذا شعوذ ، وللشيطان اذا استحوذ ، وللمجدوب اذا اختلت اعصابه وضاع صوابه ، وسال لعابه ، ولا يجب التسليم لكتاب الله اذا قام دليله ، ولهدى نبيه اذا اتضح سبيله ، وهل من محادة لله ورسوله أعظم من هذه ؟ وهل في مراتب الاستخفاف بالدين أسهل من هذه ؟ ".(13)

---

(13) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 1) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 7 . ص : 2 .

3.3 - السجع والجناس

لقد ذكر البلاغيون وسائل - أو أساليب - للاطناب منها : الاعتراض والايغال والتذييل والتتميم ..
غير اننا سنسمح لانفسنا - بعد ان اعتبرنا الاطناب ظاهرة عامة في اسلوب الابراهيمي - أن نضع السجع والجناس في مقدمة العناصر المساعدة على هذه الظاهرة ،على الرغم من انهما يعدان من المحسنات البديعية اللفظية من ناحية ، وعلى الرغم من اننا لانعرف احدا من البلاغيين أدخلهما في أساليب الاطناب أو لاحظ - على الاقل - العلاقة بين الاطناب من ناحية ، وبين كل من السجع والجناس من ناحية اخرى .

ومع ذلك فلابد من القول بأن: " السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر ،وأفضله ما تساوت فقره[14] ، وان " الجناس هو تشابه لفظتين في النطق واختلافهما في المعنى"[15].
كما لابد من القول بأن معظم نصوص الابراهيمي في الفترة التي ندرسها تبدأ بالسجع المصاحب - في الغالب - للجناس ، وقد يستمر ذلك في معظم الفقرات الاخرى للنص .

واذا كانت هذه الخاصية تطرد في معظم الخطب ،فانها لاتقل اطرادا عنها - ما عدا بعض المحاضرات او التقارير القليلة جدا - في بقية النصوص الاخرى ، من ذلك الامثلة التالية :
يقول الابراهيمي : " سكتنا حتى هدرت الشقاشق وقرت ، وظهرت الحقائق واستقرت ،ونثلت الجرائد كنائنها ،وأخرجت الصور دقائقها[16] ".

---

(14) احمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ص : 404 .

(15) المرجع السابق . ص : 396 .

(16) الابراهيمي : بداية مقال (مقتل الشيخ كحول) . البصائر .العدد :32 ص: 1 .

كما يقول :" نبتدئ الكلام باسم الله وحده ، وبالصلاة والسلام على سيدنا محمد ابن عبد الله رسول الله وعبده ، وبالرضى عن آله وأصحابه أنصار الحق وجنده(17) ".

ويقول كذلك :" لسنا ممن يكبر (شيخ الاسلام) للقبة ، ولا ممن يعرفه بمركزه ومنصبه ، ولا ممن يزنه بدثره ونشبه !..(18) "

ان السجع واضح في هذه المطالع ، كما ان الجناس واضح كذلك في المطلعين الاول والثاني .

والحق ان اهم مميزات اسلوب الابراهيمي - سواء في خطبه او في بقية الانواع النثرية الاخرى - تظهر أكثر فأكثر في البدايات أو في النهايات(19)! فالخطب عنده تبدأ بالحمد والثناء في صورة جمل قصيرة مسجوعة ومشتملة - في الغالب - على انواع من الجناس . وكذلك الحال في بدايات معظم النصوص التي ليست خطبا .

وكما يكون كل من السجع والجناس في الغالب متلازمين في نصوص الابراهيمي ، فان كلا منهما يتسم بسمة اخرى .

فأما السجع فغالبا ما يكون متوازيا(20) ، واما الجناس فيكون في الغالب ناقصا ، ولعل المثال التالي مما يشتمل على هذه الخصائص جميعها ، يقول الابراهيمي في نهاية عرضه لمراحل نشوء الحركة الاصلاحية في الجزائر :" بهذا العامل الرابع تلاحق السدد ، وتكامل السدد ، وانفسح للاصلاح الامد ، واتضح منه الصدد(21) ، والنهج اللاحب الجدد(22)!"

---

(17) الابراهيمي : بداية خطبة : (الجمعية دعوتها وغايتها) . الشريعة . السنة الاولى . العدد 4 . ص : 1 . عمود : 1 .
(18) الابراهيمي : بداية مقال : (أشيخ الاسلام هو ام شيخ المسلمين ؟؟) . البصائر . السنة الاولى . العدد . 20 . ص : 1 - عمود : 1
(19) اشرنا الى ذلك في (ظاهرة المفردات والتراكيب) ينظر : ص (   ) من هذه الدراسة .
(20) السجع المتوازي هو الذي اتفقت فقراته في الوزن والقافية .
(21) السدد : القصد .
(22) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص : 42 .

وكما ان المثال السابق يشتمل على السجع والجناس - والسجع فيه متواز ، والجناس ناقص - فانه يشتمل كذلك على سمة من سمات الاطناب - المصاحبة للسجع والجناس - وهي : التطويل الذى يتضح من خلال جملتي : (واتضح منه السدد ، والنهج اللاحب الجدد) .

ويمكن ملاحظة الخصائص السابقة كذلك في المثال التالي الذى يخاطب فيه الابراهيمي جمعية علماء السنة فيقول : " أى هدف ترمون بهذه الشتائم المصبوبة ؟ وأى غرض تقصدون بهذه المكائد المنصوبة ؟ فان كنتم تريدون الاشخاص الذين تصرحون بأسمائهم وتعرضون بنعوتهم وسيمائهم فقد خلطتم . وان كنتم تريدون المبدأ ، مبدأ الاصلاح حتى تموت هذه الفكرة وتنطفىء هذه الجمرة - فقد غلطتم . وان كنتم تريدون الاثنين لعلمكم ان موت المصلحين موت للاصلاح (والعكس) فقد تهتم في العماية وخبطتم[23] " .

فالسجع المتوازى واضح في الجملتين الاولى والثانية ، والجناس الناقص واضح في الكلمتين : (المصبوبة والمنصوبة) ، وكذلك في الكلمات : (خلطتم وغلطتم وخبطتم) .

ولعل الاطناب الذى يأتي مصاحبا لعنصرى (السجع والجناس) قد اتضح اكثر في الفقرة السابقة ، وخصوصا في قول الابراهيمي : " حتى تموت هذه الفكرة ، وتنطفىء هذه الجمرة " ، فقد كان بامكانه الاكتفاء بقوله : " حتى تموت هذه الفكرة " دون ان يعطف عليها قوله : " وتنطفىء هذه الجمرة " ودون ان يتغير المعنى في شيء .

وهكذا يمكن ان يقال ان عنصرى (السجع والجناس) من اهم الوسائل التي ساعدت على وجود ظاهرة الاطناب في اسلوب الابراهيمي .

---

(23) الابراهيمي : (تسالوا نسائلكم : الحلقة 3) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 11 . ص : 2 .

ومما يجب التأكيد عليه هنا هو ان الابراهيمي لم يكن يقصد قصدا الى استعمال عنصري (السجع والجناس) ، وانما يأتيان عنده عفو الخاطر ، غير أن كثرة ورودهما في أسلوبه قد ادى - في كثير من الاحيان - الى الاطناب والتطويل مما أصبح يشكل ظاهرة واضحة في هذا الاسلوب .

وكما ان السجع عند الابراهيمي وسيلة مساعدة على الاطناب ، فقد يكون بالاضافة الى ذلك وسيلة لتأكيد النفي ، من ذلك قوله : " لسنا ممن يكبر شيخ الاسلام للقبه ، ولا ممن يعرفه بمركزه ومنصبه ، ولا ممن يزنه بدثره ونشبه ، ولا ممن يستهوى بدواوينه وكتبه . وانما نكبره لعلمه ، ونكبره من نواحي هذا العلم بآثاره في العلم (ان كانت) ، وبأعماله للعلم (ان وجدت) "(24).

فعندما أراد الكاتب ان يؤكد نفي اعترافه باستحقاق الشيخ الطاهر بن عاشور للقب (شيخ الاسلام) - استخدم السجع المتوازي ، واستخدم كذلك تكرار المفردات ، وتكرار مباني الجمل (وهو نوع من الاطناب) ، وتكرار اداة النفي (لا) .. كما قلل وشكك في ادوات الاثبات عن طريق عبارات : (وانما - وان وجدت - وان كانت) . وبذلك يمكن ان نقول ان السجع عند الابراهيمي وسيلة لتأكيد النفي ، وهو نوع من الاطناب كذلك . وكما أن السجع انواع ، وافضله ما كان متوازيا ، او ما طالت فقراته ، الثانية عن الاولى ، والثالثة عن الثانية .. وهكذا ، فان الجناس انواع كذلك ، منه ما يكون ناقصا ، كما هو واضح في المثالين السابقين ، ومنه ما يكون تاما كما هو الحال في المثال الآتي اذ يتحدث الابراهيمي عن فتوى الطاهر بن عاشور فيقول : " لم يبق لفتياه من شأن الا انها فتوى رجل فقيه ... ينقدها من يشاء نقدها ، ولو كانت ملفوفة في (شال) ، ويتركها من يشاء تركها ، فما ثقل بها ميزان ولا (شال) "(25).

---

(24) الابراهيمي : (أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين ؟ ؟) . البصائر . السنة الاولى . العدد : 20 . ص : 1 . عمود : 1 .

(25) الابراهيمي : (المصدر السابق) . ص : 3 عمود : 2 .

فالجناس تام بين (شال) الذى يلبس ، وبين الفعل (شال) بمعنى ارتفع في الميزان .

وكما استخدم الابراهيمي الجناس التام والناقص ، فانه استخدم جناس الاشتقاق كما في قوله : (يسوس شيخ الاسلام امه بدين ثابت الاساس يحكمه في طباعها لتأتلف ، ولا يحكمها في اوضاعه لئلا تختلف ، ويروضها على احكامه واخلاقه وآدابه لتتأثر به ، ولا يروضه على اهوائها لئلا تؤثر فيه . (26)

وبالاضافة الى تعرض الابراهيمي في الفقرة السابقة الى شيخ الاسلام الطاهر بن عاشور الذى كان من المفروض ان يسوس الامة بالدين ، ولكنه عكس الامر فحكم اهواء الامة في اوضاع الاسلام .. فاننا نلاحظ توظيفه لجناس الاشتقاق الذى يتمثل في قوله :

(لتتأثر به) و (لئلا تؤثر فيه) ، وهو نوع من انواع الاطناب .

ولعله بما سبق يتضح ان السجع والجناس قد ساعدا على الاطناب في أسلوب الابراهيمي .

---

(26) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 1 ، 2 .

3.4 — الجمل الاعتراضية والاستفهامية.

والجمل الاعتراضية - بعد السجع والجناس - وسيلة أيضا من وسائل الاطناب عند الابراهيمي ،من ذلك قوله في احدى خطبه امام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

" اننا - أيها الاخوان - لا نزن الاعمال بما هي عليه في انفسنا ضخامة وضؤولة ، وانما نزنها بآثارها المنبعثة منها المترتبة عليها ...

انني - أيها السادة - أحاول في موقفي هذا ان أقص عليكم طائفة من الآثار المشهورة والغايات المحمودة التي وصلت اليها جمعيتكم في بضع سنين (27) ".

وكما ان الجمل الاعتراضية هي احدى وسائل الاطناب في أسلوب الابراهيمي كما هو الحال في المثال السابق وفي غيره من النصوص التي بين ايدنا (28) ، فان الجمل الاستفهامية كذلك قد تؤدي به احيانا الى الاطناب ،وهو ما نجده في مقدمتي " خطبة تأبين ابن أبي شنب (29) " و " يوم الجزائر (30) ".

أما الوسائل الاخرى التي ساعدت على الاطناب في أسلوب الابراهيمي فأهمها :

الترديد والتوشيع ،وهما وسيلتان من وسائل التكرار .

---

(27) الابراهيمي: (خطبة الاستاذ الابراهيمي في الاجتماع العام الخامس) . البصائر . السنة الاولى . العدد :37 . ص : 6 . عمود :1، 2 .

(28) ينظر مثلا : " تقرير الاستاذ محمد البشير الابراهيمي عن الامية ". السجل . ص : 85 وما بعدها .

(29) ينظر : الشهاب ج 4 م 5 . ص : 7 .

(30) ينظر : الشهاب ج 4 م 12 . ص : 192 .

3.5 - التكـــــرار

والتكــرار هــو زيــادة الكــلام بذكــر الشــيء مــرتين أو اكثـــر . ويكــون : اما بكثــرة تكــرار جملــه وألفاظــه - والبلاغيــون يحصرونــه في هــذا النــوع - مثــل ما نجده في مقدمــة خطبــة تأبــين الابراهيمي للدكتــور محمــد بن ابي شنــب(31) . واما بكثــرة تكــرار الافكـــار التي يــرمز اليهــا الكــلام من غــير ان يــأتي الكــاتب بجــديد مثــل الذى نجده في مقــدمــة مقــال :" الانسان أخــو الانســان(32)".

ومن تكرار اللفظ عند الابراهيمي أنــه قــد يكــرر فعلا مــن الافعــال في بدايات مجمــوعــة من الجمــل ،كما فعــل عندما كــرر فعــل (يدعــو) في مقدمــة محاضــرتــه في 7 رمضــان بنــادى الــترقــي بالعاصمـــة(33) . وكما فعــل عنــدما كــرر فعــل (يــرتــاح) في خاتمــة خطبـــة " الجمعيـــة : دعوتهــا وغايتهــا(34)" والفعــل في الموضعين السابقين مضــارع ، وقــد يكــون الفعــل المكــرر ماضيــا كما فعــل في "خطبـــة تأبــين الدكتــور محمد بن ابي شنـــب(35)" عندما كــرر فعل (مــات) .

وكمــا يكــرر الفعــل - مضــارعــا أو ماضيــا - فانــه قــد يكــرر الاسم ،كما فعــل عنــدما كــرر في بدايات مجموعــة من الفقــرات أسمـــي الفاعــل (مــؤدى) و (مقتضــى) ،وذلك في مقدمة مقـــال : " الانســان أخــو الانســـان(36)".

---

(31) ينظر : الشهاب : ج 4 م 5 . ص : 7 .

(32) ينظر الشهاب ج 8 م 5 . ص : 7 ، 8 .

(33) ينظــر : الشهاب ج 5 م 5 . ص : 6 .

(34) ينظر : الشريعة . السنة الاولى . العدد 4 . ص : 3 . عمود : 1 ، 2 .

(35) ينظر : الشهاب ج 4 م5 . ص : 7 .

(36) ينظر : الشهاب ج 8 م5 . ص: 7 ، 8 .

وقد يكرر الابراهيمي عبارة معينة كما فعل عندما كرر عبارة :"(يا ساكن الثرى) في خاتمة (خطبة تأبين الدكتور محمد بن ابي شنب)[37] . وقد يكرر أداة استفهام معينة كما فعل في مقدمة الخطبة السابقة عندما كرر عبارة " ما هذا ؟" و" ما هذا ؟" ، أو عندما كرر عبارات :" من الموفود ؟ و" من العلماء ؟ و" من الشباب ؟ " في مقدمة مقال :" يوم الجزائر"[38] .

+ + +

لكن انتزاع هذه الانواع - من التكرار - من سياقها لا يبين لنا كيف وظفها الابراهيمي - كعادته دائما - في خدمة المعنى . ولكي نتبين ذلك ينبغي الرجوع الى بعض النصوص .

يقول الابراهيمي مخاطبا شيوخ الطرق :

" أليس فيكم من يبيع الاولاد للمقيم ؟

أليس فيكم من يهدد المسلم بخراب البيت ؟

أليس فيكم من كتب على قبر أبيه :

هذا مقام ابراهيم ومن دخله آمنا

فلا يخشى من الجحيم ومن النار الحاميا ؟

أليس فيكم من يقول في صراحة انه يتصرف في الوجود ؟...[39]

فالتكرار هنا يساوي الدلالة على الكثرة : كثرة المساوئ في هؤلاء الشيوخ ، لفضحهم امام العامة ، تمهيدا لرميهم بالتهمة الدامغة .

---

(37) ينظر : الشهاب ج 4 م 5 ، ص : 11 .

(38) ينظر : الشهاب ج 4 م 12 ، ص : 192 ، 193 .

(39) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 1) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 7 . ص : 2 . عمود : 3 .

" ويريدون منا ألا نسميهم لصوصا ؟ كلا ، انهم لصوص ، ويزيدون على اللص العادى بواحدة - وما يزيدون بها الا النقص-وهي انهم يتلصصون باسم الدين(40) "

وانظر كم كررت كلمة " لص " ومشتقاتها في هذه الاسطر القليلة .

وقد يكون التكرار في اسلوب الابراهيمي تعبيرا عن طموح أو أمنية ... من مثل قوله مخاطبا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

" ان الحد الاخير الذى يحدده التاريخ لهذه الجمعية هو اليوم الذى يصبح فيه المسلمون كلهم بهذا الوطن ولا مرجع لهم في التماس الهداية الا كتاب الله وسنة رسوله ...

هو اليوم الذى يصبح فيه المسلمون اخوانا ...

هو اليوم الذى يصبحون وقد حطموا القيود ؟

يوم يصبحون كما كان سلفهم ذاتا واحدة ...

يوم يصبحون متساوين في العبودية لله ولا يعبدون غيره(41) . "

فالتكرار في الفقرة السابقة تعبير عن اماني الابراهيمي وطموحاته من ناحية ، وهو يهدف به من ناحية اخرى الى التأثير في المستمعين للعمل من اجل تحقيق هذه الاماني التي هي أمانيهم أيضا .

وقد يستعمل الابراهيمي التكرار وسيلة عد أو احصاء ، من مثل محاولته احصاء فضائل الاسلام على الامم التي انطوت تحت لوائه اذ يقول :

" ان الامم التي دخلت في الاسلام متفاوتة الدرجات

---

(40) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 2 . عمود : 1

(41) الابراهيمي : (تلخيص الخطبة الاولى في يوم الاجتماع الاول) . الشهاب ج 9 م 10 . ص : 404 .

في الانفعالات النفسية وانماط التفكير ، متفاوتة في الادراك والذكاء ، متفاوتة في القابلية والاستعداد ، متفاوتة في التصوير والتخييل (42) "

ويصل الابراهيمي من خلال هذا الاحصاء الى نتيجة وهي : أنّ الاسلام قد استطاع رغم ذلك التفاوت أن يوحد عقيدها ، وأن يوحد نتيجة لذلك نظرتها الى الكون والى الحياة .

وربما حل التكرار اللغوي محل البناء المنطقي للنص ، والحق ان هذه الخاصية لا تظهر الا في مقال واحد هو : " الانسانية : آلامها واستغاثتها " فنحن لا نجد لهذا المقال بناء متماسكا ، وانما هي مجموعة من الجمل المترادفة التي لا تشكل بناء ناميا بقدر ما ترتبط بروابط سطحية اطنابية .

---

(42) الابراهيمي : (العربية : فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية) . الشهاب ج1 م 15 .
ص : 11 وما بعدها

1 • 5 • 3 - الترديد

وهناك نوع آخر من أنواع الاطناب عند الابراهيمي وهو الترديد الذى يعد نوعا من انواع التكرار .

والترديد من الناحية الاصطلاحية هو "تكرار اللفظ متعلقا بغير ما تعلق به أولا (43) ."

ومن امثلته عند الابراهيمي قوله مخاطبا اعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحاثا اياهم على العناية بالشباب :

" فعلى العاملين من قادة هذه الامة وهداتها أن يتعاهدوا هذا العنصر النامي بالعناية ،وأن يحوطوه بالدعاية ... فلا يمضى زمن حتى تتكون لنا أمة صحيحة العقل ،صحيحة العقائد ، صحيحة التفكير ، صحيحة الابدان ،صحيحة الاعمال .

تلك هي الامة التي نرجوها ونعلق عليها الآمال ، تلك هي الامة التي تمحو سيئاتنا بحسناتها وتتكل عليها ان تثأر لنا من الزمان (44) ."

فالترديد يتضح في النص السابق من تكرار كلمة (صحيحة) التي تعلقت بجوانب مختلفة .

---

(43) احمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، ص : 230 .

(44) الابراهيمي : الشهاب ج 9 م 10 . ص : 417 .

3.5.2 — التوشيـــع

ويوجد في أسلوب الابراهيمي نوع آخر من الاطناب الى جانب الانواع السابقة وهو " التوشيع ".

والتوشيع من الناحية الاصطلاحية : " ضرب بديعي ، أوضح حالاته ان يجيء المتكلم باسم مثنى ، ثم باسمين مفردين هما ذلك المثنى نفسه... (45) "

والتوشيع عند الابراهيمي وسيلة من وسائل الشرح والتفصيل بعد الاجمال أو الابهام .

والملاحظ ان الابراهيمي قد استخدم التوشيع في نصوص بداية فترة هذه الدراسة ، وخصوصا في المحاضرات ، اكثر مما استخدمه في نصوص نهاية الفترة .

ومن امثلة ذلك ما جاء في " محاضرة 7 رمضان بنادى الترقي بالعاصمة " حين اتجه فيها الابراهيمي الى المواطنين الجزائريين حاثا لهم على التعاون وعلى جمع المال في سبيل بناء المدارس فقال :

" ان كنا نحب - أيها السادة - ان يكون لنا اثر قوى في سبيل العلم ، وخطوة واسعة فيه ، فلنحرم على أنفسنا عقيدتين :

عقيدة الاتكال على الاعمال الفردية من فريق المعلمين ، أو من فريق الاغنياء ، وعقيدة الاتكال على الحكومة. (46) ".

ثم حثهم بعد ذلك على عدم التوانى في تنمية ثروتهم الوطنية ، والمحافظة عليها من التبذير واستغلال الاجانب لها فقال :

---

(45) احمد الحوفي (دكتور) . بلاغة الامام علي . دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة . سنة 1977م . ص : 311 .

(46) الابراهيمي : (محاضرة 7 رمضان بنادى الترقي بالعاصمة) . الشهاب ج 6 م 5 . ص : 9 .

" نحن في هذا المقام نتحمل واجبين : واجب الاحتفاظ بما هو موجود ، وواجب استثمار الموجود حتى ينمو. "(47)

وواضح ان (التوشيع) في المثالين السابقين قد أفاد الشرح والتفصيل ، وذلك شيء طبيعي ، لان (التوشيع) والشرح والتفصيل .. جميعا من الوسائل التي يلجأ اليها المعلمون والخطباء .

وبذلك يكون للتوشيع وظيفة ، كما هو الحال في أنواع الاطناب الاخرى التي لاحظناها سابقا في اسلوب الابراهيمي .

(47) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 9 .

4

ظاهرة السخرية

4 • 1 — تمهيـــــــد :

تعـد ظاهـرة السخريـة من أهـم الظـواهـر التي تتضـح في اسلـوب الابـراهيمـي ،بالاضافـة الي ظاهـرتي : تـأثره بالقـرآن والـتراث ، والاطنـــاب .

ونحـن هنـا لا نناقـش السخرية الا من خـلال مكوناتهـــا في نصـوص الابـراهيمـي التـي بين ايـدينـا .

ولمـا كانت السخريـة في هـذه النصـوص تقوم على اسـاس مهـم وهـو : ابـراز التنـاقـض بـين جمعيـة العلمـاء التي ينتمـــي اليهـا الابـراهيمـي ،وبـين خصومهـا من طـرقيـين واداريــين ـ في الاهـداف وفـي التصرفـات ، فـان هـذا المبـدأ هـو الـــذى جمـل الـطبـاق والمقـابلـة من العـناصـر المعـدة للاسلـــوب الساخـر عنـد الابـراهيمـي .

أمـا الايجـاز فـانـه مقـترن عنـد الابـراهيمـي بالتلميـــح وكـلاهمـا يوحيـان بنـــوع من التعـريـــض ، ولـذلـك فـان مكانهما هنـا طبيعـــي .

4.2 — الطباق المقابلة

ان اصل الطباق هو قرن الشيء بضده ، ومن شأن قرن الاضداد وضوح الفكرة من ناحية ، وزيادة التأثير في المتلقي من ناحية أخرى .

والطباق عند الابراهيمي وسيلة تبرز من خلالها الصفات السيئة للخصوم . وهو وسيلة لعرض صور التناقض في الحياة بشكل عام ، وفي حياة الجزائريين مع اعدائهم من اداريين استعماريين ومن طرقيين مضللين .. ويتم ذلك عند الابراهيمي - في الغالب - عن طريق الاشارة الى وضعين متناقضين ، ثم التنبيه الى أسباب التناقض بينهما وذلك كما يتضح من حديثه عن الاحتفالات عندما يجعل اساسها :

" ما يذكر الجمهور بامجاده التاريخية ومفاخره القومية ، وفيه (في الجمهور) نخوة أماتها الضيم ، وفحولة قضى عليها التأنث ، وذكرى اخنت عليها الغفلة والنسيان ، وأصالة خنثتها الاعراق الدسيسة ، وعزيمة اطفأتها طباع الضعف والفسولة ، وأريحية غطى عليها اللؤم المخزي والشح المطاع ، وشواعر خدرتها تهدئة الدخيل ، وزمزمة الحاوي وهينمة الواغل[1] . " .

فالطباقات في الفقرة السابقة من امثال : " الفحولة والتأنث - والذكرى ، والغفلة - الاصالة والتلوث - واللؤم والاريحية ... " كلها لوحات توميء بالاصل وتشير الى السبب ، فالضيم الاستعماري مصاحب للغفلة " والتأنث والاعراق الدسيسة - .. الخ

ولذلك فان أسمى الاحتفالات هي التي تكشف عن أصالة وفحولة وأريحية الشعب المظلوم لكي يقتدى بأصله في ازاحة الضيم عن حاضره .

---

(1) الابراهيمي : (كلمة في الاحتفالات) . الشهاب ج 4 م 14 . ص : 169 .

والمقابلة كما هو معلوم ، ان هي الا طباق متعددة ، وهي تبدو عند الابراهيمي كأوضح ما تكون عندما يتعرض الى صراع الحق - الذى تعمل من اجله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - مع الباطل الذى يغرى به (شيوخ الطرق) عامة الناس .
وقد ارتفعت نسبة المقابلات عند الابراهيمي في تلك النصوص - تعالوا نسائلكم - التي حاور فيها (شيوخ الطرق واتباعهم) عندما اجتمعوا في جمعية سموها " جمعية علماء السنة . "

وقد ابرز الابراهيمي في تلك النصوص مساوىء هؤلاء الشيوخ في صور سخيفة ، وقابل بينهم وبين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فقال : " وفرق ما بيننا وبينهم أننا ندعو الى السنة وهم يدعون الى البدعة . ونحن ندعو الى اخوة الاسلام ... وهم يدعون الى افرقة والتفرق .

وفرق آخر بيننا وبينهم ، أننا نذكر الامة بكتاب الله وما صح من سنة نبيه ، وهم يذكروننا بالطبل والمزمار(2) ".

واذا كانت هذه المقابلة بين (الطرق) وبين (المصلحين) في مجال المبادىء العامة والاهداف التي يراها الابراهيمي لكل من المجموعتين ، فان هناك مقابلة اخرى قد عقدها بين ما يريده كل من (المجموعتين) للانسان الجزائرى العامي في تلك الفترة .

يقول الابراهيمي : " لهذا العامي ان يؤمن بالله ربا وبالاسلام دينا ، وبالكعبة قبلة وبالقرآن اماما ومحمد رسولا ، وأن لا يرجو النفع الا من ربه ، وأن لا يستدفع الضر الا به ، وان لا يستعين - بعد الاسباب الكسبية - الا بقوته .

وتريدون منه ان يؤمن مع ذلك، أو قبل ذلك ، او بعد ذلك بأنكم اولياء الله ، وان استبحتم الحرمات وركبتم المحرمات ، وأن يشرككم مع الله في الدعاء ، أو يدعوكم من دون الله ،

---

(2) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 2) .السنة النبوية المحمدية العدد 9 . ص : 1 .

وأن يلتجىء اليكم حتى فيما هو من خصائص الالوهية ،وأن يشد الرحال لبيوتكم كما يشدها لبيت الله[3].

والحق ان معظم هذه النصوص ـ تعالوا نسائلكم ـ تقوم على اساس بيان التناقض بين اعمال وتصرفات (الطرق) ، وبين (حقائق الدين الاسلامي الصحيح) .

وقد تكون المقابلة عند الابراهيمي وسيلة لبيان واجبات انتساب المسلم الى الاسلام ،وقيمة هذا الانتساب ،من ذلك قوله : " . . . ولكن للاسلام واجبات يقضي بها عليك - ايها المسلم - وواجبات يتقاضاها منك ،وآداب يروضك عليها لتستحق بذلك منازل الكرامة في دنياك وآخرتك ، وهو يريد تكميلك فلا تنقصه ،وهو يريد ان تكون حجة به فلا تكن حجة عليه . وأنت منسوب الى الاسلام - ولكن هل يسرك ممن ينتسب اليك ـ العقوق وتضييع الحقوق[4].

واذا كان الابراهيمي في هذا النص يوجه المسلمين الى قيمة تشرف انتسابهم للاسلام ،فانه في الوقت نفسه يعرض بالطرقيين بأسلوب جذاب ووجيز ولكنه ذو ايحاء بعيد . .
وما يمكن التنبيه اليه في هذا السياق هو ان الابراهيمي يرسم صور خصومه وتصرفاتهم بصور قد يكون فيها شيء من المبالغة ، ولكنها مع ذلك تستند الى المقدمات التي يمهد بها في الغالب لمعظم الصور التي يرسمها لهم .

ولاشك ان عمق التناقض في الصور التي يرسمها الابراهيمي هو الذي يجعل من المقابلة جزءًا من اجزاء اسلوبه الساخر .

---

(3) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم (الحلقة:1)).السنة النبوية المحمدية. السنة الاولى . العدد 7 . ص :2 .

(4) الابراهيمي : (الاسلام والمسلمون) . السنة النبوية المحمدية . السنة الاولى . العدد : 4 . ص : 5 . عمود : 1 .

4 . 3 — الايجـــار والتلميـــح

واذا كانت صور المقابلات عند الابراهيمي تعبر عن عمـــق التناقض ، فان التلميح والايجـاز يعبران عن دقة ربط الابراهيمي لبعض الاحداث التي يعرض لها في فترة هذه الدراسة ـ بأحداث اخرى بعيدة ، مع ما يوحي به الربط ـ في الغالب ـ من تهكم نحسه من الصور العامة للسياق ، فمن ذلك مثلا : ما نحسه عندما يربط الابراهيمي بين علاقة لقب (شيخ الاســلام) ، بالشيخ (الطاهر بن عاشور) اذ يقول :

" اما اننا لا نكبر هذا اللقب فلأننا لم نكبره يوم كانت تمطيه المؤهلات الحقيقية ، ويمنحه الرأي العام العلمي ، فيقـــال : شيخ الاسلام (ابن القيم) ، وشيخ الاسلام (ابن حجر) مثـــلا ، فما اغنى هذا اللقب عندنا عن الاول معشار ما أغنى عنـــه (أعلام الموقعين) وغيره من كتبه ، ولا اغنى عن الثاني معشار ما اغنى عنه (فتح الباري) وغيره من آثاره ـ فكيف نكبره الان وحاله هي حاله ؟ (5)

ان العبارة الاخيرة من هذا النص ، بما فيها من استفهـــام ، توحي بكل النقائص التي أحاطت بتنصيب الطاهر بن عاشـــور شيخنا للاسلام ، وبكل النقائص الكامنة ـ كما يرى الابراهيمي ـ في تكوينه العلمي ، والتي تقف به دون هذا اللقب . وتوحي كذلك بالنقائص العقلية والشخصية لهذا الرجل الذى استخدم هذا اللقب في غير ما وضع له ، فأفتى ـ وهو شيخ الاسلام ـ بما لا يتفق مع الاسلام .

وهكذا يكون الايجاز في هذه الحالة مشيرا للايحاءات التـــي تكشف عن العيوب التي تحط من قيمة الخصـــم ، حتى وان لـــم يذكر الابراهيمي تلك العيوب ذكرا مباشرا .

---

(5) الابراهيمي : (أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين ؟؟) . البصائر . السنة الاولى . العدد : 20 . ص : 1 .

ولايختلف الايجاز - كثيرا في مثل هذه الحالة عن التلميح الذى يعنى الاشارة الى قصة معلومة - - وقد استخدم الابراهيمي هذه الناحية عندما أراد أن يبين زيف انتساب (شيوخ الطرق) الى السنة فقال : " ومن امثلة ما تهيأ لاصحابنا منه دعواهم في السنة : دعوى آل حرب في زياد "(6).

وفضلا عما توحي به قصة ادعاء (شيوخ الطرق) للسنة ، وربطها بقصة ادعاء آل حرب في زياد من تهكم واضح ، فان الابراهيمي يضيف الى هذا التهكم تهكما من نوع آخر وهو استخدامه لعبارة (أصحابنا) التي يتهكم بواسطتها من خصومه شيوخ الطرق واتباعهم .

ونجد مثل هذا التلميح عند الابراهيمي في رده على (خير الدين الزركلي)- عندما تمنى الزركلي - (عودة صلاح الدين) وتمنى كذلك (تجديد حطين) - فرد عليه بقوله : " وهل أمتك مستعدة لان تأتيك بصلاح الدين مرة أخرى ؟

وهل قومك اهل لان يجددوا موقعة حطين وفيهم أمثال عبد الله ..؟ "(7) .

فالابراهيمي هنا يشير الى قصة خيانة الملك عبد الله (ملك الاردن) للقضية الفلسطينية ، ويعرض بالمسلمين الذين لم تعد فيهم المقومات التي كانت في المسلمين عندما ظهر بينهم صلاح الدين ..

---

(6) الابراهيمي : تعالوا نسائلكم (الحلقة 1) . السنة النبوية المحمدية . السنة الاولى . العدد : 7 . ص : 1 . عمود : 3 .

(7) الابراهيمي : (كلمة في الاحتفالات) الشهاب . ج 4 م14 . ص:173 .

4 . 4 — التصوير والتشخيص

وإذا كان الابراهيمي قد استخدم الايجاز والتلميح ليبرز بهما عيوب خصومه البعيدة ، أو ليتهكم بهما من اوضاع غير طبيعية ، فانه استخدم وسيلتين أخريين ليصل بهما الى الهدف نفسه ، ولكن عن طريق آخر — وهما التصوير والتشخيص .
من ذلك، ان الابراهيمي يصور ما يقوم به اتباع (الطرق) في حفلاتهم الفوضوية التي تشوه وجه الاسلام وتحط من قيمته امام الاجانب —

فيقول : " وان منكم - (جمعية علماء السنة) - من يرقص أمام أولئك الاجانب رقص القرود ، وتلبسه شيطانية فليتهم الزجاج والحديد والحيات والافاعي وهم يضحكون ، ولا رأي لهم الا أن هذا هو الاسلام ، وهذه تعاليمه ، وهذه آثاره ، ولا منطق لهم الا أن هؤلاء هم اتباع طريقة كذا وطريقة كذا من الاسلام ، فهذا هو الاسلام . "(8)

واذا كان فيما يقدم به اعضاء الطرق حط من قيمة الاسلام فان الابراهيمي قد ثأر للاسلام منهم ، فحط من قيمة هؤلاء الطرقية بتصويرهم في صور قردة لا هدف لهم في الحياة الا انهم وسيلة ضحك وترفيه للاجانب .

واذا كان شيوخ الطرق قد ظلموا الاسلام عندما صوروه للاجانب في الصورة المشوهة التي رسمها لنا الابراهيمي في الفترة السابقة ، فان (شيخ الاسلام) الطاهر بن عاشور قد ظلم الاسلام ايضا عندما أفتى - وهو شيخ اسلام - بما لا يتفق مع النصوص الدينية . ولهذا فان الابراهيمي يشخص من هذه الفتوى (امرأة) ثم يحاورها بقوله : " يا هذه انك لم تهتكي الخدر على نيام ، ولم تطرقي الحمى عن سواد مغفل ، وانك طفت منا بعقول لا تدين بهذه الالقاب ، وان تشرفت بالاضافة ، ونفوس لا تنقاد الا للدليل ، وان كان صاحبه

---

(8) الابراهيمي : تسالوا نسائلكم . (الحلقة2) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 9 . ص : 2 .

غفلا من (اللقب) عاطلا من الرتب ، فلا يضيرنا عندنا أن لو جئت من عند شيخ ... وبيدك الدليل ، ولا ينفعك ان جئت من شيخ الاسلام بصريح التناقض وسخيف التأويل ، فانزعي هذا البرقع وهلمّ نحتكم على سقور وان كنا لا نقول به في الغانيات ".(9)

واذا كان الابراهيمي قد رفع من قيمة الحجة والدليل العلميين عن طريق تشخيصه لفتوى ابن عاشور ، فانه قد حط من قيمة رتب ومناصب ابن عاشور التي يتجلى من خلالها التناقض الصريح .

وقد نفهم من كلمة (البرقع) التي يذكرها الابراهيمي في هذا التشخيص انها تعني لقب (شيخ الاسلام) الذي تستتر تحته ابن عاشور ليدلي من خلاله بما لا يوافق نصوص الاسلام .

ولا نغفل جانب التواضع وعزة النفس التي يرسمها الابراهيمي في هذا التشخيص للعلماء الحقيقيين في مقابل انحطاط وسخف (المروقية) التي يمثلها - فيما يرى الابراهيمي - الطاهر بن عاشور .

وهكذا يكون التشخيص - في اسلوب الابراهيمي - خطوة أخرى نحو رسم التناقض والوصول الى درجة اعمق من الاضحاك ..

---

(9) الابراهيمي : (أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين ؟؟) .
البصائر . السنةالاولى . العدد : 20 ،ص: 1 عمود : 2 .

5.4 — الاسلوب الساخر

حاولنا أن نتتبع في الفقرات السابقة بعض العناصر التي تمت بصلة الى الاسلوب الساخر - في نصوص الابراهيمي التي بين ايدينا - وها نحن نحاول في هذه الفقرة ان نمس الجزئيات المكونة لهذا الاسلوب .

فالسخرية او التهكم هي طريقة في الكلام يعبر بها الكاتب عن عكس ما يقصده بالفعل (10) .

ويلاحظ في هذا المجال ان الغرض من السخرية اما ان ما يكون هجائيا موجها ، او توبيخيا وازدرائيا عنيفا .

فاذا كان هذا الهجاء ينطوي تحت كلمات ليست في ظاهرها هجاء سمي تعريضا . واذا كان مهاجمة كلامية عنيفة سمي استهزاء أو تحقير (11) .

والحق ان الاسلوب الساخر عند الابراهيمي يمكن أن يدخل في باب المهاجمة الكلامية ، او الاستهزاء والتحقير اذا كان موجها لشيوخ الطرق واتباعهم ، أو موجها لرجال الدين الرسميين - وخصوصا الجزائريين - ويدخل في باب التعريض اذا كان الامر يتعلق ببعض العلماء العرب ، أو ببعض رجال الثقافة من غير الجزائريين .

ويكون تعريضا كذلك ، اذا تعلق الامر بالادارة الاستعمارية . ومن الامثلة على هذا الكلام ما نلسه عندما يعرض الابراهيمي بالمثقفين المصريين - في تلك الفترة - الذين كانوا يقلدون الغربيين في احتفالاتهم دون ان يهتموا بالاحتفالات الوطنية المصرية أو الاسلامية ..

---

(10) ينظر: معجم المصطلحات الادبية : مكتبة لبنان ، بيروت ، ص 93، 263 .

(11) ينظر : المرجع السابق : ص : 425 .

فيقـول : " ويا ليت اخواننا هؤلاء استبدلوا غربا بغرب فقلدونا نحن - مادام التقليد مبلغ جهدهم - في كثير من هذه المعاني التي يقلدون فيها الغربيين ، ألسنا مغاربة ؟ ألسنا أحق باسم الغرب بالنسبة الى مصر ؟ وانما اوروبا شمالي مصر ، وقد شرع لهم حافظ هذه التسمية في قوله :

" فدعونا نشم ريح الشمال (12) ".

ويعرض كذلك بالعلماء العرب - في مطلع النهضة - الذين نادوا بأن العربية عاجزة عن المصطلحات العلمية والحضارية الحديثة فيقول : " لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم ... فوعت الفلسفة بجميع فروعها ، والرياضيات ، والطب ، والهندسة ، والادب ، والاجتماع ، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الامم الغابرة والحاضرة .

وهذا هو التراث العقلي المشاع الذى لا يزال يأخذه الآخر عن الاول .

وهذا هو الجزء الضرورى في الحياة الذى اما ان تنقله اليك فيكون قوة فيك ، واما ان تنتقل اليه في لغة غيرك ، فتكون قوة لغيرك ، وقد تفطن اسلافنا لهذه الحقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا اليه ... (13).

واذا كان الابراهيمي في فترة " عيون البصائر " قد هاجم بعنف شديد الادارة الاستعمارية الفرنسية ، فانه كان حذرا في التعرض لها في فترة هذه الدراسة ، لكن ذلك لم يمنعه من الدفاع عن حقوق الجمعية التي هي حقوق الجزائريين ايضا .

---

(12) الابراهيمي : " كلمة في الاحتفالات ". الشهاب . ج 4 م 14 . ص : 175 .
وهذا الشطر للشاعر حافظ ابراهيم ،
ينظر ص : (628) من هذه الدراسة .

(13) الابراهيمي : (العربية : فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الامم غير العربية) الشهاب ج 1 م 15 . ص : 11 وما بعدها .

وينبغي الا يغيب عن الاذهان ان كل مطالبة بحقوق الجزائريين في تلك الفترة . كانت غير مقبولة من طرف الادارة الاستعمارية .

ومن هنا فان أي مطالبة بالحقوق غالبا ما تكون في قالب ينبه الجزائريين الى اوضاعهم السيئة من ناحية ،ويعرض بالادارة الاستعمارية من ناحية اخرى .

من ذلك ما يقوله الابراهيمي في الفقرة التالية :" ان هذه الامة الجزائرية أمة واحدة ولا كلام ، ربها الله ، واساسها القرآن ، ونبيها محمد ، ولغتها العربية ،ودينها الاسلام، وانها تحمل ما تحمله الامم من المقومات الكلية ،وان كانت لا تحمل ما تحمله الامم من المؤهلات للحياة..." (14)

ويجمع الابراهيمي أحيانا بين التعريض وبين الاستهزاء في النص الواحد ،من ذلك انه في الوقت الذي يهزأ فيه بالشيخ الطاهر بن عاشور الذي آثر رضى الناس على رضى الدين ،فانه يعرض بالمسلمين الذين تقبلوا منه تلك الفتوى . فنحن نلمح ذلك من تفريق الابراهيمي بين المسلمين الذين اغرى بهم الطاهر بن عاشور (قوة الحاكمين) ،وبين من لم يغر بهم ،وهم أتباعه وهو شيخهم - يقول الابراهيمي : " قولوا ما شئتم فاني لا ادعوه بعد اليوم الا شيخ المسلمين في غير ظلم ولا تحيز ،بل اعتقد انني اذ أسميه بهذا انما أسميه بأحب الاسماء اليه ،لانه آثر رضاهم على رضى الحق ، وارضائهم على ارضاء الدين ،ثم لا تسألوني عمن أعني بهؤلاء المسلمين ،فهم بالضرورة غير من اغرى -(الطاهر بن عاشور)- بهم قوة الحاكمين ." (15)

---

(14) الابراهيمي : ملخص خطاب الابراهيمي في مأدبة نادي الترقي للجمعية . الشهاب ج 9 م 10 . ص : 415 .

(15) الابراهيمي :" اشيخ الاسلام هو ام شيخ المسلمين ؟؟ " . البصائر . السنة الاولى . العدد 20 . ص : 2 . عمود : 2 .

والحق ان اجزاء كثيرة في نصوص الابراهيمي التي حاور فيها (الطرقية) أو(رجال الدين الرسميين) في هذه الفترة . هي اقرب الى الاستهزاء والتحقير منها الى التهكم والتعريض ، انها مهاجمات عنيفة موجهة لهم مليئة بالتحقير والسخرية اللاذعة ، يقول الابراهيمي :" اننا - (علماء الاصلاح)- لا نسألها - (أي الامة) - اجرا على ما اوجبه الله علينا في ارشادها ، ولا نرزؤها شيئا من مالها ، ولا نبيع لها الادعية لتملأ لنا الاوعية ولا نغرها بالمغفرة ولا نهون عليها معصية الله واطراح دينه بالغدا والمنكرات في مقابلة لقم محدودة او دراهم محدودة ، ولا نغريها على الاستسلام والخضوع لغير الله ،ولا نقارضها سكوتا عن باطلها بنطق في مدحنا ،ولا نشرع لها من الدين ما لم يأذن به الله (16) .".

وقد يكون هجومه لهم مزيجا من التحقير والتحدي ،فضلا عن تصويره لهم في صور ساذجة بلهاء من مثل قوله لهم :" فأجمعوا امركم ثم كيدوا (17) الحق فما انتم ببالغين الا ما يبلغه من يريد ان يغطي على الشمس بكمه ، وهو لا يدري ان وراء كمه ارض الله الواسعة (18) .".

ونحن لا نستطيع المضي في سرد امثلة ظاهرة السخرية عند الابراهيمي اكثر من هذا الحد ،وانما يمكننا القول : انه في الوقت الذي تعتمد فيه ظاهرة السخرية عند الابراهيمي وسائل مثل التصوير والتشخيص ، فانها في الوقت نفسه وسيلة لغرض يهدف اليه الابراهيمي - ضمن ما يهدف اليه علماء الاصلاح في تلك الفترة - وهو كشف مساوئ خصوم الجمعية ،وخصوم الامة جميعا -

---

(16) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 2) السنة النبوية المحمدية . العدد : 9 . ص : 1 .

(17) فالابراهيمي هنا متأثر لفظا ومعنى بقوله تعالى :" فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ،ثم اقضوا الي ولا تنظرون " اية 71 سورة يونس .

(18) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 7 . ص : 6 .

من الطرقيين ورجال الدين الرسميين ، والاداريين الاستعماريين .
وبذلك تصبح ظاهرة السخرية عند الابراهيمي سلاحا مهما يكشف بواسطتها عن الحقائق من ناحية ، ويخلخل بها نفسيات الخصوم الوجلة من الحق من ناحية اخرى .

وما يعطي لهذه الظاهرة في اسلوب الابراهيمي اهميتها أنه لايبنيها على ادعاءات باطلة أو تصورات خيالية ، وانما يبنيها على حقائق تصرفات الخصوم مقابلة بتصرفات علماء الاصلاح . كل ذلك في سياق يبدأه الابراهيمي من البديهيات ويسير به على درب من الجدل والحوار نحو الاهداف والنتائج .

ظاهرة الجدل المنطقي والسرد العلمي

1 • 5 — الجدل المنطقي

جاء في نهاية الظاهرة السابقة (ظاهرة السخرية) أن الابراهيمي يبني أسلوبه الساخر على أساس من الحقائق من ناحية ،وعلى أساس من الحوار المبني على مقدمات تقود الى نتائج وأهداف يقصد اليها قصدا من ناحية اخرى .

والمقدمات غالبا ما تكون ـ عند الابراهيمي ـ من البديهيات أو المشهورات ،أو المسلمات التي لا يعترض عليها معترض . وكما كان شعراء الجاهلية يصفون خصومهم فينصفونهم توطئة لهجائهم ،فان الابراهيمي قد استخدم - في جدله لخصومه ـ هذه الميزة بذكاء فائق ،فهو يصف وينصف خصائص الشيخ الطاهر بن عاشور العلمية توطئة لاظهار نقائصه العلمية فيقول :" نتكلم على الجهة العلمية فنصف الشيخ كما هو وننصفه ، ثم نتكلم على الجهة العملية (وله الله علينا ان ننصفه) ولعل الشيخ اذا تنزل وقرأ كلامنا وسلم اننا انصفناه في واحدة ، يتحقق اننا أنصفناه في الجميع (1)".

وبعد ان يصف كل المراحل والظروف ـ الملائمة - التي مر بها الشيخ الطاهر بن عاشور في حياته العلمية ، ينتقل الى ناحيته العملية فيقول :" أما جهة الرجل العملية ،فانني اصرح على رؤوس الاشهاد ،والاسى يحز الفؤاد ،أن أمل الامة خاب فيه من اول خطوة خطاها في حياته العملية (2)".

واذن فما وصف الابراهيمي لمميزات الشيخ الطاهر بن عاشور العلمية الا تمهيد لبيان نقائصه العملية .

وكما فعل الابراهيمي ذلك مع (شيخ الاسلام) ابن عاشور ، فانه سلك نفس الاسلوب مع شيوخ الطرق في الجزائر ،

---

(1) الابراهيمي : (اشيخ الاسلام هو ام شيخ المسلمين ؟) .
البصائر . السنة الاولى . العدد : 20 . ص : 2 . عمود : 1 ، 2 .

(2) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 2 . عمود : 3 .

فهو عندما اراد ان يجلي آثار تصرفاتهم السيئة على الاسلام والمسلمين ، بدأ بالكلام على أن الاسلام في جوهره " اصلاح عام من الله به على العالم الانساني كله ، بعد ان طغت عليه غمرة حيوانية عارسة اجتاحت ما فيه من فطرة صالحة"(3) . ثم يتدرج من هذه القاعدة البديهية - بالنسبة للمسلمين - الى أن من يمس مبدأ من مبادئ الاسلام ، فانه يمس مبدأ من مبادئ الانسانية .

ولما كانت الطرق تفسد مبادئ الاسلام فهي اذن تمس مبادئ الانسانية ، " ومن مكرها الكبار ان تعمد الى العلماء وهم ألسنة الاسلام المنافحة عنه فترميها بالشلل والخرس وتصرفها في غير ما خلقت له ، فقد ابتلت هذه الطرق علماء الامة في القديم بوساوسها وأوهامها حتى سكتوا لها عن باطلها . . .

وفي وقتنا هذا بلغ الحال بالطرق انها اذلت العلماء اذلالا واستعبدتهم استعبادا"(4).

وهكذا يدخل الابراهيمي الى مصارعة الطرق من باب طرح البديهيات التي لا يختلف فيها عاقلان ، لكي يصل من ذلك الى فضحها والى اثبات انها مناقضة لسبيل الانسانية السوى ، ومن باب اولى مناقضة لسبيل المجتمع الجزائري .

والحق ان ظاهرة الجدل المنطقي التي تعتمد على القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات للوصول الى افحام الخصوم او اقناع المتلقي بما يهدف اليه الكاتب او الخطيب . . تتضح بجلاء في مقالات : (تعالوا نسائلكم) التي جادل بها الابراهيمي (جمعية علماء السنة) وهي ظاهرة لم تكن واضحة في نصوص الابراهيمي التي كتبها قبل ذلك(5) .

---

(3) الابراهيمي : (تصدير) السجل . ص : 9 .

(4) الابراهيمي : المصدر السابق . ص : 23 .

(5) قبل سنة 1933 .

وأسلوب الجدل في هذه المقالات - وفي المقالات التي تقترب منها في الموضوع وفي الهدف[6] - يعتمد على الحوار (المفترض)[7]، وعلى كثرة الاستفهامات، وعلى طول الجمل، وعلى الجمل الشرطية، وعلى خاصية الالتفات .. هذا بالاضافة الى كثرة استعمال الابراهيمي في هذه المقالات للمفردات التي يتعامل بها (شيوخ الطرق) مع اتباعهم، كالـزردة والمكاشفة، واللحظة .. وغيرها .

ولعل معظم خصائص هذا الاسلوب تتضح في الفقرة التالية التي يتحدث فيها الابراهيمي عن رأي شيوخ الطرق في علماء الاصلاح اذ قال :" هم يقولون عنا لو اسقطوا من حسابهم فلانا وفلانا لـ . . . ولا يأتون في جواب (لو) هذه بشيء سديد . ونحن يحق لنا ان "نكاشف" ولو مرة في العمر، فدعوني آخذ نوبتي في المكاشفة عن (لو) هذه، وهاكم تركيب الجملة :

لو أسقطوا من حسابهم فلانا وفلانا (لاثنين) لقلنا لهم : أسقطوا فلانا وفلانا (لاثنين آخرين) حتى لا يبقى ..

وفاتهم اننا تسعة كما يقولون، وهذا الاسقاط الذي يطلبونه يتناول (اثنين اثنين) فلابد من بقاء واحد، والسر في ذلك الواحد . وما قولكم في ذلك الواحد اذا صاح صيحة الحق فاجتمع عليه تسعمائة وابتدأ الامر بأشد مما انتهى به ؟

ألا يكون ذلك انكى عليكم ؟ أم تظنون ان تنويمكم ضرب على المشاعر الحساسة كلها، وان ذكركم ملأ الآذان حتى لم تعد تسمع صيحة الحق؟"[8]

---

(6) من ذلك : مقالات : آثار اعتقال الاستاذ العقبي في الامة الجزائرية - وأشيخ الاسلام هو ام شيخ المسلمين ؟ - وتصدير سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - ومقتل الشيخ كحول ..

(7) يطرح الابراهيمي فكرة او قضية ثم يفترض ان هناك من يحاوره في هذه القضية فيتحدث على لسانه "منطقه" ثم يعود الى فكرته وهكذا ..

(8) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 3) .
السنة النبوية المحمدية . العدد : 11 . س : 1 .

ولا شك ان قدرة الابراهيمي على بناء الحجة المنطقية في حواره مع شيوخ الطرق من ناحية ،وبراعته في اختيار المواطن التي يسلم لهم فيها بحججهم ،ثم استغلال هذا التسليم لصالحه في المحصلة النهائية - هو مما يشكل سمة من سمات اسلوبه المنطقي .

ومما يدعم قوة (الحجة المنطقية) في اسلوب الابراهيمي انه يأخذ هذه الحجة احيانا من اقوال غيره ليقيمها هو بدوره حجة على فساد تصرفات خصومه ،من ذلك تصوره لحجة اللاهوتيين ضد الاسلام التي ينتزعونها من سلوك (شيوخ الطرق واتباعهم) اذ يبنى عليها هو بدوره حكمه على مدى جناية هؤلاء الطرقيين على الاسلام يقول في ذلك على لسان اللاهوتيين : " ما دامت العبادة بالهند يرنأ وبالبيانو، فالبيانو ارشق ، وما دام الامر بين اكل الافاعي ، وبين أكل الخبز ،فالخبز افضل . وما دامت المغفرة تباع بالدراهم عندنا وعندكم ،فنحن سواء !(9) .

أما ان يسلم الابراهيمي في حواره للخصوم ،ثم يستغل هذا التسليم لافحام خصومه وبيان تناقضاتهم فيما يقومون به في حياتهم وفيما يقولونه للناس ،فانه يتضح من الفقرة التالية اذ يقول : " ما بالهم سامحهم الله - يجمعون بين المتناقضات فيحجرون الاجتهاد على الاحياء والامرات الا على طائفة معينة كانت في زمن معين وقد مضت ومضى زمانها ، وجف القلم بأقوالها ،ويبنون على هذا انه لم يبق من سبيل في علم الدين الا التقليد ! قلنا : ولمن ؟

قالوا : لأولئك المجتهدين .

قلنا : سلمنا ،فهلم بنا الى كتبهم وآرائهم المتصلة الاسانيد اليهم . ولكنهم يتناقضون فيقلدون حتى في أدق دقائق العبادات العملية التي لا تؤخذ الا من نص صريح من آية محكمة او حديث صريح...(10) " .

---

(9) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم :الحلقة 2) . السنة النبوية المحمدية . العدد : 9 . ص : 1 .

(10) الابراهيمي : (عرض الحالة العلمية) . الشهاب . ج 9 م 10 . ص : 393 ، 394 .

والملاحظ على لغة الابراهيمي في النصوص التي تتخذ اسلوب الحوار أو البناء المنطقي - انها تصبح قريبة من استعمال العامة لها ، وتتخلى - تقريبا - عن تأثرها بالنصوص الدينية، وبالتراث . وقد تتخللها بدلا من ذلك بعض الكلمات العامية . .

والملاحظ كذلك ان هذا الاسلوب غير موجود في النصوص الاولى من المجموعة التي ندرسها ، وانما هو اسلوب بعض نصوص منتصف الفترة ، (فترة هذه الدراسة) .

ولكن هل هدف (الجدل المنطقي) في اسلوب الابراهيمي هو مجرد افحام الخصوم من طرقيين وغيرهم ؟

الحق ان الابراهيمي يهدف بالاضافة الى ذلك - الى تبصير العامة من المسلمين الجزائريين بالدسائس التي ينسجها هؤلاء الخصوم ، والمغالطات التي يطرحونها امام العامة والتي قد يغمض فهمها على غير الواعين منهم .

يقول الابراهيمي في هذا السياق :" ولكن القوم -(أعضاء علماء السنة)- ظهروا في الدور الاخير بأقوالهم واقوال خطبائهم وعلمائهم وكتابهم وشعرائهم بمظاهر مختلفة ... فتراهم يتخذون الاشخاص هدفا ... فتقول أنت : ان القوم لا يقاومون اصلاحا وانما يحاربون اشخاصا ، لهم معهم ترات ودخول ، وتراهم كذلك يقولون الاصلاح المزعوم الوهمي الكاذب فتقول أنت : ان القوم ينشدون اصلاحا واقعيا حقيقيا صادقا ... " (11) .

وواضح ان مثل هذا النص من نصوص الابراهيمي يدخل في باب توعية الجمهور بمغالطات الخصوم اكثر مما يدخل في باب جدل أولئك الخصوم .

فاذا كان الجدل المنطقي المتضمن للحوار هو اسلوب من اساليب

---

(11) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم : الحلقة : 3) .
السنة النبوية المحمدية . العدد : 11 . ص : 2 .
عمود : 1 .

الابراهيمي في افحام الخصوم أو كشفهم ، فان أسلوب الاستفهام قد جاء أيضا على قلم الابراهيمي ليفيد كشف أعمال وتصرفات الخصوم أو تكذيب ما يدعونه من أقوال باطلة ..

يقول الابراهيمي في هذا السياق مخاطبا شيوخ الطرق :

" أليس فيكم من يبيع الاولاد للعقيم ، ويبيع الراحة للسقيم؟

أليس فيكم من يهدد المسلم بخراب البيت وموت الاولاد ، وهلاك الحرث والماشية اذا هو قطع عادة أو قصر في شيء من رسوم الخدمة ؟

أليس فيكم من كتب على قبر أبيه

هذا مقام ابراهيم(12) ومن دخله آمنا

لا يخشى من الجحيم ومن النار العاميا

أليس فيكم من يقول في صراحة انه يتصرف في الوجود ، ويعطي من يشاء ويمنع ممن يشاء ، ثم ينحل هذا التصرف غيره ليكون له أسوة(13) ؟"

فالذي نفهمه من الاستفهامات في القطعة السابقة هو أن الابراهيمي يهدف الى كشف تصرفات وادعاءات شيوخ الطرق من ناحية ، ثم الايحاء للقراء بتكذيب أولئك الشيوخ ، بل وبالضغط عليهم في كل تلك الادعاءات التي بلغوا فيها الى حد الكذب على القرآن والادعاء بامتلاكهم سلطة التصرف في الوجود .

---

(12) جاء في القرآن : (فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) ، آية 97 . سورة آل عمران .

(13) الابراهيمي : (تعالوا نسائلكم : الحلقة 1) السنة النبوية المحمدية . العدد : 7 . ص : 2 .

5.2 — السرد العلمي

واذا كان الحوار والجدل مما يميز أسلوب معظم نصوص منتصف الفترة التي ندرسها ، فان اسلوب السرد العلمي مما يميز بعض نصوص آخر فترة هذه الدراسة .

ولعل اهم النصوص التي يتضح فيها هذا الاسلوب هي : "عرض الحالة العلمية " و " العربية : فضلها على العلم والمدنية وآثارها في الامم غير العربية ".

والحق ان هذا الاسلوب بدأ يتضح عند الابراهيمي منذ ان بدأ يكثر من الكتابة ، وخصوصا منذ ان بدأت (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) تنشئ صحفا خاصة بها — على الرغم من مقاومة السلطة لذلك — منذ 1933 .

ومن أهم سمات أسلوب السرد العلمي عند الابراهيمي تخليه عن الغرابة اللفظية ، وتخلصه — نسبيا — من الاطناب .

هذا فضلا عن قلة تأثره بمظاهر أسلوب التراث والنصوص الدينية ، فنحن لا نجده يستشهد في هذا الاسلوب بالايات القرآنية ، ولا بالابيات الشعرية — كعادته في غير هذا الاسلوب — الا نادرا .

كما لانقف عنده في هذا الاسلوب على مفردات غريبة مما نحتاج معه الى المعاجم أو القواميس .

ومثال هذا الاسلوب من نصوص الفترة التى ندرسها حديث الابراهيمي عن العلاقة بين ازدهار الحضارة - أي حضارة - وبين قوة اللغة - أو ضعفها - التي تعبر عن هذه الحضارة اذ يقول : " ازدهرت حضارات الامم القديمة من العرب وفارس والهند والصين ومصر ويونان والرومان ، وزخرت علومها وكانت كلها مبنية على اصول عامة متشابهة ، وكانت لكل حضارة لغتها المعبرة عن محاسنها ،

والكاشفة عن حقائقها ، وكان لتلك اللغات اثر بين في بقاء الحضارة وانتشارها . وكل من بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحياة واتساع ، فاللغة من الحضارة جزء لا كالاجزاء ،كاللسان من البدن عضو لا كالاعضاء . ثم اندثرت تلك المدنيات والعلوم الا ما بقي من آثار الاولى منقوشا على الاحجار ، وما بقي من آثار الثانية مكتوبا في الاسفار . ولولا اللغات لم نتبين من الحضارات ما تبيناه (14) ".

وأسلوب السرد العلمي عند الابراهيمي **كغيره من الاساليب الاخرى ..**

ليس هدفا يقصد الابراهيمي الى الكتابة فيه قصدا ، وانما هو دليل الموضوع الذى يتناوله ،فاذا كنا نلاحظ استعمال الابراهيمي لهذا الاسلوب في بعض التقارير الصحفية ، وفي بعض المحاضرات بصورة خاصة ، فان مثل هذه الموضوعات مما لا يحتمل غير اسلوب السرد العلمي .

ولعله بهذا يتدعم زعمنا بتلقائية الابراهيمي في الكتابة والخطابة ، وبأن اللغة عنده - سواء ارتفعت أم انخفضت - ان هي الا اداة طيعة امتلكها الابراهيمي امتلاكا كليا ، واستخدمها للتعبير عن فكره أو عن احداث مجتمعه او عالمه الواسع .

ويبقى انه تصرف في هذه الاداة - اللغة - عن طريق الاساليب التي حاولنا رصدها في الفقرات السابقة ، وهذه الاساليب - فيما نعتقد - يتميز فن القول عند الابراهيمي كاتبا وخطيبا .

---

(14) الابراهيمي : (العربية فضلها على العلم والمدنية واثرها في الامم غير العربية) الشهاب ج 1 م15 . ص : 11 وما بعدها .

الى هنا يمكن أن نقول ان هذه الرسالة قد حاولت القيام بعمليتين ، تعتمد احداهما على الأخرى .

أما العملية الأولى فهي جمع (آثار الشيخ محمد البشير الابراهيمي) التي انتجها في الجزائر حتى سنة 1939 م. ثم خدمة تلك الاثار بترتيبها وتوثيقها وشرحها و التعليق عليها .

وتوصلت هذه الرسالة في العملية الأولى الى جمع ستة وثلاثين نصا من النصوص التي كتبها الشيخ الابراهيمي في تلك الفترة ، أو خاطب بها مواطنيه حول مختلف جوانب حياتهم .

كما توصلت هذه الرسالة في العملية الأولى أيضا الى أنه من الصعب الجزم نهائيا بأن النصوص المجموعة هي كل ماانتجه الشيخ الابراهيمي في تلك الفترة .

لأنه - فضلا عن أن وسائل النشر لم تكن حرة ولاكافية ، فان هناك نصوصا تشير المصادر الى أن الابراهيمي قد كتبها أو خاطب بها مواطنيه في بعض المناسبات ، ومع ذلك بقيت مفقودة أو في حكم المفقودة لتعذر العثور عليها .

ولهذا فقد حاولت (هذه الرسالة) جمع ماتوصلت اليه من الاشارات الى النصوص المفقودة ، ووضعتها في آخر الجزء الخاص بالنصوص تحت عنوان :

" نصوص مفقودة "

* * *

وأما العملية الثانية التي قامت بها (هذه الرسالة) فهي دراسة تلك الاثار من جانبيها الفكري والفني . وقد اتضح من خلال الدراسة أن هناك محاور رئيسية شغلت فكر الابراهيمي في تلك الفترة - أهمها : بيان الدين الصحيح ، ومحاربة (الفرق الطرقية) التي حالفت الاستعمار في استغلال الشعب الجزائري وفي استعباده بعد تضليله والسيطرة عليه .. كما اتضح أن للابراهيمي (أساليب فنية) تمثلت - على الخصوص - في توصيل أفكاره الى متلقيها عن طريق (الاطناب) عند الخطابة والتعليم ، وعن طريق (السخرية) عندما يتعلق الأمر بفضح اساليب (الفرق الطرقية والاستعمار) - في التضليل والظلم والاستغلال ..

* * *

ولقد اكثر الابراهيمي من توظيف (قوالب ومفردات التراث العربي الاسلامي) من شعر وقرآن وحديث وأمثال - عند الخطابة والتعليم ، كما وظف التراكيب والمفردات العامية والعلمية والأجنبية - أحيانا - عندما يكون هدفه من الكتابة (السخرية وفضح خصومه) من طرقيين واستعماريين ..

ولعل الهدف النهائي من كل ماكتبه الابراهيمي في فترة (هذه الرسالة) هو التعليم والتوعية .. باعتبارهما أهم السبل لليقظة والتحرر .

* * *

وبقي أن نشير الى أنه اذا كان انتاج ابن باديس والشيخ الابراهيمي ، ومحمد العيد آل خليفة قد وجد بعض العناية من الدارسين ، فان هناك أعلاما - كتابا وشعراء - مازال انتاجهم ينتظر من يهتم به - من أمثال العربي التبسي ، والطيب العقبي ، ومبارك الميلي ، وأحمد رضا حوحو ، ومبارك جلواح ، والسعيد صالحي ، وعمر البسكري .. وغيرهم .

ولعل أول خطوة في دراسة الانتاج الفكري والادبي لمثل هؤلاء

الأعلام وغيرهم - تتمثل في جمع انتاجهم من الجرائد والمجلات التي كانوا يكتبون فيها . ولهذا فاننا نقترح على المكتبات الرسمية وخصوصا مكتبات البلديات والجامعات - أن تهتم بجمع - أو على الأقل بتصوير - الصحف الجزائرية - وخصوصا - المكتوبة باللغة العربية التي كانت تصدر في الربع الثاني من هذا القرن .

وتلك الصحف موجودة - في أغلبها - مبعثرة في مكتبات الخواص الذين لا يبخلون بها - أو باعارتها للتصوير - اذا ما وفرت لهم المكتبات الرسمية الثقة التي تضمن لهم المحافظة على تلك الصحف أو اعارتها اليهم بعد تصويرها .

ان جمع تلك الوثائق في المكتبات العمومية مثل مكتبات الجامعات والثانويات والولايات والبلديات والمكتبة الوطنية .. يتيح الفرصة أمام الباحثين لدراسة انتاج أعلام تلك الصحف الذين هم في الحق رواد نهضتنا الفكرية والأدبية ، ورواد يقظتنا الوطنية والقومية في مجال التحرر بجميع ألوانه .

كما نقترح أن تشترك وزارات (الاعلام والثقافة ، والتربية والتعليم ، والشؤون الدينية ، والتعليم العالي والبحث العلمي) . في تخصيص جوائز سنوية توزع - في عيد العلم - على المهتمين بدراسة انتاج أعلامنا الذين لم يهتم بانتاجهم بعد .

ونرى أن العناية بانتاج هؤلاء الأعلام يمكن أن يتجلى في شكل اختيار نماذج منه في كتب مناهج وزارة التربية والتعليم ، كما يتجلى في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - باقتراح اطروحات تعنى بانتاج هؤلاء الاعلام . أو بدراسات (موازنة) بين انتاجهم

الأدبي والفكري وانتاج نظرائهم من أعلامنا على امتداد الوطن العربي .

ونرى في الأخير أن وزارة الاعلام والثقافة يمكن أن تقوم بدورهم في التعريف بانتاج هؤلاء الأعلام - عن طريق قنوات الاذاعة والتلفزة ، وعن طريق نشر انتاجهم وتوزيعه وما يقام حول ذلك الانتاج من دراسات ...

وبالله العون والتوفيق

ملحق

1- رسالة من الأستاذ الشيخ محمد الصالح رمضان

2- رسالة من الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

بسكرة يوم الجمعة ٩ ذو القعدة ١٣٩٨

الأخ الفاضل الكريم الاستاذ الزائر محمد العيد تاورتة وعليك سلام وتحياته وبعد :

أنا الآن في حمام الصالحين للعلاج الصحي بالمياه المعدنية من أوائل شهر نوفمبر وسأبقى فيه الى آخر الشهر، وقد تلقيت رسالتيك الاولى والثانية قبيل سفري من العاصمة فاستصحبتهما معي الى حيث أنا الآن، ريثما أتفرغ للاجابة لما تريد قدر الامكان، واعذرني اذا لم أدقق وأحقق لك في بعض المسائل لبعدي عن المراجع فأنا الآن أكتب لك من الذاكرة التي لم تعد تذكر إلا بعض الاشياء القديمة .

وفي البداية أهنئك بالعيد السعيد راجيا من الله أن يعيده على الامة العربية والشعوب الاسلامية بالعزة والكرامة وبالسعادة والهناء بعيدين عن الفتن والاهواء التي شتتت شملهم وأضعفت كيانهم وجعلتهم في مؤخرة الشعوب والأمم، انه سميع قريب مجيب . كما أهنئك بمجيء الاستاذ المشرف على رسالتك داعيا لك بالتوفيق والنجاح في عملك، ولعله سيستفيد هو من بحثك كما ستنتفع أنت من توجيهه وارشاده وملاحظاته

واليك الاجابة من أسئلتك مرتبة كما جاءت في رسالتك :

أ - نص الشيخ الابراهيمي الذي وجد في (نصوصنا الادبية) بعنوان (يا شباب الاسلام) لا أذكر بالضبط أهو منقول من (البصائر) أم من (الشهاب)؟ ولا يعدوهما وغالب ظني أنه من البصائر كما قد يكون في (عيون البصائر)، وإلا فهو من الشهاب، وبما أني بعيد عن منزلي وعن مكتبتي فلا أستطيع أن أؤكد لك المرجع، وبوسعك ان لم تستطع الاطلاع على مجموعات البصائر والشهاب أن تعتمد ما نشر منه وطبع في كتابنا (النصوص الادبية) على صفحتي الاسم أولا اذا أردت نقل النص بكامله . وعند ذلك فلا مفر من البحث عن الأصل في مرجعه .

٢) - الذي أعرفه من الابراهيمي في سطيف بطريق السماع في الفترة ما بين عودته من الشرق العربي بعيد انتهاء الحرب العالمية الاولى، وبين تأسيس جمعية العلماء المسلمين ١٩٣١ أنه اشتغل بأموره الخاصة كتحقيق وتثبيت ما ورثه من أبيه وذويه، والاشتغال بالفلاحة والتجارة التي لم تعد عليه إلا بالخسارة (ومن كان أديبا في طبعه لا يمكن أن يكون تاجرا على حال) أما الامور العامة فقد كان حاول القيام بحركة علمية ثقافية اصلاحية في بلدته في سطيف ولكنه لم ينجح لأنه لم يجد التعاون الكافي الذي يشجعه على المضي في هذا السبيل، كما حاول الوعظ والارشاد العامة ولكنه كان كمن يصيح في واد فعزم أو ينفخ في رماد بلا جمر .../...

.../...

فالمجتمع القسنطيني وقتها كان منغلقا على نفسه متزمتا متشددا في محافظته على ما ألف وتعوّد من ركود وجمود. فقد كان أبعد ما يكون عن الانفتاح بالجديد المفيد من عالم بعيد الخصوص مثل الشيخ الإبراهيمي. ولكن السؤال هنا هل موقف الوسط القسنطيني من الابراهيمي ومن التفتح كان في تسيير خمول الابراهيمي في فترة العشرينات ؟!... والحال أن الوسط القسنطيني كان ككل البيئات الجزائرية، ومع ذلك فقد نجح ابن باديس في ذلك الوقت بقسنطينة ونجح العقبي كذلك في بسكرة ونجح الميلي في الاغواط مثلا كما نجح آخرون (كالتبسي في تبسة والزاهري في بسكرة) في الوقت نفسه تقريبا ما كانت حود رجات النجاح تتفاوت وتختلف بطبيعة الحال باختلاف الاشخاص والأماكن. بينما الابراهيمي لم يثبت أي نجاح في سطيف، لأنه لم يصبر ولم يتجلد ويثبت في خدمة الشعب وقتها، أو لعله لم يكن يؤمن بفائدة هذا العمل ونجاعته حينئذ، وهذا استطراد خارج في الحقيقة ولكنه يفرض نفسه على الباحث والدارس المحقق وهو موضوع بحث مستقل.

ولا يفوتني أن أذكر في هذه الفترة أن الابراهيمي عمل فترة قصيرة محاضرا في نادي الترقي بالعاصمة في أواخر العشرينات، قبل مجيء الشيخ الطيب العقبي إلى النادي.

٣) — فيما يخص آثار الابراهيمي المنشورة في الصحف في تلك الفترة، لا أعرف له سوى ما نشرته له (مجلة الشهاب) من خطب ومحاضرات وهي جد قليلة بالنسبة إليه ولعلك اطلعت على تعقيب (الشهاب) على الابراهيمي بعد ما نشر له تلك المحاضرة التي ألقاها في نادي الترقي عن (الاجتماع الحيوي المنتج) حيث قال في نقدها معا: «مضت مدة على هذا الكنز الدفين (الابراهيمي) لم تجن الامة من ثمار [illegible] قلمه ولسانه إلا قليلا وجهنا إليه عتب الصديق على صديقه فكان يعتذر ويعتذر ولكن!..» ويبدو أن هذه الملاحظة لابن باديس نفسه صاحب المجلة، ولو لم توقع بامضائه، ففيها روحه وأسلوبه، ولعله الوحيد الذي يستطيع أن يلاحظ عليه في تلك المجلة وفي ذلك الوقت.

وتوثيقا لذلك أقدم نص عثرت عليه للابراهيمي في الشهاب هو تلك المحاضرة المنشور في عدة حلقات من (الشهاب) ابتداءا من الجزء (٤) من المجلد (٥). والحقيقة أن للابراهيمي في العدد الذي قبله (أي الجزء الرابع من المجلد الخامس) خطبة في تأبين فقيد العلم بالجزائر العلامة المحقق الدكتور محمد بن شنب في ست صفحات من الشهاب. وفيما عدا الشهاب لا أعرف له شيئا منشورا في تلك الحقبة لا في (المنتقد) ولا في (الشهاب الجريدة) ولا في (الاصلاح) التي كانت تصدر في بسكرة ولا في (صدى الصحراء) كذلك، ولا في غيرها من الصحف الوطنية الجزائرية فالابراهيمي في فترة العشرينات (كان خاملا) لم يكن يكتب ولا يخطب ولا كان ينشر له شيء في الصحف ما عدا النزر القليل جدا من خطب المناسبات التي كانت تنشر له بموافقته وبعدم موافقته...

.../... ج٢ـــ لعل الحركة التي أشار إليها الابراهيمي في محاضرته تلك بنادي الترقي تتعلق بحركة جماعة (نادي الترقي) و(الجمعية الخيرية) بالعاصمة اللتين تولدت عنهما (مدرسة الشبيبة الاسلامية)، هذا إذا كان يتكلم عن نهضة العاصمة بعد الركود الطويل الذي مر بها، وأما اذا كان يقصد النهضة الجزائرية عموما فلعله كان يريد مع ذلك[1] ما يقوم به الشيخ عبد الحميد بن باديس من صحافة وتعليم ووعظ وارشاد وانشاء مشاريع ومنظمات بقسنطينة كالدروس العلمية للطلاب من مختلف الجهات، ودروس الوعظ والارشاد للعامة بالمسجد ومحاضرات التوعية والتوجيه للعمال والشباب في النوادي، وتنظيم وتشجيع الجمعيات الخيرية والرياضية والفنية والتجارية، وتكوين المدارس الابتدائية للصبيان ودعوته لتعليم البنت التي لم يسبقه إليها أحد في الجزائر، وما كان الشعب ليقبلها من غيره لشدة حساسيته إزاءها.

(٢) وما ظهر في بسكرة النخيل من نهضة أدبية وإصلاحية وصحفية وسياسية اشترك فيها أو كان من دعاتها الشيخ الطيب العقبي والامين العمودي والدكتور سعدان والشيخ خير الدين والشاعر محمد العيد والكاتب والأديب كالعزوزي بن حوحو والزاهري والسنوسي والجنيدي أحمد مكي، وأحمد العابد العقبي وغيرهم (٣) وما ظهر من بوادر التآليف الأولى ونشاط الكتابة والخطابة من توفيق المدني وأبو اليقظان والسعيد الزاهري والزريبي والديسي والميلي والعمودي والعقبي وابن باديس واللقاني والسلطاني والعرابي والسنوسي الخ الخ

وأذكر لك بالخصوص بعض الكتب التي ظهرت في ذلك الوقت الباكر مثل التقاويم السنوية: لابن دالي كحول، وتوفيق المدني، وابن العابد الجلالي، وكتب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) و(ذكرى [illegible])، و(قرطاجنة في أربعة عصور)، و(ديوان أبي اليقظان)، و(كتاب الجزائر) الى غير ذلك من ثمار العقول والمطابع الجزائرية، كل هذا في العشرينات وقبل تأسيس جمعية العلماء فلعل الابراهيمي كان يشير إلى كل ذلك في محاضرته العاصمة أي إلى النهضة الحديثة عموما بالجزائر. وفيما يخص فترة العشرينات هذه ينبغي أن تراجع كل أعداد الصحف والكتب والتقاويم، فإذا حصلت عليها أو على بعضها فستجد فيها ما يكفي نهمك ويطفئ ظمأك نحو الابراهيمي أو نحو غيره من رجالاتنا وبناة نهضتنا. وفيما يتعلق بالابراهيمي فيها يستطيب أن أذكر لك سلسلة مقالات نشرت في الشهاب بعنوان (اللغة العربية في الجزائر) فيها علاقة تامة بسطيف في ذلك العهد والابراهيمي مقيم بتلك المدينة. ويتتبع أبواب (مسائل جزائرية) و(في المجتمع الجزائري) و بعض رحلات الشيخ ابن باديس التي كان يقوم بها في الجزائر وينشرها في الشهاب يتعرف منها على الحياة العامة بكل بلدة ويذكر الحركة الثقافية والنهضة الأدبية والحالة الدينية والاجتماعية والسياسية، بذلك كله يمكنك أن تترصد الحركات ورجالها وتقتنصها

.../...

../..

ق) — أما أنا لم أعاصر الإبراهيمي في تلمسان كما قلت، وإنما عرفت الإبراهيمي
في إدارة (مدرسة دار الحديث) بعد خروجه من تلمسان، وكانت معرفتي به في قسنطينة
من أيام طلبي للعلم على ابن باديس في أواخر الثلاثينات ابتداء من 1935 إلى وفاة ابن باديس
في سنة 1940 وقيام الحرب العالمية [illegible] ونفي الشيخ الإبراهيمي إلى آفلو، إنما كانت
هذه المعرفة تتمثل في حضوري لبعض خطبه ومحاضراته في قسنطينة وهو وقتها نائب
رئيس جمعية العلماء ومقيم في تلمسان، وأنا أتعلم أو أعلم في قسنطينة. ثم توطدت علاقتي
به بعد إطلاق سراحه من المنفى في 1943 حيث [illegible] نقلني من مدرسة التربية
والتعليم بقسنطينة إلى إدارة (مدرسة غليزان) بعمالة وهران، وكان يتردد عليّ فيها
إذ كانت (غليزان) محطة راحة له في الطريق بين العاصمة وتلمسان لتوسطها بينهما،
وكانت عائلته ما تزال مقيمة بتلمسان، [illegible] وعمله في مركز الجمعية بالعاصمة، وفي
ذهابه وإيابه يتوقف ليستريح من وعثاء السفر ويتزود بما يلزم السيارة من
وقود ونحوه. فنحيط به ونلازمه ونخدمه. وقد يمتد وقوفه نصف نهار وقد يبيت
بها عند أصدقاء له كبار من مثل عائلة الدكتور فرنسيس وغيرها من الأسر الإصلاحية
الغليزانية أو التلمسانية أو العباسية أو الزواوية. وكان يحاول نقلي إلى تلمسان لإدارة
مدرستها الكبيرة (دار الحديث) وكنت أمانع خوفاً من تلمسان والتلمسانيين لا خوفاً
من منصب إدارة المدرسة، خوفاً ورهبة من استخلاف رجل عظيم كالإبراهيمي في وسط
صعب المراس كالوسط التلمساني الذي كنت أسمع عنه الكثير في غليزان ووهران،
حتى جاء وفد من المجلس الإداري لجمعية العلماء في بداية 1947 فيه الإبراهيمي والتبسي و
خير الدين وبوكوشة وأجبروني على الانتقال إلى تلمسان أو التخلي عن العمل في
صفوف جمعية العلماء، واعتذرت بخوفي وعجزي فلم يقبلوا مني عذراً ونقلوني إلى تلمسان
حيث أقمت فيها مديراً لمدرستها ومفتشاً جهوياً لمدارس ناحيتها سبع سنين كاملة، كان
الشيخ البشير يتردد عليها من حين إلى حين بعد أن سكن العاصمة بعائلته، وقد كان كثير
التنقل والتجوال لتفقد مراكز الحركة الإصلاحية ورجالها بالوطن وجمع ما يلزمها من مال
ونشاط الإبراهيمي في فترة الأربعينات هذه أكثر نشاطاً وحيوية من فترة العشرينات
التي أمضاها في سطيف [illegible] ومن فترة الثلاثينات التي أمضاها في
معلماً وواعظاً مرشداً أو محاضراً في بعض النوادي
تلمسان باسم جمعية العلماء، إذ كان في الأربعينات يكتب ويخطب ويتنقل لفائدة الجمعية
والحركة الإصلاحية والتعليمية، ومن آثاره فيها مجموعة المقالات الأسبوعية التي كانت تنشر
في افتتاحيات جريدة البصائر ثم جمعت أو جمع معظمها في كتاب (عيون البصائر) ../..

..... ومن آثاره فيها أيضا انتشار الحركة الاصلاحية التي عمت السهل والجبل في الجزائر كلها

وازدهار حركة التعليم بحيث لم تبق مدينة أو قرية لم تنشأ فيها مدرسة لجمعية العلماء ثم نوجت

هذه المدارس بتكوين (لجنة تعليم عليا) كانت بمثابة أكاديمية وطنية حرة لمدارس الجمعية

تضع الخطط للتعليم وتسهر على وضع البرامج والمناهج وتنفيذها وتشرف على اختيار المعلمين

وتعيينهم وتحولاتهم وتقدير درجاتهم وتعيين مرتباتهم وتقرير الكتب المناسبة أو وضعها

كما كان من أعظم الأعمال التي أنشئت في عهد رئاسته للجمعية معهد ابن باديس بقسنطينة

الذي كان له فيه الضلع الأكبر وكان له فيه نشاط كبير يتمثل خاصة في الدعاية له والتعريف بقيمته

في خطبه وكتاباته وفي مجالسه وفي جمع المال له الخ... وأما أعماله في الخمسينات بالشرق العربي

والاسلامي فلعلها لا تخفى عليك لا سيما اشتغاله بفتح أبواب التعلم لطلابنا في المعاهد

والجامعات الشرقية على حساب دولها، والمقالات والمحاضرات والخطب التي كان يشيد فيها

ويعرف بالجزائر وثورتها المباركة وقد كان لسان صدق وحق في ذلك طيلة العشر سنين

(من ٥٢ إلى ٦٢) التي قضاها في الشرق العربي والاسلامي

هذه هي الاجابات التي عنت لي من الأسئلة التي طرحتها علي في رسالتيك الأولى والثانية

المتتاليتين أما أسئلتك الأخيرة في رسالتك الثانية عن الفترة التي أمضاها الابراهيمي بتلمسان

فاليك الجواب عنها باختصار: (١) استقر الابراهيمي في تلمسان باسم جمعية العلماء بعد

تأسيسها في ١٩٣١ ولا اذكر اليوم والشهر. (٢) وانتقل منها نهائيا بالعائلة إلى العاصمة بعد سراحه ومن سجن سوادث ماي ١٩٤٥ في سطيف وقالمة ونواحيهما،

ولا اذكر اليوم ولا الشهر كذلك. (٣) أما المناصب التي تقلدها (كما تقول في رسالتك)

فليست هنالك مناصب في الأعمال الشعبية الحرة يتقلدها الناس، وعلى أي حال فقد كان

الابراهيمي بتلمسان مدرسا حرا في بعض المساجد والزوايا الحرة ومحاضرا في نواديها الثلاثة:

(النادي الاسلامي ونادي السعادة ونادي الشبيبة). ولما أنشأ مدرسة (دار الحديث) اكتفى بها

عن المساجد والزوايا، وكان يشرف على إدارتها ويتولى بعض الدروس الخاصة لطلاب الثقافة

والمعرفة زيادة عن دروس الوعظ والارشاد بمسجدها. وكان من بين هذه الدروس

تفسير القرآن الكريم وشرح أحاديث صحيح البخاري أو مسلم (والمدرسة تتكون من ثلاثة

طوابق: الأرضي مسجد للصلوات الخمس والجمعة، والذي فوقه قاعة المحاضرات ثم أقسام

الدراسة في الطابق الأعلى) وهكذا انحصر نشاطه في (دار الحديث) التي كان افتتاحها في ١٩٣٧

٤) وأما الذي خلفه في ادارة المدرسة والاشراف على شئونها فالعبد الضعيف الذي كان يتشوق في هذه الامور

٥) مدرسة دار الحديث لا تحتوي على أي خط أو مخطوط للشيخ البشير الابراهيمي وآثاره كلها عند ابنه ...

٠١١/٠٦١

.../... ٦) (ملحق) — هذا ثبت بما أعرف للابراهيمي من آثار كتابية ذات بال نشرت لدى العموم:

أ — في العشرينات لا أعرف له شيئا يذكر غير المحاضرتين أو الثلاث التي ألقاها في (نادي الترقي) بالعاصمة لما عيّن محاضرا فيه قبل الشيخ الطيب العقبي.

ب — وفي الثلاثينات بدأ يتحرك بعض الشيء نحو الكتابة لما عيّن عضوا في جمعية العلماء ومن أفضل ما نشر له فيما أعلم المقالات بعنوان (تعالوا نسائلكم) في الصحف الأولى لجمعية العلماء (٢) ثم تقديمه وتصديره للعدد الخاص بختم القرآن من (مجلة الشهاب) حيث تعرض فيه لطرق الاستقلالات العامة والخاصة في المشرق والمغرب والدراسة التي وضعها للتفسير والمفسرين في العصر الحديث وعلى الخصوص محمد عبده وابن باديس وطريقتهما فيه وقيمة تفسيرهما ووصف حفلة الختم التي وقعت بقسنطينة ثم تقديم الخطباء والشعراء بكلمات وجيزة قبل نشر خطبهم وقصائدهم، وكان العدد الخاص هذا فعلا عددا ممتازا.

(٣) وكلف بتقديم (سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) كذلك لما عزمت الجمعية على إعطاء صورة لمؤتمر من مؤتمراتها السنوية. فصال وجال الابراهيمي بقلمه البليغ في التعريف بالجمعية وكيف ومتى نشأت؟ وما هي حركتها الاصلاحية والثقافية؟ وما هي أهدافها ومراميها؟ استغرق منه ذلك أكثر من نصف الكتاب، ثم قدم ما ألقي في المؤتمر من تقارير ودراسات وخطب وقصائد، فكان حقا سجلا معتبرا.

ج — أما في الاربعينات فكان كمن فك من عقال إذ انطلق كالسهم يجوب الوطن لما تقلد رئاسة الجمعية (بعد وفاة ابن باديس وإطلاق سراحه من المنفى بآفلو) فكان يدعو للخير والوئام وينشئ ويؤسس ويدعم مشاريع الجمعية: ويتفقد شعب الجمعية ومدارسها ورجالها ومع نشاطه هذا الدائب الذي انتشرت فيه الحركة الاصلاحية وعمت، (السلسلة (٢)) كان لا يفتر عن الكتابة والخطابة، وقد تولى في هذه الفترة أيضا رئاسة تحرير (جريدة البصائر) فكانت مقالاته الاسبوعية تتصدر أعداد (البصائر) وكانت هذه الافتتاحيات قمة في أدب المقالة الاجتماعية لا تقل عن افتتاحيات مجلة (الرسالة) للاستاذ أحمد حسن الزيات في الثلاثينات ومقالات مصطفى صادق الرافعي التي كانت تليها مباشرة في كل أسبوع، وقد جمعت الاولى في سفر بعنوان (من وحي الرسالة) وجمعت الثانية في ثلاثة أجزاء بعنوان (وحي القلم) وكما جمعت مقالات أحمد أمين من شتى الصحف بعنوان (فيض الخاطر) في بضعة أجزاء، كذلك جمعت افتتاحيات (البصائر) للابراهيمي بعنوان (عيون البصائر). وأنت تعرف كل هذا ولا شك.

فلا أطيل عليك. وما عليك إلا أن تسعى في جمع هذه المقالات ودراستها لتخرج للناس بفائدة تذكر وتشكر

.../...

د — وأما في الخمسينات حيث سافر الابراهيمي الى الشرق، واهتمت به المحافل والمجالس والهيئات والجمعيات والشخصيات على اختلافها — فقد كان يحاضر ويكتب ويخطب في معظم اللقاءات والاجتماعات والمؤتمرات ويكتب في أشهر الصحف والمجلات، ويكتب عنه المندهشون لهذا العبقري المغربي الذي فاجأهم بغزارة علمه وذكائه وسحر بيانه، وما أكثر المعجبين به الذين كتبوا عنه! وفي الشرق العربي عين عضوا عاملا او شرفيا في أعلا المجامع والمجالس العلمية والاسلامية. كما عين في مصر مثلا عضوا في مجمع اللغة العربية وفي مجمع البحوث الاسلامية تقديرًا له واعترافا بمكانته في تلك الميادين. الى أن عاد الى وطنه الحبيب بعد الاستقلال شيخا فانيا فلازم بيته في حيدرة بالعاصمة الى أن لقي ربه راضيا مرضيا. وكان رجوعه الى بلاده آخر عهده بالكتابة رحمه الله رحمة واسعة

ه — وأما التآليف المتنوعة التي وضعها فهو يذكر جملة منها في شتى الأغراض اللغوية والدينية والاجتماعية والأدبية عدا كتاب (عيون البصائر) أذكر لك منها على سبيل المثال (معالم الايمان) الذي أعلن عنه وجمع له الاشتراكات ولم يطبع لحد الساعة، و(رواية الكاهنة) التي أعلن عنها كذلك وجمع لها الاشتراكات ولم تظهر لحد الآن.

وأما (رواية الثلاثة) الشعرية الهزلية النقدية فقد نسخ منها الشيخ الجيلالي الفارسي فصلين فقط وطبعها في مئات النسخ بالآلة الساحبة (الرونيو) ووزعها في أحد ملتقيات الفكر الاسلامي بالعاصمة وهي غير تامة إذ ينقصها الفصل الثالث والاخير.

وأما بقية الآثار الاخرى فلم أطلع سوى على (رسالة الضب) الصغيرة التي أعطيتك منها نسخة [redacted] مسحوبة (بالرونيو). وباقي تآليفه المخطوطة يسأل عنها ابنه الدكتور أحمد طالب الابراهيمي الذي اهتم ويهتم بآثار والده فهو بها أدرى وأعلم والله أعلم.

هذا الذي استحضرته لك مما طلبت من معلومات عن الابراهيمي أرجو أن تكون كافية لك فيما تريد معرفته عنه

وأما عناوين: الشيخ عبدالرحمن الجيلالي، وغيره من الاساتذة فاعذرني فأنا لا أحملها معي الآن ولا أذكر أسماء الانهج والارقام حيث يسكنون. ويوسعك أن تطلبها من دفاتر التيلفونات بإدارة البريد بقسنطينة. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وقد أصبت بزكام حاد بعد الذروع في الرسالة عطلني عن متابعة الكتابة أياما ثم عدت إليها وأتممتها بعد الشفاء منه ولذلك تأخرت عن الارسال

بشرة حمام الصالحين يوم ١٥/ ١١/ ١٩٧٨ محمد الصالح رمضان

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجمهورية

الجزائر في 17 / 5 / 79

الأستاذ السيد محمد العيد تاورتة

المدرس بمعهد الآداب والثقافة العربية

بعد التحية :

تلقيت رسالتكم المتعلقة بطلب معلومات حول آثار الوالد المرحوم ، وإني أعلمكم أن كل آثاره ومخطوطاته التي تركها في مكتبته قد نهبت وضاعت إبان الثورة التحريرية بفعل حملات الجيش الاستعماري الفرنسي الوحشية على المنازل كما تعرفون وكان من ذلك أن تعرضت مكتبة الشيخ للنهب والتمزيق والسرقة فضاع كل ما فيها ، ولايوجد من آثاره المطبوعة الاكتاب ((عيون البصائر)) وتحت الطبع كتاب يضم مجموعة مقالات وكلمات كتبت زمنيا قبل عيون البصائر ويجري العمل لجمع الآثار التي كتبها في العديد من الصحف والمجلات الجزائرية وغيرها بعد عيون البصائر لتطبع في كتاب ثالث في المستقبل إن شاء الله .

وأكثر مقالاته بالجزائر موجودة في مجلة ((الشهاب)) أو في جريدة « البصائر » .

مع أخلص تمنياتي لكم بالتوفيق .

الوزير المستشار لدى رئيس
الجمهورية

أحمد طالب الابراهيمي

المصـــادر والمــــراجـــع

اولا : المصـــادر

أ- الكتــب :

الابــراهيمي ، محمد البشيــر:

- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . المطبعة الجزائرية الاسلامية . سنة 1935 م .
- عيون البصائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . ط 2 . سنة 1971 م .

ب - مقالات ضمن كتب

الابــراهيمي ، محمد البشيــر:

- (أنا) : مقال ضمن (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة) . ج 21 . سنة 1966 . ص ص : (135 - 154) .
- (القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ؛ ضمن كتاب: (القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الاصلاحية . للأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس. ص ص : (5 - 10) .
- مقدمة كتاب : مجالس التذكير لفضيلة الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس رحمه الله . الذكرى الثامنة . 6 جمادى الثانية 1367 هـ . 16 أفريل 1948 م . جمع : أحمد بوشمال . المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة .

* * *

جـ - الدوريات :

- البصائر: من سنة 1935 الى سنة 1939م. وهي جريدة أسبوعية ،

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . كانت تصدر بالجزائر العاصمة ويترأس تحريرها الشيخ الطيب العقبي ، ثم انتقلت الى قسنطينة وفيها أصبح يترأس تحريرها الشيخ مبارك بن محمد الميلي .

- السنة النبوية المحمدية : لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة . سنة 1933 .

- الشريعة النبوية المحمدية : لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، قسنطينة . سنة 1933 .

- الشهاب (الجريدة) - لصاحبها الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس . قسنطينة . من سنة 1925 الى سنة 1929م .

- الشهاب (المجلة) لصاحبها الاستاذ الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس . قسنطينة . من سنة 1929 الى سنة 1939 م .

- النجاح (جريدة أسبوعية ، ثم نصف أسبوعية ، ثم يومية) لصاحبها الأستاذ عبد الحفيظ الهاشمي . قسنطينة . من سنة 1919 الى سنة 1956 م .

* * *

... انتصرا ...

ثانيا : المراجع :

أ- الكتب :

- القرآن الكريم .
- المعاجم العربية .

* * *

آل خليفة ، محمد العيد :

- ديوان محمد العيد آل خليفة . منشورات وزارة التربية الوطنية بالجزائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . مطبعة البعث قسنطينة، سنة 1967 م .

ابراهيم، حافظ :

- ديوان حافظ ابراهيم . شرح محمد ابراهيم هلال . ج 1 . مطبعة المعاهد بالجمالية - القاهرة . سنة 1932 م .

ابن هشام :

- السيرة النبوية . تحقيق : مصطفى السقا (جماعة). مطبعة مصطفى البابلي الحلبي . ط 2 . القاهرة سنة 1956 م .

أبو نواس ، الحسن بن هانئ :

- ديوان أبي نواس. دار صادر . بيروت - لبنان . (بدون تاريخ) .

ابن المعتز:

- طبقات الشعراء . تحقيق : عبد السلام أحمد فراج . دار المعارف القاهرة . سنة 1955 م .

أميـــن ، أحمـــد :

- ضحى الاسـلام . ج 3 . دار الكتـاب العـربي . بيـروت لبنـان . ط 3 . سنـة 1936 م .

- فجـر الاسـلام . دار الكتـاب العـربي . بيـروت - لبنـان . ط 10 . سنـــة 1969 م .

الاشـتر ، عبد الكريـم :

- فنـون النثـر المهجـرى . دار الفكـر الحديث . لبنـان ط 2 . سنـــة 1965 م .

بـدران ، محمـــد :

- مقـالات مختـارة من الأدب الانجليـزى (معـربـة) . لجنـة التـأليـف والـترجمـة والنشـر . سلسلـة الفكـر الحديث العـدد : 6 . (بـدون تـاريـخ) .

بـدوى ، أميـن عبد المجيـد :

- القصـة فى الأدب الفـارسي . دار المعـارف - القـاهـرة . سنة 1964م

البصـرى ، عبد الجبـــار :

- رواد المقـالـة الأدبيـة فى الأدب العـراقى الحديث . منشورات وزارة الاعـلام . الجمهـوريـة العـراقيـة . سنة 1385 هـ - 1975م .

تـركـي ، رابـــح :

- التعليـم القـومي والشخصيـة الوطنيـة . الشركـة الوطنيـة للنشـر والتـوزيـع . الجـزائـر . سنـــة 1975 م .

الجاحظ ، عمرو بن بحر :

- البيان والتبيين.جزآن . شرح وتحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط 4 . (بدون ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخ الطبع) .

الجندى ، أنور :

- كامل كيلاني في مرآة التاريخ . مطابع الكيلاني . القاهرة سنة 1962 م .

جورجي ، زيدان :

- تاريخ آداب اللغة العربية . ج 3 . دار الهلال . القاهرة . سنة 1917 م .

الجيلالي ، عبد الرحمن :

- تاريخ الجزائر العام . ج 1 . المطبعة العربية الجزائرية . سنة 1373 هـ - 1954 م .
- ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب . مطبعة ايميل يافيسطير . الجزائر . سنة 1932 م .

الحموى ، ياقوت :

- معجم الأدباء لياقوت . المطبعة المصرية . ج 10- (بدون تاريخ)
- معجم البلدان لياقوت . ج 3 ، ج 10 . دار صادر للطباعة والنشر . بيروت . سنة 1957 م .

الحوفي ، أحمد محمد :

- بلاغة الامام على . دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة . سنة 1977 م .

خرفي ، صالح :

- الشعر الجزائري . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
الجزائر . (بدون تاريخ) .

- شعر المقاومة الجزائرية . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
الجزائر . (بدون تاريخ) .

خورشيد ، فاروق :

- بين الأدب والصحافة . دار الفكر العربي . ط 2.أكتوبر1972م.

درويش ، محمد طاهر:

- الخطابة في صدر الاسلام . ج 1 . (العصر الديني . عصر
البعثة الاسلامية) . دار المعارف بمصر .(بدون تاريخ) .

ركيبي ، عبد الله :

- تطور النثر الجزائري الحديث (1830 - 1974) . معهد
البحوث والدراسات العربية العالية . جامعة الدول العربية ،
القاهرة ، سنة 1976 م .

- الشعر الديني الجزائري الحديث ،(1871 - 1930) . مخطوط
الرسالة التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه . جامعة
القاهرة . سنة 1973 م .

- القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر. دار الكاتب
العربي للطباعة والنشر. القاهر. سنة 1969 م .

رمضان ، محمد الصالح (وآخر) :

- النصوص الأدبية - ج 2 . دار الكتاب الجزائري . الجزائر.سنة 1964م .

الزركلي ، خير الدين :

- الأعلام . ج (1، 2 ، 3، 4، 6 ، 7، 8) . ط 2 .(بدون ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخ الطبع) .

سعد الله ، أبو القاسم :

- الحركة الوطنية الجزائرية (1900 - 1930) . دار الآداب . بيروت - لبنان . سنة 1969 م .

- الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945) . ج 3 . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ، سنة 1975 م .

- محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث دار المعارف - القاهرة . ط 2 . سنة 1975 م .

شرفي ، أحمد :

- الشعر الوطني الجزائري (1925 - 1954) . مخطوط رسالة دكتوراة من الحلقة الثالثة . معهد اللغة والأدب العربي . جامعة الجزائر . سنة (78- 1979)

شوقي ، أحمد :

- مصرع كليوباترا . مؤسسة فن الطباعة . (روزين شلهسون) . القاهرة . (بدون تاريخ) .

- الشوقيات . المجلد الأول . دار الكاتب العربي . بيروت - لبنان - (بدون تاريخ) .

صباغ ، سعيد :

- الأطلس العربي العام . بيروت - لبنان . سنة 1974 م .

الصديقي ، محمد بن علان :

- دليل الفالحين لطرق رياض الله الصالحين . تعليق وتصحيح : محمود حسن ربيع . ج 1 . دار الفكر، الطبعة الأخيرة سنة 1974 م .

الطالبي ، عمار :

- ابن باديس حياته وآثاره ، ج (1، 2 ، 3، 4) . دار ومكتبة الشركة الجزائرية . ط 1 ، سنة 1968 م .

العقاد ، عباس محمود (الاستاذ) :

- يسألونك . دار الكاتب العربي . بيروت - لبنان، ط 3 . سنة 1968 م .

غربال ، محمد شفيق (وآخرون) :

- الموسوعة العربية الميسرة . دار القلم . القاهرة . سنة 1965م.

الغزالي :

- احياء علوم الدين . ج 2 . مصورة عن طبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية . ط 1 ، سنة 1975 م .

فضلاء ، محمد الطاهر:

- الامام الرائد الشيخ محمد البشير الابراهيمي في ذكراه الأولى . طبع ونشر مكتبة البعث . قسنطينة (الجزائر) . سنة 1387 هـ - 1967 م .

القزويني ، الخطيب :

- الايضاح في علوم البلاغة ومختصر المفتاح . منشورات مكتبة النهضة (بدون ذكر لمكان الطبع ولا لتاريخ الطبع) .

قـاسـم ، محمـود :

- الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية . دار المعارف . القاهرة . سنة 1968م .

كحـالـة ، عمـر :

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . ج 1 . دار العلم للملايين . بيروت . سنة 1968 م .

محمـود ، زكـي نجيـب :

- قصاصات الزجاج . دار الشروق . القاهرة . ديسمبر1974م .

مـرتـاض ، عبد المالـك :

- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925 - 1954) . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . سنة 1971 م .

منـدور ، محمـد :

- الأدب وفنونه . دار نهضة مصر للطبع والنشر . مطبعة نهضة مصر بالفجالة . القاهرة . ط 2 . (بدون تاريخ) .

المتنـبـي :

- ديوان أبي الطيب المتنبي . تحقيق : عبد الوهاب عزام . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . سنة 1944 م .

محمد عـوض محمـد :

- محاضرات عن فن المقالة الأدبية . معهد البحوث والدراسات العربية . جامعة الدول العربية . القاهرة . سنة 1959م.

المدني ، أحمد توفيق :

- حياة كفاح . (مذكرات) . القسم الثاني في الجزائر (1925 - 1954) . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط 1 . سنة 1977 م .

- كتاب الجزائر . دار المعارف بمصر . ط 2 . سنة 1963م .

الميداني :

- مجمع الأمثال . تحقيق . محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر العربي . بيروت . ط 3 . سنة 1972 م .

الميلي ، محمد :

- ابن باديس وعروبة الجزائر . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر . سنة 1973 م .

ناصر ، محمد :

- المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها ، تطورها ، أعلامها ، (من1903 الى 1931) . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر . سنة 1978 م .

نجم ، ماري :

- الابراهيمي في حياته و بعض آثاره المنشورة والمخطوطة . مخطوط بمكتبة الدكتور أبو القاسم سعد الله .

نجم ، محمد يوسف :

- فن المقالة . دار الثقافة . بيروت - لبنان . ط 4 . سنة 1966 م .

نويهض ، عادل :

- معجم أعلام الجزائر . من مطبوعات المكتب التجاري للطباعة والنشر . ط 2 . بيروت . سنة 1971 م .

هارون ، عبد السلام محمد :

- تهذيب سيرة ابن هشام . المؤسسة العربية للطبع والنشر والتوزيع . ط 2 . القاهرة . سنة 1964 م .

الهاشمي ، أحمد :

- جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع . دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان . (بدون تاريخ) .

وهبة ، مجدى :

- معجم المصطلحات الأدبية . مكتبة القاهرة . بيروت . (بدون ذكر مكان الطبع) .

الواحدى ، أبو الحسن علي بن احمد :

- أسباب نزول القرآن . تحقيق : السيد أحمد صقر . دار الكتاب الجديد . لجنة احياء التراث الاسلامي . ط 1 . (دون ذكر لمكان الطبع) . سنة 1969 م .

* * *

ب - مقالات ضمن كتب :

ابن ذياب ، احمد :

- "محمد البشير الابراهيمي ونضال الكلمة". مقال ضمن مجلة (الثقافة) ؛ (مجلة تصدرها وزارة الاعلام والثقافة بالجزائر) . السنة السادسة . العدد : 33 . (جمادى الثانية - رجب 1396 هـ) - (يونيو - يوليو 1976م) . ص ص : (59 - 71) .

السامرائي ، ابراهيم :

- " اصالة العربية في عيون البصائر". مقال ضمن مجلة (الثقافة الجزائرية) . السنة الرابعة . العدد : 24 . (ذو القعدة - ذو الحجة 1394هـ) - (ديسمبر - جانفي 1975 م) . ص ص : (59 - 62) .

الشنوفي ، علي :

- " الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور". افتتاحية مجلة : (حوليات الجامعة التونسية) . العدد : 10 . سنة 1973 م . ص ص : (5 - 9) .

* * *

جـ - المقابلات :

- مقابلة مع الأستاذ الشيخ محمد الصالح رمضان بمنزله بالعاصمة - بتاريخ : 17 - 10 - 1978 م .

- مقابلة مع الأستاذ الشيخ محمد الطاهر فضلاء . بمكتبة قصر الحكومة - بتاريخ : 23- 10 - 1978م.

- مقابلة مع الأستاذ الشيخ علي مرحوم بمنزل الأستاذ . الشيخ محمد الصالح رمضان بتاريخ 17 - 10 1978 م .

المحتـــوى

* * *

* * *

القسـم الأول

* * *

- 1 -

* * *

- 2 -

* * *

- 3 -

* * *

- 4 -

* * *

- 5 -

* * *

- 6 -

* * *

- 7 -

* * *

- 8 -

* * *

- 2 -

* * *

- 3 -

* * *

- 4 -

* * *

- 5 -

* * *